

توحيد الله في أسمائه وصفاته

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى: ١١]، أحمده سبحانه وهو الحكيم اللطيف الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله البشير النذير، والسراج المنير، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن على هداهم يحث المسير.

أما بعد : عباد الله: اتقوا الله ليوم تعرضون فيه على الله، ثم توفى كل نفس ما عملت، ولا تظلم نفس شيئاً، اتقوا الله بالعمل بطاعته، وتوحيده، تفلحوا في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون: الركن الأول من أركان الإيمان: الإيمان بالله تعالى، هذا الإيمان يتمثل بالاعتقاد الجازم بتوحيد الله في ذاته وربوبيته، وألوهيته وأسمائه وصفاته؛ بمعنى توحيد الله بأنه الخالق الرازق، المالك المتصرف المحيي المميت، وهو وحده رب كل شيء ومليكه، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، لا نظير له، ولا شبه له، هو الرب المعبود، مربى الخلق بنعمته، ليس له شريك، ولا نعبد إلا إياه، ولا نصرف شيئاً من أفعالنا وأقوالنا إلا له،

فالدعاء له، والنذر له، والتوجه إليه، والرجاء والخوف منه سبحانه، والرغبة والرغبة والإنابة والتوكل عليه، لا إلحاد ولا تشبيه لأسمائه وصفاته، ولا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل، ثبت ما أثبتته لنفسه، ونفي ما نفاه، ونسكت عما سكت عنه، فهذا أصل الدين وهو الحق اليقين، يجب قبوله بدون تكبر، كما يجب الإذعان والانقياد والاستسلام له دون تردد، وفي ذلك نجاة العبد وسلامته، وبالتسليم سروره وسعادته.

أيها المسلمون: وفي هذه الجمعة نتحدث عن واحد من أنواع التوحيد هو الإيمان بأسمائه وصفاته.

وتوحيد الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی هو إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه، وأثبتته له رسوله ﷺ من أسماء حسنی وصفات علا، (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنی) [طه: ٨]، ونفي ما نفاه الله عن نفسه (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) [الصمد: ٤-٥] أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص والعيب.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله عن هذا التوحيد: (هو اعتقاد انفراد الرب جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة

على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفى لشيء منها، ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل، ونفى ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب ومن كل ما ينافي كماله).

يجلّي ذلك ويوضحه - عباد الله - قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فقد نفى مشابهة شيء له سبحانه، وأثبت له اسمي السميع والبصير، المتضمنين صفة السمع والبصر، فالواجب إثبات اسم السميع والبصير، اللذين يشتق منهما صفتا السمع والبصر، فيسمّى الله بالسميع، ويوصف بأن له سمعاً لكن لا يشبهه أحد من خلقه، فيثبت له إثباتاً يليق بجلاله وعظمته، فعلى هذا نثبت اسم السميع، ونثبت الصفة التي تضمنها هذا الاسم لله عز وجل وهي صفة السمع، ونثبت حكمها ومقتضاها وهو أنه يسمع سبحانه السر والنجوى ولا تخفى عليه خافية كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]. وهكذا بقية الأسماء والصفات الواردة لله جل وعلا.

أيها المسلمون: لهذا التوحيد - أعني توحيد الله في أسمائه وصفاته - أهمية عظيمة، يظهر أثرها على حياة المسلم في الدنيا والآخرة، لهذا كان للإيمان بهذا التوحيد، واستشعار أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى في القلوب وجلاء معانيها في الصدور أثر عظيم، وثمرات كبرى رأس هذه الثمرات، وأعظمها حلاوة وطلاوة، أن العبد

بهذا العلم يعرف ربه وخالقه وإلهه ومعبوده، فالعلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفته سبحانه، ومن ثمَّ عبادته حقَّ عبادته، ومما يشين العبد أن يكون جاهلاً بربه سبحانه وخالقه ورازقه ومحبيه ومميته.

ومن ثمرات هذا التوحيد: أنه يثبت الإيمان في القلوب، ويقوّي الخشية في النفوس، وينمي الخضوع والخشوع، ويمكن من مراقبة الخالق في الخلوات والجلوات، ولهذا كان أعظم الناس خشيةً هم أهل العلم العارفون برّبهم سبحانه، قال تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) [فاطر: ٢٨].

فإذا استحضر العبد أسماء ربه جل وعلا وصفاته العظيمة ملأت قلبه تعظيماً وإجلالاً، وأسماء الجمال والبر والرحمة والجود والإحسان تملأه محبة وشوقاً ورغبة فيما عنده وحمداً وشكراً له.

فإذا استقر في قلب المؤمن أن الله تعالى هو المتفضل عليه بإنشائه من العدم، وهو سبحانه الذي يكلّؤه بعنايته وحفظه في جميع مراحل حياته، وهو الرحمن الذي يرحم ضعفه، والرحيم الذي يجبر كسره، وهو الغفور الذي يتجاوز عن زلاته، والغفار الذي يغفر خطيئاته، فإذا استقرت هذه المعاني السامية في قلب المؤمن وغيرها، أثمر ذلك الشكر والعرفان على جوارحه، والحمد على فضله وعظيم منته. وإذا استقر في قلب المسلم أن الله تبارك وتعالى كما أخبر عن نفسه: (نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم، وأن عذابي هو العذاب الأليم) [الحجر ٤٩،

٥٠] اعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله تعالى يغفر ويرحم من سلك طرق النجاة من النار، وأنه تعالى شديد العقاب أليم العذاب لمن تجاوز حد عبوديته وانتهك ما حرمه الله تعالى، أورثه هذا الاعتقاد خوفاً ووجلأً من عذاب الله فاستقام على طاعته يرجو رحمته ويخشى عذابه، وإذا استشعر العبد أن الله تعالى عليم ورقيب ومشاهد كما قال عليه الصلاة والسلام: (يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء) راقب العبد ربه وعلم أنه مطلع عليه في خلواته ومع خلقه، وفي حركاته وسكناته فلا يطلع إلا على عمل صالح، أو قول طيب أو نية حسنة.

وإذا استشعر العبد أن الله غني كريم، خزائنه مלאى ورزقه لا ينفد، لجأ إليه وطلب الغنى منه، وافتقر إليه، وشكا حاجته إليه. وكذا إذا استقر في قلب المؤمن أن الله تعالى هو الرازق امتلأ قلبه يقيناً بأن الله لا يضيعه، وازدادت نفسه ثقة واطمئناناً بأن مالك الملك لا تنفذ خزائنه أبداً.

وإذا علم المسلم أن الله تعالى هو المحيي وهو المميت علم أنه عاجلاً أو آجلاً سيلقى الله تعالى بعد أن يقضي الله عليه بالموت فأنمر ذلك استعداداً للقاء الله، وتزوداً من الأعمال الصالحة، وبذلك يرتفع قدره عند الله جل وعلا.

وإذا استشعر المؤمن بأن الله هو الشافي الكافي لجأ العبد إليه في سرائه وضرائه، ولم يطلب الشفاء إلا منه ولا يتعلق قلبه إلا به، فكثر افتقاره إليه، والتفاتة له، وعزّ بعزّه، واغتنى عن خلقه، ولم يذل إلا له.

وإذا استشعر أن الله سبحانه هو القوي استمد القوة منه وطلب المنعة منه، وهكذا ينبغي أن يستشعر العبد أسماء الله وصفاته ليمثلها في عبادته له سبحانه.

أيها المسلمون: ومن ثمرات هذا التوحيد الكف عن المعاصي والسيئات، فإذا تذكر العبد بأن الله يراه، ومطلع عليه، ويعلم ما تكنه نفسه، وما يحمله صدره، فيذكر وقوفه بين يدي ربه وخالقه وينزجر ويكف، ألا ترى ذلك الذي تقع عينه على محارم الله، ويلج عليه شيطانه ليزين له هذا الحرام، فإذا استشعر رؤية الله له واطلاعه عليه كف وانزجر وإلا وقع في المعصية وأوحالها.

ومن ثمرات هذا التوحيد : أن العبد تقع عليه الأذية من أشرار الخلق من أهل الحسد والحقد، أو من أعداء الله من الكفرة والمنافقين فيجدّون في حسده، ومنع الرزق عنه، وطلب أذيته وعداوته، فيعلم أن الأرزاق بيد الله سبحانه، وأنه هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن مصرف الخلق هو الله سبحانه، فيثمر له هذا العلم الشجاعة القلبية والقوة المعنوية والتعلق بالله سبحانه، ويتضاءل أمامه حسد الحاسدين وكيد الكائدين وعدوان المعتدين.

ومن ثمرات هذا التوحيد : أن العبد قد يضعف أمام ما يصاب به من الأمراض والأسقام والمصائب التي تصيبه، وربما لا يعلم البشر بملاحمها فيستعصي الدواء فيبلغ به الألم مبلغه، وقد يتطرق إليه اليأس، فيتذكر أن الله هو الشافي فيرفع إليه يديه بخشوع وخضوع وتذلل، ورغبة ورهبة، ويدعوه دعاء المضطر فيفتح الله له ما كان مغلقاً عليه من أبواب الأمل والشجاعة، ويتصبر ويرضى ، فيدخر الله له أعظم الثواب وأجزله فضلاً عن الشفاء.

ومن ثمرات هذا التوحيد : زيادة الإيمان وثبته في النفوس، قال تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) [محمد: ١٧] أيها المسلمون:

هذا غيض من فيض من ثمرات هذا التوحيد العظيم فلنحييه في نفوسنا، ونعمقه في قلوبنا، ويظهر على جوارحنا، ونتعامل به في سلوكنا. رزقني الله وإياكم ذلك. نفني وإياكم بهدي كتابه، وسنة رسوله ﷺ ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الملك القدوس العزيز الحكيم، أحمدده سبحانه وتعالى وأشكره وهو الرؤوف الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها النجاة يوم الدين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الأتقياء العابدين الموحدين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : إن مما ينبغي أن نعلمه أن معرفة توحيد الله في أسمائه وصفاته علم دقيق، والزلل فيه خطير، وقد وقعت فئات من طوائف المسلمين في انحراف وزلل بهذا التوحيد .

ومن صور هذا الانحراف، عدم إثبات الأسماء والصفات لله سبحانه وتعالى الإثبات اللائق به، فحرفوها وتأولوها كمن يقول عن (يد الله) قدرته، وليست يداً حقيقية، أو شبهوه بخلقه فقالوا: له يد كأيدينا؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ومن صور الانحراف في هذا التوحيد علم كثير من الناس أن الله يسمعهم ويبصرهم ومطلع على أحوالهم، يسمع ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويعلم السر وأخفى، وما تكنه الصدور من النجوى، ومع ذلك ينتهك ما حرم الله، فيبارز الله بالمعاصي

وقد يظهرها والعياذ بالله، إن الذي يقارف معصية ككبيرة الزنا أو يتعامل بالربا، لو سألته أليس الله يراك؟ ويطلع عليك؟ لأجاب بأن نعم، إذا فلم تبارزه بالمعصية وهو المطلع على جميع أحوال العبيد؟ وذاك الذي أطلق لسمعه العنان فيستمع إلى الغناء والمعازف ولا يبالي، ويبصر بعينه المحرمات ولا يبالي! ألا يؤمن بأن الله هو السميع البصير؟ وذاك الذي يكثر التوجع من المرض، أو الخوف من عدم الرزق! ألا يؤمن بأن الله هو الشافي الكافي الرزاق ذو القوة المتين؟

أيها المسلمون:

اعرفوا الله حق معرفته، وتعلموا أسماء الله ومعانيها لتعبدوا الله حق عبادته فتعود عليكم ثمارها وآثارها بالسكينة والطمأنينة والمغفرة والرحمة. في الدنيا والآخرة.

وهكذا كان الرسول ﷺ الذي عرف الله حق معرفته فعبده حق عبادته حتى تفتطرت قدماه من طول القيام شكراً لله سبحانه، وقد ابتلى أشد ما يبتلى به نبي ورسول في خدمة دينه ونشره، وأوذى في ذلك، وصبر وصابر، ولم يزعزعه شك ولا شبهة، ولم تزغ به شهوة - بأبي هو وأمي، صلوات الله وسلامه عليه - فاقتدوا به يرتفع قدركم عند ربكم، ويزيد في درجاتكم، ويندحر شيطانكم، وصلّوا وسلّموا على رسول الله خير من صلى وصام، ووحد الله وقام، وأنفق وعبد، وصلى وسجد، صلوا عليه كما أمركم الله جل وعلا في محكم التنزيل حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٩١﴾.

توحيد الله في أفعاله (الربوبية)

الخطبة الأولى

الحمد لله رب الأرباب ومسبب الأسباب وهادي العباد، المنزه عن الشركاء والأمثال والأنداد، أحمدته سبحانه وأشكره شكراً لا يحصى محصٍ ولا يعدّه عادّ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي خضعت له رقاب العباد، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعباد، والداعي إلى سبيل الهدى والرشاد، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الأتقياء الموحدين العباد، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد. أما بعد .

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و وحدوه واعملوا بطاعته واطلبوا جنته ورضاه، وذلك بتحقيق التوحيد الذي هو حق الله على العباد. أيها المسلمون: إن أوجب الواجبات، وأهم المهمات، وأساس الدين، وأصل الأصول، والغاية التي خلق من أجلها الإنس والجن، وأرسل لبعثها وتوضيحها والسعي إليها الرسل، وأنزلت من أجلها الكتب، الإيمان بالله رباً وخالقاً ومدبراً ، ومعبوداً.

وهذا الإيمان يتمثل في الاعتقاد الجازم، واليقين الراسخ بتوحيد الله تعالى في أفعاله كلها خلقاً وتصرفاً وتدبيراً ، واليقين بتوحيده في أسمائه الحسنی وصفاته العلی، (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

(الشورى: ١١) ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾
[الأعراف: ١٨٠].

أيها المسلمون: إن توحيد الله بأفعاله يعني أن الله تعالى واحد موجود، هو وحده رب كل شيء ومليكه، وهو الخالق للكون كله، وهو المتصرف فيه، وهو المحيي المميت، والرزاق ذو القوة المتين، ليس له شريك في ملكه، ولم يكن له ولي من الذل، لا راداً لأمره ولا معقب لحكمه، ولا سمي له ولا مماثل، ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته كلها.

فيجب على العبد أن يؤمن بهذا التوحيد، وأن يقر في قلبه حتى يظهر أثر ذلك عليه في اعتقاداته القلبية في منطق لسانه وأقواله، وعلى سلوكه وأخلاقه وتصرفاته ومعاملاته.

جاء تقرير هذا التوحيد في آيات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر إذ يصعب حصرها:

قال تعالى مقررأ هذا التوحيد، مؤكداً على هذه المعاني الكبيرة

لله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ تِلْكَ يَوْمَ الَّذِينَ ۝﴾

[الفاتحة: ٢-٤] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝﴾

[الذاريات: ٥٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾ [يس: ٨٢، ٨٣]،

ويقول جل وعلا: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَٰذَا مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الروم: ٤٠]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَائِكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]. ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٢﴾﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]. ويقول سبحانه: ﴿أَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِرًا أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل: ٦٠، ٦١] ويقول جل ذكره: ﴿أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾﴾ أَمَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾﴾ أَمَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ٦٢-٦٥].

هذا غيظ من فيض من أساليب القرآن الكريم في تقرير توحيد الله تعالى في أفعاله كلها، وقد عمل الرسول ﷺ هذا التوحيد، وظهر ذلك جلياً واضحاً في معاملته مع ربه وخالقه في مناجاته وأدعيته، روى الإمام مسلم رحمه الله أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه - مقررأ هذا التوحيد-: (اللهم رب السماوات السبع والأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغنني من الفقر)^(١). وهكذا كانت صلته عليه الصلاة والسلام بربه إعظاماً وإجلالاً وتقديراً وإيماناً وإقراراً.

أيها المسلمون: هذا التوحيد مفطور في الخلق، ذلك أن الإنسان يجد في فطرته بأن الله ربه وخالقه ومحبيه ومميته ورازقه ومدبر أموره كلها، ولا يستطيع أحد دفع ذلك من نفسه، قال عليه الصلاة والسلام: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) رواه البخاري.^(٢)

(١) رواه مسلم رقم (٧٠٦٤)، كتاب الذكر والدعاء، باب الدعاء عند النوم.

(٢) رواه البخار (١٣٥٨ - ١٣٥٩)، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه؟ ومسلم رقم (٦٩٢٦)، كتاب القدر، باب معنى "كل مولود يولد على الفطرة".

ويقول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه عز وجل: (خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين). أخرجه مسلم ^(١)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَأَفَرَّقَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَلِيبُ الْفَتْنَةُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

ولذلك كان أهل الجاهلية الأولى مقرين بهذا التوحيد، يقول تعالى عنهم: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَرَجَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]. لكن جاهليتهم طغت عليهم فلم يستفيدوا من هذا الإقرار فيعبدوا الله وحده فأشركوا معه غيره، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فإن الفطرة تتضمن الإقرار بالله، والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا هو الذي يعرف ويعبد) أ. هـ

أيها المسلمون: إن معتنق هذا النوع من التوحيد لا يدخل في الإسلام، ولا ينجو من النار، إذا لم يكن مقراً بتوحيد العبادة والأسماء والصفات، فالكفار على سبيل المثال أقروا بتوحيد الربوبية، ولكن إقرارهم بذلك لم يدخلهم في الإسلام وسماهم الله مشركين وكفاراً، وحكم لهم بالخلود في النار مع أنهم يقرون بتوحيد الربوبية.

(١) رواه مسلم (٧٣٨٦)، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

أيها المسلمون:

إن المسلم الحق، والعاقل الحصيف هو الذي يتدبر هذا التوحيد
فيؤمن بخالقه رباً وخالقاً ورازقاً، ويستفيد من هذا التوحيد غاية الاستفادة
في حياته كلها فيعبد الله حق عبادته، نفعني الله وإياكم بهدي كتابه.
أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر
المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إن هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جل عن النظر والشبيه والمثيل والولد، أحمدته سبحانه وأشكره شكراً يليق بجلاله وعظمته، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الذي أمر بالتوحيد ونهى عن الشرك وشدد، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، وَمَنْ لله صلى وصام وتعبد.

أما بعد:

أيها المسلمون: إن الإقرار بهذا التوحيد الذي هو الإيمان بأن الله تعالى هو الخالق الرزاق المحيي المميت المدبر للكون كله، رب الأولين والآخرين، وباعث الخلق أجمعين، القاهر فوق عباده لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض، الذي جعل الأرض للخلق مهاداً يتقلبون فيها، ويمشون في مناكبها، والذي ينزل الماء فيجريه أنهاراً، ويرزقهم من كل الثمرات.

أقول: للإقرار بهذا التوحيد آثار عظيمة على الفرد والمجتمع. والثمرات في الدنيا والآخرة.

من أعلا هذه الآثار والثمرات لهذا التوحيد أنه يقود إلى التوحيد الأعظم وهو توحيد سبحانه في عبادته، فالمقر بهذا التوحيد يعبد رباً

واحداً وخالقاً واحداً لا رب غيره ولا معبود سواه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة : ٢١، ٢٢].

ومنها: أن المقر بهذا التوحيد والمؤمن به يحس أنساً وطمأنينة مستقرين في القلب، فلا تؤثر فيه المؤثرات، ولا تחדش توحيده الدعايات، فيتوجه بتوحيده لخالقه، ويتوجه بدعائه ورجائه إلى ربه ومولاه دون قبر أو ضريح، أو شجر أو حجر لا ينفع ولا يضر ولا يملك من أمر نفسه شيئاً، ومنها أن هذا التوحيد يقود إلى الإيمان بما يقضيه الله ويقدره في هذا الكون؛ فإذا علم العبد أن الله تعالى النافع الضار قاده ذلك إلى اليقين بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيتحمل العبد ما يواجهه من مصائب وعقبات في هذه الحياة.

ومن الثمرات أيضاً قوة توكله على ربه واستعانت به في أموره كلها من الرزق والشفاء، فهو الشافي الكافي، وخزائنه مלאى، لا مانع لما

أعطى ولا معطي لما منع، فيستغني بخالقه عن خلقه، والرسول ﷺ كان كثيراً ما يدعو بهذا الدعاء : "اللهم أغني بفضلك عمن سواك".^(١)
أيها المسلمون:

إن الناظر المتأمل ، ليجد خللاً ونقصاً في هذا التوحيد عند كثير من المسلمين، وفي مقدمتها عدم تصور هذا التوحيد، أو ضعفه في النفوس، فيؤمن إيماناً نظرياً قولياً دون أن يظهر ذلك على سلوكه وجوارحه وعلاقاته بربه وبالناس، فإذا سألت أحدهم عن حياته وجدتها مليئة بالقلق والضجر من الرزق تارة، ومن الصحة أخرى، ومن عدم الاستقرار، يتقلب بين الساحر مرة والطبيب أخرى، يفكر في عشائه قبل غدائه وهكذا، فدل ذلك على ضعف إيمانه بربه عز وجل.

ومن المظاهر الخاطئة، الخوف على المستقبل، والخوف من المرض والموت والمصائب بصفة عامة، وما ذاك إلا دليلاً على ضعف هذا التوحيد في النفوس، وإلا فالرازق الشافي الكافي هو الله سبحانه وتعالى، وهذا لا يعني أن الإنسان لا يعمل ولا يبحث عن الشفاء ولا يخاف من المرض والموت، ولكن فرق كبير بين خوف متكلي على ربه وخوف آخر غافلٍ عن ربه.

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٥٦٣) وأحمد في المسند برقم (١٣١٨) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومن المظاهر الخاطئة أيضاً القلب في نعم الله سبحانه وتعالى وكفرانها بالمعاصي والآثام دون خجل من الله أو مبالاة، فالشرك بالله، وترك الصلاة، والزنا، وشرب الخمر، والتعامل بالربا ونحوها كلها مظاهر لضعف التوحيد في القلوب.

فاتقوا الله عباد الله وراجعوا توحيدكم، وإقراركم بخالقكم ورازقكم، وأظهروا ذلك عملياً في سلوككم وتصرفاتكم وفي علاقاتكم مع ربكم جل وعلا. وصلوا وسلموا على رسول الله كما أمركم الله جل وعلا في كتابه العزيز حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٨).

توحيد العبادة

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أمرنا بتوحيده، وشرفنا بعبوديته، وكلفنا بطاعته وعبادته، أحمده سبحانه وأشكره شكراً يليق بجلاله وعظمته، وأسأله المزيد من فضله وكرمه ومنته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو بها النجاة من عذابه وعقوبته، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وعلى من سار على هديه واستن بسنته.

أما بعد .. عباد الله: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾.

[آل عمران: ١٠٢]

أيها المسلمون: في جمعيتين ماضيتين وقفنا وقفات سريعة مع نوعين من أنواع التوحيد هما: توحيد الله في أفعاله الذي هو توحيد الربوبية، وتوحيد الله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته، وهذان التوحيدان متضمنان للتوحيد الأعظم ألا وهو توحيد الله في أفعال العباد، أو هو توحيد الألوهية والعبادة، هذا التوحيد الذي هو الغاية الكبرى من خلق العباد وإيجادهم في هذه الحياة، وهو أعظم طلب، وأشرف نسبة، وأسمى رتبة، وهو وسيلة كل نجاح، وشفيع كل فلاح، ومصدر كل سعادة، كافح في سبيل تبليغه أفاضل الخلق من الأنبياء والمرسلين،

وأتباعهم المقربين، وتنافس في تحقيقه أهل الهمم العالية، والنفوس الرفيعة.

هذا التوحيد هو : أفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً، ونفي العبادة عن كل ما سواه كائناً من كان، هذا التوحيد هو المراد بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (والنفي المحض ليس توحيداً، وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات، وهذا هو حقيقة التوحيد)، وقال العماد ابن كثير رحمه الله عند شرحه للآية في سورة النساء [٣٦] ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾: يأمر سبحانه وتعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه، في جميع الآنات والحالات، وهو المستحق منهم أن يوحده ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته. أ هـ.

والمراد بأفراد العبادة: أن يقوم العبد بشرائع الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج، ونذر ودعاء، واستغاثة ولجوء وتوكل وإنابة وغيرها من سائر القربات والطاعات لله سبحانه وتعالى وطلباً لرضاه، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، بمحبة ورغبة وصدق، وأن يتبع العبد بذلك كله منهاج الرسول ﷺ.

هذا التوحيد بهذا المفهوم هو الذي خلق الله له الخلق، وأرسل به الرسل، وأنزل من أجله الكتب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه

الله : (وذلك أن العبادة هي الغاية المحبوبة له، والمرضية التي خلق الخلق لها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: (وهذا الأصل أعظم الأصول على الإطلاق، وأكملها وأفضلها، وأوجبها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الإنس والجن لأجله، وخلق المخلوقات، وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقدته يكون الشر والفساد، وجميع الآيات القرآنية إما أمر بحق من حقوقه، أو نهي عن ضده، أو إقامة حجة عليه أو بيان جزاء أهله في الدنيا والآخرة، أو بيان الفرق بينهم وبين المشركين) أ هـ.

أيها المسلمون: لقد تضافرت النصوص القرآنية والنبوية دعوة إلى هذا التوحيد، وبياناً لأهميته وعظم شأنه، وبياناً لما يترتب عليه من ثواب في الدنيا والآخرة بأساليب متعددة، وصيغ مختلفة بالأمر به مباشرة، أو الحث عليه، أو كونه الهدف الذي أرسل الرسل من أجله، وأنزلت الكتب لتبينه، أو التحذير من مخالفته وعقوبة تاركه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، والمعنى أن تعبدوه وحده دون ما سواه، وهذا معنى (لا إله إلا الله). ويقول سبحانه: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦] ويقول جل وعلا: ﴿ وَمَا

خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال سبحانه: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش: ٢١]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. والمسلم يقرأ في كل ركعة من ركعات صلاته: ﴿يَا أَيُّهَا رَبِّي يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وروى الشيخان وغيرهما عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: (يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً)، قلت: أفلا أبشر الناس قال: (لا فيتكلموا).^(١)

وحق العباد على الله معناه أنه متحقق لا محالة؛ لأنه وعدهم ذلك جزاء لهم على توحيده ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الروم: ٦] وحق الله على العباد هو ما يستحق عليهم من أنواع العبادة.

(١) رواه البخاري (١٢٨١)، كتاب العلم، باب من خص العلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا.

أيها المسلمون: مقتضى هذا التوحيد أن تسخر جميع العبادات وتصرف لله سبحانه وتعالى، فإذا قام العبد بذلك نال ثمراته في الدنيا والآخرة، وتمتع بخيراته التي لا تعد ولا تحصى ومنها:

* أن محقق التوحيد حصل على الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق، وحقق الغاية التي من أجلها أنزلت الكتب وأرسل الرسل، قال تعالى: ﴿الرَّكَتَبُ أَتَمَّتَ ابْنَهُ ثُمَّ فَضَّلْتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ۝١﴾ ^(١) أَلَا تَقْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّهُ لَكُرْمَنُهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢﴾ [هود: ١، ٢]

* ومنها أن محقق هذا التوحيد تفرج كرباته وتكشف غمومه، وتدفع عنه العقوبة في الدنيا والآخرة، كما قص الله علينا ذلك في قصة يونس عليه السلام عندما التقمه الحوت فأخرجه الله منه بسبب إخلاصه وتوحيده.

* ومنها أن محقق التوحيد يمنع من الخلود في النار، وإذا صح هذا التوحيد منع من دخول النار بالكلية، جاء في الصحيحين عن عتبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "فإن الله قد حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله" ^(١).

(١) رواه البخاري رقم (٤٢٥)، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت ومسلم رقم (١٥٢٨)، كتاب المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة لعذر.

فبالتوحيد يكون الأمن والأمان وانسراح الصدر، ودخول الجنة وغفران الذنوب والعتق من النيران، وتفريج الكربات في الدنيا والآخرة، ويحظى بشفاعته النبي ﷺ يوم يبعث الثقلان، وهو سبب رضا الرحمن وغضب الشيطان، ولا يقبل عمل إلا به. وبه يحرم مال المسلم ودمه، ولا حياة طيبة إلا به، ولا إخلاص إلا بوجوده فهو مدار السعادة في الدارين.

قال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي عقب الحديث المتقدم: فلم يجعل رسول الله ﷺ مجرد التلفظ بكلمة التوحيد عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ولا دمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه ^(١).

* ومنها حصول الأمن التام والرضا والاطمئنان لمن كان مخلصاً، وله محققاً، وبذلك تخف الآلام وتهون المكارِه وتنقلب المحن منحا، والنقم نعماً، وكلما قوي هذا التوحيد وتمكن في قلب العبد هانت عليه مصائب الدنيا وأمن منها، واطمأن ورضي بأقدار الله المؤلمة، وهذه والله

(١) حديث: (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل) أخرجه مسلم رقم (١٣٩) وأحمد رقم (١٥٩١٥).

نعمة، وفاقدتها في نكد وحسرة، فأحوال الدنيا ليست على وضع واحد، وليس ما ظاهره نعمة في الدنيا كالمال والجاه كافياً لتحقيق هذا الاطمئنان، وما صراع الإنسان مع الحياة ومكابدتها وحرصه وطمعه وحسده للآخرين، وما صراعات المجتمعات وتقلباتها إلا بحثاً عن هذه النعمة، ولكن هيهات أن تحصل وتتمكن إلا بتحقيق هذا التوحيد، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [٨٢] ﴿[الأنعام: ٨٢]، وقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

* ومن ثمرات تحقيق التوحيد أن صاحبه يحصل على أفضل الحسنات وأكثرها، روى الإمام أحمد رحمه الله عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله علمني عملاً يقربني من الجنة ويباعدني عن النار، قال: "إذا عملت سيئة فاعمل حسنة فإنها عشر أمثالها"، قال: قلت: يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: "هي أفضل الحسنات" ^(١) وذكر بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ امِّثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] أنها كلمة التوحيد. لا إله إلا الله.

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣ رقم (٢١٥٢٥) حسن لغيره.

فاتقوا الله عباد الله وحققوا توحيدَه في جميع أفعالكم،
وأخلصوها لمولاكم واصلقوا مع ربكم، ووحدوه في جميع عباداتكم
تفلحوا وتفوزوا دنيا وأخرى.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا وأستغفر الله
العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو
الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله يبدى ويعيد، أحصى على الخلق أعمالهم فهو على كل شيء شهيد، أحمدده سبحانه وأشكره وأسأله من فضله المزيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تمنع قائلها يوم الوعيد، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، الذي دعا إلى الله تعالى حتى أقام الملة ورفع راية التوحيد، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهل الهجرة والنصرة والتأييد، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يبعث الناس من جديد. أما بعد :

عباد الله : إن من أهم ثمرات توحيد الله وتحقيقه أن يحقق التوحيد أتى بأفضل شيء يثقل الميزان يوم القيامة، روى الإمام أحمد بسند صحيح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أخبر أن نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موته: " آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا إله إلا الله؛ فإن السماوات السبع لو وضعت في كفة، ولا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكبر)..^(١)

(١) رواه أحمد رقم (٦٥٨٣). مسند المكثرين من الصحابة.

ومن ثمرات تحقيق التوحيد أن يدفع صاحبه لمعالي الأمور، ويرفع هامته فوق حطام الدنيا، فيستصغر ما يتنافس فيه أهلها، فهمته عالية، ومطلبه نفيس، وقلبه مليء بالإيمان واليقين، لأن من طلب المعالي هانت عليه سفاسف الأمور، ومن كان كذلك فرج الله همه، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة كما قاله عليه الصلاة والسلام^(١).

ومحقق التوحيد بصدق وإخلاص يسهل عليه فعل الخيرات، وترك المعاصي والمنكرات، ويسليه عن المصائب والمكروهات، فتخف عليه ولا يستثقلها، لما يرجو من ثواب الله تعالى، ويهون عليه ترك المعصية فيدعها لما يخشى من عقاب الله وعذابه، ويتحمل ما يقدره الله عليه لما يعلم من مردود ذلك في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون: هذا هو توحيد الله في أفعال العباد، وهذه أهميته وشيء من ثمراته، وهذا ما يناله الموحدون الذين عرفوا أنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها، فهو إلهها ومعبودها ووليها ومولاه، وهو ربها ومدبرها، ورازقها، وشافيها، ومحييها ومميتها، فمحبته نعيم النفوس وحياة الأرواح وسرور النفوس وقوت القلوب، ونور العقول، وقرّة العيون، وعمارة الباطن فليس عند القلوب السليمة،

(١) أخرجه أبو داود رقم (١٦٧٠) والترمذي رقم (٢٤٦٥) وابن ماجه رقم (٤١٠٥) وأحمد رقم (٢١٦٣٠).

والأرواح الطيبة والعقول الزاكية أحلى ولا ألد، ولا أطيب ولا أسر، ولا أنعم من محبته، والأنس به والشوق إلى لقائه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في لبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له أتم من كل نعيم، واللذة التي ينالها أطعم من كل لذة، حتى قال قائلهم: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم في عيش طيب، أ. هـ قاله ابن القيم رحمه الله.

أيها المسلمون:

إن من الغبن الفاحش والخسارة والهلاك ما يسود بعض الناس من بُعد عن هذا التوحيد، وتكاسل عنه، يظهر هذا في أقوالهم وسلوكهم وتصرفاتهم وعلاقاتهم بربهم جل وعلا، وما نراه منتشرًا في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي من الطواف بالأضرحة وعبادتها ودعائها ورجائها والخوف منها، أو اللجوء إلى السحرة والكهان والمنجمين وقراءة الكف والفتجان، والتعلق بالأبراج، والأفلاك، والاستسقاء بالنجوم وطلب الغيث منها، والتعلق بالدنيا وتحكيمها أو تحكيم القوانين الوضعية في مجالات الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية أو التربوية وغيرها، أو اللجوء إلى الأعراف القبلية المعارضة لدين الله تعالى، كل هذه وأمثالها من مناقضات هذا التوحيد أو منتقصات كماله.

أيها المسلمون:

إن الشرع مبناه على تصحيح دين الناس بنبذ الأوثان وترك
التعلق بالمخلوقين، والسمو بعقولهم لنبذ الخرافات والخزعبلات،
والتوجه للأخذ بالأمور النافعة التي ترقى بهم بين الأمم، فتصلح
أحوالهم، وتزكي نفوسهم، ولا يكون ذلك إلا بالعمل بمقتضى كتاب الله
وسنة رسوله ﷺ، فاتقوا الله عباد الله، وجددوا توحيدكم، وقوّوا ثقتكم
بربكم، وراجعوا علاقتكم به، وصلوا وسلموا على رسولكم، كما أمركم
الله جل وعلا في كتابه العظيم حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ٥٠.

الإخلاص أساس التوحيد

الخطبة الأولى

الحمد لله أمرنا بتوحيده، وإخلاص العبادة له، أحمده سبحانه وهو المستحق للحمد كله، وأشكره وهو أهل الشكر دقه وجله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، الذي عبد الله حق عبادته، وجردّها له، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين والسائرین على نهجه، والمقتفين ملته، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين. أما بعد:

عباد الله: اتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، فإن أجسامكم على النار لا تبصر ولا تقوى.

أيها المسلمون: في خطب سابقة تعرضنا بشيء من التفصيل إلى ما تقوم به عقيدة المسلم، غير أن هذا الإيمان لا يتحقق إلا بأن يصحبه اعتقاد وقول وعمل، فالإيمان ليس مجرد دعوى لسانية، أو شيء في القلب دون أن يحقق بعمل، وغير أن هناك أمراً في غاية الأهمية، به يُقبل الإيمان والعمل، وبه يكون صالحاً، وبه تتحدد الغاية من العمل، وهو مفرق الطريق، وأهم أعمال القلوب، وهو موجه الأعمال، ومفتاح دعوة الرسل، ذلكم هو إخلاص هذا الإيمان وإخلاص العمل كله لله سبحانه وحده لا شريك له وابتغاء وجهه فيه، قال عنه شيخ الإسلام ابن

تيميه رحمه الله: " وهو من أصول الإيمان وقواعد الدين".

والله سبحانه وتعالى أمر بالإخلاص في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥] وقال سبحانه: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] وقال جل وعلا: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] قال الفضيل بن عياض: أخلصه وأصوبه.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه" (١).

وحقيقة الإخلاص أن يفرد العبد ربه بالقصد والنية تجاه قيامه بطاعته، وأن يصفى أعماله كلها من كل شائبة كملاحظة المخلوقين وتزيين العبادة من أجلهم، أو ملاحظة أمور الدنيا.

والإخلاص - عباد الله - أمر دقيق تجب ملاحظته ومعاهدته حتى يحافظ الإنسان على أعماله وتكون مقبولة عند الله تعالى، فلا يؤجر الإنسان على عمله ولا يثاب إلا بتجريد هذا الإخلاص.

روى البخاري رحمه الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد، باب تحريم الرياء (٧٦٦٦).

فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" (١).

فمهما كان العمل صالحاً إذا لم يكن القصد منه وجه الله تعالى ورجاء ثوابه وخوف عقابه، وإنما انحرف هذا القصد يميناً أو يساراً فلا يقبل. يستوي الاثنان في صلاتهما وقيامهما وأعمالهما الصالحة من حيث الظاهر لكن الأول أخلص هذه العبادة وقصد بها وجه الله تعالى، ونوى بها تلبية نداء الله واستجابة أوامره فهذا مأجور على فعله، مثاب عليه، آمِنٌ من عقاب الله تعالى وعذابه، مطمئن في دنياه وآخرته.

والآخر أراد عرضاً من أعراض الدنيا كالرياء والسمعة والمال والمنصب والجاه، فهذا غير مأجور، بل مأزور معاقب في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون:

قد بيني الإنسان بيتاً عظيماً، ويزخرفه زخرفة جميلة، ويجتهد في تحسين منظره، ويبدل أموالاً طائلة، وقد يغرس غرساً جميلاً، فيه أنواع من الزروع والثمار، والخضرة والجمال، ولكنه أسس هذا وذاك على أسس غير سليمة فلا تثمر هذه المزرعة ولا يعمر ذلك البيت. فيذهب

(١) رواه البخاري (١)، كتاب بدء الوحي، ومسلم، كتاب الإمامة (٣٢٦).

كل الجهد هباءً منثوراً، وهكذا الأعمال الصالحة إذا لم تُبنَ على أساس الإخلاص.

أيها المسلمون:

بالنية الصالحة تنقلب العادات المباحة التي يعملها الإنسان في يومه وليلته كالمآكل والمشارب والنوم والسياسة المباحة، والمسامرة لأهله وأصحابه، تنقلب إلى عبادات يؤجر عليها إذا قصد بها المقاصد الحسنة. اثنان يرقدان على فرشهما؛ الأول توضأ قبل نومه، وذكر الله تعالى بالأذكار المشروعة، واستغفر ربه ونقى قلبه من كل شائبة ووضع يده اليمنى تحت خده ونوى بهذا النوم الراحة والتقوي على طاعة الله تعالى، ووضع المنبه لإيقاظه لصلاة الفجر، أو قبله للتهجد، وعزم على ذلك فهذا يثاب على نومه ويؤجر عليه، والآخر رقد على فراشه دون وضوء أو ذكر لله تعالى أو محاسبة لنفسه ولم يحدد ساعة استيقاظه بصلاة الفجر فهذا يأثم على فعله ويحتسب عليه نومه، أرايتم عباد الله كيف يعمل الإخلاص؟ يجعل حياة الإنسان كلها أجراً وثواباً وتوفيقاً وتسديداً، ولذا على المسلم أن يجتهد في هذا الإخلاص، ويكثر من دعاء الله سبحانه وتعالى بتحقيق هذا الإخلاص، ويدرب نفسه على ذلك ويحاسبها.

أيها المسلمون:

إن من لم يخلص في عبادته لربه، ولم يجرد توحيده له، وتشعبت به نواياه يمنة ويسرة، قد عرّض نفسه لخطر عظيم ومهلكة كبيرة لا يخرج منها في الدنيا والآخرة، ومن أشد هذه المقاصد السيئة التي تنافي الإخلاص الرياء بالعمل بمعنى أن يقصد بعمله أن يرى الناس حسن علمه؛ فإن كان من أهل الإنفاق أراد أن يمدحه الناس على إنفاقه، وإن كان من أهل التعليم والقراءة أراد أن يثني عليه الناس بقراءته وعلمه، وإن كان عابداً أراد أن يشير الناس إلى عبادته.

فاتقوا الله عباد الله! واحذروا انحراف النية لغير الله، فإنها مهلكة في الدنيا والآخرة، نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا.. وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الإله الحق المبين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

عباد الله : ومن أخطر المقاصد السيئة العجب في العمل، فيرى أنه قدّم عملاً جليلاً لم يسبق إليه، أو حسن صلاته بما لم يستطع أحد أن يجاريه فيها، أو أنفق إنفاقاً لم يقدر أحد أن ينفق مثله، أو قدّم أعمالاً إغاثية ودعوية أو أمر بمعروف ونهى عن منكر فغيّر بسببه فأعجب بهذه الأعمال ونحو ذلك، فيتسلل إليه الشيطان فيفسد عمله من طريق هذا الإعجاب.

ومن المقاصد السيئة التقرب إلى فلان أو علان لكونه مسؤولاً أو صاحب مال فيظهر أنه من أهل الخير والصلاح، ويمدح الآخر بما ليس فيه طلباً لمال أو جاه أو منصب.

ومن تلك المقاصد السيئة ما يفعله بعض الناس من كثرة ذم نفسه، وأنه ليس أهلاً لهذا العمل، وهو يريد عندهم أن يمدحوه بالتواضع، قال مطرّف بن الشّخير " كفى بالنفس إطراءً أن تذمها على

الملا كأنك تريد بدمها زينتها وذلك عند الله سفه".

أيها المسلمون:

لقد جاء الوعيد الشديد لمن انحرف مقصده عن الله تعالى وطلب بنيته تلك المقاصد ونحوها، روى مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد - أي استشهد في المعركة - فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلك لأن يقال جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.. " ^(١) ثم ذكر رسول الله ﷺ مثله قارئ القرآن ومعلم العلم ليقال عالم أو قارئ، ومثله المنفق أمواله ليقال جواد كريم.

أيها المسلمون:

إن على المسلم أن يجاهد نفسه على هذا الأمر العظيم والمطلب الجلل، سئل سهل بن عبد الله التستري : أي شيء أشد على النفس ؟ قال: "الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب".

ومن تخوف من الوقوع في المقاصد السيئة، أو أحس من نفسه

(١) رواه مسلم (٥٠٣٢)، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار والنسائي

(٣١٣٧)، كتاب الجهاد، باب من قاتل ليقال فلان جريء

ذلك فعله بمعالجتها، وذلك بأن يعلم العبد علماً قاطعاً بأنه عبد محض لله سبحانه وتعالى، وأن يشعر بعظيم نعم الله تعالى عليه وفضله وتوفيقه، فكل خير بفضل من الله ومنته وكرمه، ومن العلاج أيضاً أن يتذكر العبد ما أعد الله للطائعين، وما توعد به العاصين، فيشعر نفسه بعقوبة هذا الرياء، وأن ما يناله من الدنيا لا يساوي شيئاً فكيف إذا كان وبالاً، ومن الخير للعبد أن يجعل لنفسه بعض الأعمال الخاصة التي لا يطلع عليه إلا الله تعالى.

ومن مواضع العلاج أيضاً أن يعالج نفسه بكثرة الدعاء والتعوذ بالله من المقاصد السيئة، وليكثر من هذا الدعاء: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم فإنه يذهب عنه صغار الشرك وكباره كما صح عن رسول الله ﷺ^(١)، ومما ينبغي أن يحذر منه عدم ترك العمل خوفاً من الرياء فهذا باب من أبواب الشيطان، فليحذر من ذلك أشد الحذر.

وصلّوا وسلّموا على من أمركم الله بالصلاة عليه فقال جل من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(١) انظر: الأدب المفرد (١/ ٢٥٠ ح ٧١٦). وصححه الألباني.

مَظَاهِرُ ضَعْفِ التَّوْحِيدِ وَسُبُلُ عِلَاجِهِ

الخطبة الأولى

الحمد لله ، نحمدك، ونستعينك، ونستغفرك، ونتوب إليك، ونثني عليك الخير كله، نحمدك اللهم كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك، لك الحمد كله وإليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد بعد الرضا، ولك الحمد كالذي نقول، وخيراً مما نقول، ولك الحمد كالذي تقول، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وزوجاته أمهات المؤمنين، وأصحابه الغر الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

عباد الله!

اتقوا الله ربكم، تزكو نفوسكم وتصلح أحوالكم، وتستقيم شؤون حياتكم، وتفوزوا برضا ربكم، وتدخلوا جنة مولاكم. أيها المسلمون!

فقد تعرضنا في خطب سابقة لبيان التوحيد، وتوضيح أهميته، وعظم شأنه، توحيد الله في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، من قام بهذا التوحيد فاز بتلك النعم العظيمة، وحاز تلك الفضائل الجسيمة.

أيها المسلمون!

غير أن الناظر في تعامل كثير من الناس اليوم - وعلى مر التاريخ - مع أوجب الواجبات، وأهم المهمات ليرى عجباً من تساهلهم في تطبيق هذا التوحيد، يظهر ذلك بوضوح في ارتكابهم لأخطاء تخذش أصل التوحيد، وتخرج صاحبه من الملة، وتخلده في النار، وأخطاء أخرى تنقص كماله، وتعرض صاحبه للعقوبة والعذاب، والخسارة في الدنيا والآخرة.

هذه الأخطاء العظيمة نستعرض بعضاً منها بياناً لها، وتنبهاً لمن وقع فيها عسى أن يتدارك أمره قبل فوات الأوان.

رأس هذه الأخطاء، ومصدرها عدم معرفة الله تعالى حق معرفته، وعدم استشعار تلك المعرفة، أو تجاهل تلك المعرفة، ومن وقع في هذا الخطأ الجسيم، هان عليه كل أمر، فلا رادع يردعه عن المعصية، ولو كانت شركاً أكبر، أو شركاً أصغر، فمثل هذا فتح المجال لهواه وشيطانه ونفسه، فقادوه إلى المهالك، وأوقعوه في أردى الموارد، فتراهم متنقلاً بين معصية وأخرى، ينام على فراشه خاتماً يومه بذنب اقترفه، مستيقظاً على آخر، غافلاً عن أوامر ربه، ناسياً أو متناسياً تعاليم مولاه، يتقلب في بحور الشهوات البهيمية، وقلبه مليء بالشكوك والشبهات الشيطانية، لا يقر له قرار في عبادة، متشاغلاً بأمور دنياه عن دينه، نسي أو تناسى أن الله تعالى أخبر عن نفسه سبحانه قائلاً: ﴿وَعَنْدَهُ

مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩]
 وأخبر عن نفسه سبحانه بقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]. فحري بك أيها المسلم! وأنت تنتمي إلى هذا التوحيد أن تستشعر عظمة ربك وخالقك ومولاك، وأن تعظم أوامره، وتقف عند حدوده، وتجتنب ما نهاك عنه.

أيها المسلمون:

ومن مظاهر ضعف التوحيد في النفوس، بل هو من أعظمها وأشدّها خطراً، التعلق بغير الله سبحانه وتعالى، والركون إلى المخلوقين أحياء وأمواتاً، والتشفع بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، وطلب الحاجات والمدد منهم، ودعائهم والاستغاثة بهم، والطواف حول قبورهم وأضرحتهم، وطلب شفاء الأمراض منهم، ومثل ذلك التعلق بالسحرة والمشعوذين، وتصديق الدجاجة والكذابين، والركون إلى الكهنة والمنجمين، وبذل الأموال الطائلة لهم، وتلبية تعاليمهم وأوامرهم، ولو كانت كفراً بواحاً كالذبح للشياطين، وتمزيق كتاب الله تعالى، ودوسه بالأقدام، أو رميه في الحمام، أو البول عليه، ونحو ذلك من الكفريات الصريحة، كذلك طلب أحوال المستقبل وتصديقهم فيها، وبناء حياتهم عليها، ومثله تعلق القلب حال الإصابة بمصائب وأمراض

بهم، أو التعلق بالطبيب والاعتماد عليه من دون الله، واعتقاد أن الشفاء بأيديهم، والنفع والضرر عندهم، فهذه كلها وأمثالها من أعظم المنكرات، وأفدح الأخطاء القادحة في التوحيد؛ إذ هي شرك أكبر مخرج عن الملة، فهل يتنبه من وقع فيها أو في أحدها وأمثالها فيصحح وضعه، ويقوم نفسه، وينقي توحيده، ويعود إلى ربه؟

ومن مظاهر ضعف التوحيد: التكاسل عن أداء العبادات والتثاقل في فعل الطاعات، وإن أداها فحركات جوفاء يؤديها بجسده، وقلبه يتقلب في أحوال الدنيا، وأمثال هؤلاء يصدق عليهم قول الله تعالى في المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالً يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

ومن مظاهر ضعف التوحيد؛ الوقوع في المعاصي واستسهالها واستمراؤها والإصرار عليها، وعدم القلق حال ارتكابها أو الخوف من نتائجها، وأعظم من ذلك المجاهرة بها، والتحدث عنها، أو التفاخر فيها وإشهارها، وكأنها من النعم المسداة إليه، جاء في الحديث الصحيح: "كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل عملاً بالليل وقد ستره الله، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه" ^(١) وإن من المجاهرة

(١) رواه البخاري (٦٠٦٩)، كتاب الأدب، ستر المؤمن على نفسه ومسلم (٧٦٧٦)، كتاب الزهد، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه.

ترك الصلاة لجار المسجد والقريب منه، وحلق اللحى، وشرب الدخان علانية، وغيرها مما لا يخفى.

ومن مظاهر ضعف التوحيد في النفوس: الخوف من المستقبل، خوفه من عدم رزقه، أو على رزق أولاده، وهلع النفس تجاه ذلك، والقلق الشديد فيه، ومثل هذا لم يستشعر أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يقدر المقادير كلها، وأن الغنى والفقر، والرخاء والشدة كلها بيد الله وحده، وأنه هو الذي يعطي ويمنع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، وإليه يرجع الأمر كله سبحانه وتعالى من حكيم عليم.

إن الذي يقع في هذا الخوف قد أخطأ على نفسه وجنى عليها ولم يتوكل على ربه، ولم يؤمن بقوله: ﴿ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغَ أَمْرَهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ومن مظاهر ضعف التوحيد: التعلق بالدنيا وملذاتها وشهواتها، والنظر بعين الغيرة والحسد إلى من أوتي حظاً كبيراً منها، واعتبار السعادة، وبلوغ الأماني في الحصول عليها، والبعد عن الآخرة وضعف العمل لها، فتجد مثل هذا ممسكاً ماله حريصاً عليه، لا ينفق في معروف، ولا يعطف على مسكين، ولا يرحم يتيماً، ولا يحسن إلى

فقير، يخشى الفقر، ويأمل الغنى، مسرفاً في شهوات نفسه، ولو كان في الحرام، مقتراً في الواجبات فضلاً عن المستحبات.
أيها المسلمون:

إن من الخير للمسلم، وقد أمدّه الله بعمر ووقت، وأنعم عليه بنعم لا تحصى، حري به أن يتحسس نفسه، ويتبين مواضع نقص التوحيد عنده، ونقاط الضعف فيه، فيحاسب نفسه، ويجدد العهد مع ربه، ويعالج النقص الذي وقع فيه قبل أن يندم، ولا تنفع ساعة الندم.
نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه، اللهم اجعلنا هداة مهتدين، واختم لنا بالخير أجمعين، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله رب العالمين، لي ولكم فاستغفروه ، فيا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله العزيز الغفار، يَكْوَرُ النهار على الليل، ويَكْوَرُ الليل على النهار، أحمده سبحانه وأشكره، على فضله المدرار، ونعمه الغزار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو بها دخول الجنة، والنجاة من النار، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين وحدوا ربهم، ولم يعظموا القبور والأحجار والأشجار، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد : أيها المسلمون!

إن المسلم الحق هو الذي يصوغ حياته كلها على هذا التوحيد الخالص، وينطلق في جميع فرعيات معتقده وسائر أعماله من هذا التوحيد، ويعدل سلوكه ويقيم تصرفاته ويبني علاقاته على هذا الأساس المتين، والقاعدة الراسخة، ويعمل الوسائل والأسباب المعينة على تمكين التوحيد وترسيخه في القلوب، وتثبيته في النفوس وظهوره على اللسان، والعمل به بالجوارح والأركان، فهو كالشجرة اليانعة المثمرة كلما سقيت نمت وترعرعت.

أيها المسلمون!

من أهم هذه الوسائل التي يعالج بها تلك الأخطاء السالف

ذكرها في الخطبة الأولى: التعرف على الله حق معرفته، فيعرف العبد أن الله تعالى خالقه ورازقه ومحبيه ومميته، ومدبر أمره كله، وشافيه وكافيه، ومصرف أحواله، وعالم خفياته والمطلع على سره ونجواه، فمن عرف الله تعالى حق هذه المعرفة وحّده في طاعته وعبادته.

ومن الوسائل أيضاً: استشعار عظمته سبحانه، وتصور ذلك كله في كل قول يتلفظ به العبد، أو عمل يقوم به، أو تصرف يمارسه، أو اعتقاد يختلج في صدره، فإذا كان كذلك عبده حق عبادته.

ومن وسائل تقوية التوحيد وعلاج أخطائه: عمل الفرائض التي فرضها الله تعالى على العباد، والحرص على ذلك، والمداومة عليها، واستشعار وجوبها، وتصور فضلها وقد أخبر الرسول ﷺ عن ربه أنه ما تقرب إليه عبدٌ بأحب مما افترضه عليه ^(١)، ومن أحب مولاه نفذ أوامره، ولبى طلباته، وقام بفرائضه، وواجباته.

ومن وسائل تثبيت التوحيد في النفوس: تجنب المعاصي صغیرها وكبیرها، فلا تنظر إلى صغر ذلك الذنب ثم تستهين بتلك المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت، ومن ترك المعاصي واستشعر عظم الذنب حري بأن لا يخدش توحيده، بل يكون ذلك عاملاً قوياً في تثبيته ونمائه.

(١) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري (٦٥٠١)، كتاب الرقاق، باب التواضع.

ومن الوسائل أيضاً : التزود بالعلم الشرعي لمعرفة ما يجب عليك تجاه ربك، ولمعرفة أحكام الحلال والحرام، وما يقرب إلى المولى وما يزيد في محبته وتعظيمه فالعلم نور الأبصار والبصائر، وضياء القلوب، ومير العقول، به يعرف الحق من الباطل، ويميز الخطأ من الصواب، وهو ميراث الأنبياء وخير الأعمال النوافل، فليحرص العبد على هذا العلم، فيتعلم ويسأل ويناقش، وقد تيسرت والله الحمد سبل العلم والتعلم.

ومن الوسائل أيضاً: الإكثار بقدر ما يستطيع العبد من نوافل العبادات فهي تجبر النواقص من الفرائض، وترفع الدرجات وتكفر السيئات، وتقوي الإيمان، وتعمق التوحيد، وتورث الخشية، ويتبع ذلك: الإكثار من الأذكار، وقراءة القرآن، وبذل الخير والمعروف، ونفع الناس وحبهم ومودتهم.

ومن الوسائل أيضاً المثبتة للتوحيد والمعالجة لأخطائه: تطهير القلوب من الحسد والحقد، والبغض والكراهة، وحب أذى الناس والفرح بما يقع عليهم من الإيذاء، فطهارة القلب وحب المسلمين من عوامل تقوية الإيمان وقوة التوحيد.

فاتقوا الله عباد الله وراقبوا توحيدكم وجددوه في نفوسكم، وقوموا بالعوامل المساعدة لكم في ذلك، وصلوا وسلموا على البشير النذير، والسراج المنير، كما أمركم الله تعالى في محكم التنزيل فقال جل من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

من نواقض التَّوْحِيدِ : الشُّرْكُ بِاللَّهِ

الخطبة الأولى

الحمد لله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، ولو جحد ذلك الجاحدون، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، حَمَى حِمَى التوحيد، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، فإظهر الله به دينه على الدين كله، ولو كره المشركون، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن على طريقتهم يسرون، أما بعد :

عباد الله ! اتقوا الله تعالى واعتصموا بحبله حق الاعتصام، واستمسكوا بالعروة الوثقى التي ليس لها انفصام، واحذروا من نواقضها تدخلوا الجنة بسلام.

أيها المسلمون! في خطب سابقة ألمحنا إلماحات سريعة في بيان توحيد الله سبحانه وتعالى، وأنواعه وفضله، وضرورة التمسك به، وتوحيده في الاعتقاد، وتوحيده في العبادة، وتوحيده في التشريع، توحيد تنقى به القلوب والضمائر من الاعتقاد في ألوهية أحد غير الله، وتنقى به

الجوارح والشعائر من أن تصرف لأحد غير الله، وتنقى به الأحكام والشرائع من أن تتلقاها من أحد دون الله، هذا التوحيد الذي يطالب به المكلف له مقتضيات ولوازم من الإخلاص والمحبة والتوكل والخوف والرجاء والدعاء والاستغاثة والاستعاذة يجب على المرء المسلم أن يحققها اعتقاداً وعملاً ممارساً في واقع حياته.

أيها المسلمون! وإن من أخطر ما يتعرض له التوحيد أن ينقض بناقض من نواقضه، وأن يجرح جرحاً يؤثر عليه، وأعظمها وأخطرها وأشدها هو الشرك بالله عز وجل في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، ولقد حذر الله سبحانه وتعالى من هذا الشرك، وأمرنا بنبذه والبراءة من أهله والإعراض عنه، قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ۖ﴾ [الحج: ٢٦] وقال عز وجل: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبُ يَنْبَغِي إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝١٣٢ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَابَاؤُكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝١٣٣﴾ [البقرة: ١٣٢، ١٣٣] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝١٥﴾ [الزمر: ٦٥] وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۖ﴾ [الرعد: ٣٦].

أيها المسلمون! الشرك بالله أعظم الذنوب وأكبرها وأقبحها وأجرأها على الله تعالى، وهو ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض، وحجب متراصة، فهو يجعل الإنسان عبداً للمخلوق دون الخالق، به تنقلب التصورات الحقّة إلى باطل محض، والباطلة حقاً مزيفاً، جحdan للخالق وصرف حقه أو شيء من حقه إلى غيره.

الشرك - عباد الله - نوعان: أولهما: شرك أكبر يخرج صاحبه من الإيمان بالله ويدخله في الكفر، وهذا أخطرهما وأعظمهما، وهذا الشرك: أن يجعل العبد لله نداً وشريكاً في ربوبيته، أو في ألوهيته أو في أسمائه وصفاته أو في تشريعه وأحكامه أو أن يصرف نوعاً من أنواع العبادة لغيره جل وعلا.

فالشرك في ربوبيته: إما أن يجحد الله سبحانه وتعالى كما فعل فرعون عندما قال: ﴿وَمَارِبُ الْعَلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] ، وكشرك ملاحدة هذا الزمان وما قبله الذين يجحدون وجود الخالق سبحانه، ومن شرك الربوبية أن يعتقد العبد أن مع الله تعالى شريكاً له في الخلق أو الملك أو التدبير، وهذا كشرك النصارى الذين جعلوا الله ثالث ثلاثة كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

والشرك الثاني: الشرك في توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۚ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠] قال ابن عباس رضي الله عنهما: يلحدون في أسمائه: أي يشركون. وهؤلاء كمن يشبه الله تعالى بخلقه فيقول: يده كيدي ووجهه كوجهي.

أما الشرك الثالث: فهو الشرك في توحيد الألوهية، والعبادة، وذلك بأن يجعل الله تعالى شريكاً فيما يستحقه من العبادة بجميع أنواعها بأن يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله، كأن يدعو غير الله، أو يسأله الشفاعة، أو يرجوه كما يرجو الله، أو يحبه كما يحب الله وفي الجملة بأن يجعل لله نداً يعبد كما يعبد الله، أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة التي له سبحانه، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] وقال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنبِئُوكُمُ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨٠].

أيها المسلمون! ومن أمثلة ما وقع من الشرك في واقع كثير من المسلمين دعاء غير الله تعالى من شمس أو قمر أو نبي أو ولي، أو قبر أو ضريح في تفريج كربته، أو شفاعة لله سبحانه وتعالى وتوسل له، أو تحقيق مطلوب لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، فتجد هذا المسكين يطوف حول القبر ويستغيث بصاحبه ويناجيه من دون الله، ويعرض عليه مشكلته وما اعتراه من الهم والغم ويريده ملبياً لحاجته.

أيها المسلمون! والنوع الثاني من الشرك وهو ما يسميه أهل العلم بالشرك الأصغر، ولكنه أصغر من حيث الاسم، أما من حيث المعنى والحقيقة فهو عظيم، بل ومن أكبر الكبائر، ويستحق صاحبه العقوبة والجزاء، وهذا الشرك هو ما كان وسيلة وذريعة إلى الشرك الأكبر، ومما جاء في النصوص تسميته شركاً أصغر كييسر الرياء، والتصنع للمخلوق فيعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة أخرى، ولا يكون العمل خالصاً كله لله عز وجل.

ومن الشرك الأصغر: الحلف بغير الله تعالى كأن يحلف بالنبى أو بالحياة ونحوها، قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام أحمد وغيره بإسناد جيد: "من حلف بغير الله فقد أشرك".^(١)

ومن الشرك الأصغر: قول: ما شاء الله وشئت، أو لولا الله وأنت، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، وأرشد إلى قول: ما شاء الله وحده، ومنه توكلت على الله وعليك، ولولا كذا لحدث كذا، مثل لولا السيارة جيدة لوقع حادث، ومن أخطر أنواع الشرك الأصغر ما يقع لبعض الناس في عباداته من إطالة صلاته، أو ينفق ماله ليمدحوه ويشنوا عليه، وهذا مدخله سهل على النفوس، يتوصل به الشيطان إلى أن يوقع

(١) رواه أبو داود (٣٢٥٣)، في الأيمان والنذور باب في كراهية الحلف بالآباء، والترمذي في النذور والأيمان برقم (١٥٣٥) باب ما جاء في أن من حلف بغير الله فقد أشرك، وقال: هذا حديث حسن، والنسائي رقم (٤٠٧٩) وأحمد برقم (٥٣٦٧) من حديث عبدالله بن عمر.

صاحبه في الشرك الأعظم فيحرف نيته كلها لأن تكون لغير الله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام محذراً من خطورة هذا الشرك: "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"^(١) وسماه شركاً خفياً.

فاتقوا الله سبحانه وتعالى واحذروا من هذا الناقض العظيم من نواقض التوحيد، والقادح الأكبر من قوادحه، واسألوا الله الثبات على دينه، نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه النسائي رقم (٢٥٨١) وأحمد رقم (٥٨٨٥).

الخطبة الثانية

الحمد لله وسعت رحمته كل شيء وعمت، وتوالت نعمه على عباده وتمت، أحمده سبحانه وأشكره قامت بعبادته وتوحيده النفوس المؤمنة فاطمأنت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أمر بالتوحيد ونهى عن الشرك حتى ارتفعت راية الملة واستتمت، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ما تعاقب الليل والنهار، وازدهرت النجوم واستكنت، والتابعين ومن تبعهم واهتدى بهديه إلى يوم يبعث الإنس والجنة.

أما بعد : عباد الله ! لقد انتشر في واقع كثير من المسلمين مظاهر من الشرك خطيرة، أفسدت عليهم عقيدتهم، وقدحت في توحيدهم، منها: الاستغاثة بغير الله تعالى، وهي طلب الغوث من جلب خير ومنفعة، أو دفع شر وأذى، والاستغاثة نوع من أنواع العبادة يجب إخلاصها وتجريدها لله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] .

وقال عليه الصلاة والسلام: " إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله). ^(١) ويحذر من أن يصرفها أحد لغير الله تعالى؛ كالذين يستغيثون بالموتى، مثل أن يستغيثوا رسول الله ﷺ بعد موته، أو بغيره من الناس

(١) أخرجه أحمد رقم (٢٢٧٥٨).

من أصحاب القبور؛ فيناديهم هذا المستغيث ليفرجوا له كربة ويدفعوا عنه أذى، ويجلبوا له نفعاً.

ومن أشنعه وأقبحه الاستغاثة بالجن، وطلب النصره منهم، واللجوء إليهم في قضاء الحاجات، وربما يتعدى ذلك إلى طلب الضرر بالآخرين، وقد يقدم لهم أعمالاً شركية أخرى، كتمزيق المصحف، ووضعه تحت الأقدام، أو البول عليه، أو الذبح لهم، فهذا كله من الشرك الأكبر.

ومما ينبغي التنبيه له أن الاستغاثة بالحي الحاضر القادر فيما يقدر عليه كأن يستغيث غريق بشخص لينقذه من الغرق، أو يستغيث شخص بآخر ليقضي حاجة دنيوية له، فهذا لا حرج فيه، ومن مظاهر الشرك المنتشرة دعاء غير الله سبحانه، مثل دعاء أصحاب القبور لتفريج الكرب، وقضاء الحاجات وشفاء الأمراض ونحوها، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) [الجن: ١٨]، وقد أمر الله تعالى بدعائه وحده والتوسل إليه وحده، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) [البقرة: ١٨٦].

ومن المظاهر الشركية الأخرى، الذبح لغير الله تقرباً إليه ليقضي حاجة أو يحل مشكلة، ومنه الذبح للأموات أو للجن والشياطين، قال

تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخَرَّ ۝ ﴾ [الكوثر: ٢] وقال عليه الصلاة والسلام: "لعن الله من ذبح لغير الله".^(١)

ومن المظاهر أيضاً: الطواف حول القبور والأضرحة، والتمسحُ بها، والبكاء والتوسلُ بصاحب هذا القبر وذاك الضريح، ودعاؤه من دون الله تعالى.

ومن المظاهر الشركية: أيضاً ما يتسلل به الشيطان إلى نفوس كثير من المسلمين من عدم قبول شرع الله تعالى، أو مساواة تشريعات المخلوقين بشرع الله عز وجل، فيرفض حكم الله تعالى، ويقدم حكم غيره عليه، كالذي يرضى قانون الأرض والناس دون حكم الله تعالى، أو يعترض على تشريع من تشريعاته سبحانه.

فاتقوا الله، عباد الله! وطهروا قلوبكم وأعمالكم من هذه المظاهر الشركية الكبرى وغيرها، وصلوا وسلموا على النبي المصطفى والرسول المجتبي، ﷺ كما أمركم الله تعالى في محكم التنزيل فقال جل من قائل: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

(١) رواه مسلم (٣٩٥٢) في الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله، والنسائي (٤٤٢٢) في الضحايا، باب من ذبح لغير الله عز وجل.

التحذير من وسائل الشرك

الخطبة الأولى

الحمد لله إقراراً بوحدانيته، اختص أهل الصدق والتوحيد بصدق معاملته، ومنّ على العاصي بقبول توبته، أحمده سبحانه وأشكره على سوابغ نعمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المفضل على جميع بريته، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسار على نهجه وملتته.

أما بعد : فاتقوا الله عباد الله ، فمن اتقى الله وقاه، ومن لاذ به حماه، وأسعده ولا أشقاه.

أيها المسلمون!

أعظم نواقض التوحيد، ومفسدات العقيدة الشرك بالله سبحانه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] ، أمره عظيم ومصيبته كبرى، يخرج صاحبه من الملة، ويخلده في النار، ولا يغفر له ذنب، وقد عرفنا هذا الشرك وأنواعه وخطره، فحري بالمسلم أن يتبعد عنه، وأن يحذر من قربه، ويسأل الله أن يعيذه منه، وأن يتجنب الوسائل المؤدية إليه، والموقعة في شركه؛ ليقدم على ربه وصفحته بيضاء نقية منه.

أيها المسلمون!

والوسائل المؤدية إلى الوقوع في الشرك كبيره وصغيره متعددة وكثيرة وخطيرة. منها: الغلو في الصالحين، وإطراؤهم، والتجاوز في مدحهم والكذب فيه، ووضعهم في منزلة فوق منزلتهم، وهذا الغلو هو الذي أوقع قوم نوح في الشرك، فعندما غلوا في صالحهم، وصورهم، ووضعوا لهم تماثيل، فجاء من بعدهم، فظنوا أن هؤلاء لم تنصب تماثيلهم إلا لأنهم يستحقون أن يعبدوا، فكانت النتيجة أن عبدوهم.

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْدَرُ ۚ الْهَتَكُ وَلَا تَنْدَرُ ۚ وَدَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَفُوتَ وَيَعُوقُ وَشَرًّا ۚ﴾ [نوح: ٢٣] قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت) ^(١) قال بعض السلف في بيان هذا الأمر: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم، ولخطورة هذا الغلو حذر الرسول ﷺ منه، ولو كان في حقه عليه الصلاة والسلام، فقال صلوات الله وسلامه عليه: " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فقولوا: عبدالله ورسوله" رواه

(١) رواه البخاري (٤٩٢٠) في التفسير برقم سورة نوح.

البخاري^(١). والإطراء الزيادة والغلو في المدح والثناء بما لا يستحقه الممدوح.
أيها المسلمون!

ومن الوسائل المؤدية إلى الشرك أيضاً اتخاذ القبور مساجد، ولو كان قصد واضع القبر حسناً، فيأتي من يظن أن هذا القبر وضع لخصوصية فيه، فيكون مزاراً ومقصداً تشد إليه الرحال، ويطاف به، ويعتقد فيه من الاعتقادات الباطلة، فيطلب الشفاء من صاحب القبر، وتشكى إليه الحال، وقلة الزاد، والفقر والهم والغم، ورفع المصائب والأزمات عنهم، ونحو ذلك.

وقد حذر النبي ﷺ من هذا الأمر تحذيراً بالغاً، وشنَّ على فعله، جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما صنعوا.^(٢) وروى مسلم رحمه الله، عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال قبل أن يموت بخمس سنين: "إن من كان

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٤٥) في أحاديث الأنبياء باب قول الله (واذكر في الكتاب مريم).
(٢) رواه البخاري برقم (٥٨١٥، ٥٨١٦) في اللباس باب الأكسية والخمائن ومسلم برقم (١٥١٢) في المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك" (١).

وما بليت الأمة المسلمة اليوم في عصورها المتأخرة بأشد مما بليت بالتعلق بهذه الأوهام، والتمسك بهذه المعتقدات الباطلة التي يزينها الشيطان في نفوس كثير من المسلمين بجهل في دين الله عز وجل، وبعد عن تعاليمه، وصفاء عقيدته، إن الأمة حينما تبعد عن الله تعالى، ويكون همها وتعلق قلبها بهذه الوسائل، فإن الله سبحانه يتخلى عنها وتبقى في ذيل القائمة تابعة لا متبوعة.

أيها المسلمون!

ونحن نحذر من التعلق بالقبور والأضرحة، ينبغي أن نعلم أن زيارة القبور للدعاء للميت، وتذكر الآخرة وصلة الرحم، وللتأمل والمحاسبة، زيارة شرعية أمر بها الإسلام وحث عليها، وهذا هو المنهاج الشرعي في زيارة القبور، فلا تعظم ولا ترفع عن الأرض إلا شيئاً يسيراً، ولا يعلق عليها صور أو تماثيل أو مصابيح ونحوها، روى مسلم رحمه الله عن أبي الهياج الأسدي رضي الله عنه قال: قال لي علي رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ "أن لا تدع

(١) رواه مسلم برقم (١٢١٦) في المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته" (١) .

أيها المسلمون!

ومن الوسائل المؤدية للشرك بالله: التساهل بالألفاظ أو الكلمات، أو التعابير المتعلقة بالله سبحانه وتعالى دون التأمل والنظر والتأكد من سلامتها، فقد توقع في الشرك الخفي، وإن لم يقصد المتكلم بها معنى لا يجوز، بل ربما تجري على لسانه من غير قصد، كمن يجري على لسانه ألفاظ من أنواع الشرك الأصغر، وهو لا يقصدها مثل قوله: والله وحياتك، أو حياتي، وقول: ما شاء الله وشئت، أو لولا الله وفلان، ويدخل في ذلك: سب الدهر والزمان والليالي والأيام، وقد حذر النبي ﷺ من هذه الكلمات والعبارات وأمثالها، وجعلها من الشرك الخفي الذي هو أخفى من ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

جنبي الله وإياكم وسائل الشرك وذرائعه، وطهر قلوبنا من الشك والشرك والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق، ونفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه مسلم برقم (٢٢٨٧) في الجنائز باب الأمر بتسوية القبور.

الخطبة الثانية

الحمد لله سهّل للعباد طرق العبادة ويسّر، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، نبي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المحشر.

أما بعد :

عباد الله: تجري الليالي والأيام وتتجدد، والغافلون الهازلون في غمرة ساهون، وكأنما رضيت أمتنا- أمة الإسلام- في عصورها المتأخرة وأوضاعها المتردية ألا تأخذ من الحياة إلا الهامش ولا تهتم إلا لجزئها العابث، فلا تراها إلا في ذيل القائمة تتأثر ولا تؤثر، وتقاد ولا تقود، وكأنما همها أن تعيش عيشة الصعاليك على تقاليد الأمم وفضلاتها، لا تتميز بعقيدة، ولا تعتد بشخصية، ولا تفاخر بدين ولا مبدأ.

أيها المسلمون!

ومن الوسائل أيضاً : ما يقع في قلوب بعض المسلمين من حب الكفرة وأعمالهم والإعجاب بهم وبأنظمتهم المخالفة لشرع الله، أو

تفضيلهم على المؤمنين، مناقضين أصل الولاء والبراء لله ورسوله وللمؤمنين والبراءة من الكفر وأهله.

ومنها أيضاً: ما يقع عند بعض الناس من رغبتهم في التحاكم إلى غير شرع الله عز وجل، وإن كانوا يقرون بأن شرع الله أعظم وأفضل، ولكن حيث إن شرع غير الله يحقق لهم مصلحة دنيوية، أو يتمشى مع هوى ومزاج، فقدموا ما يتوافق مع مصالحهم على خضوعهم لشرع الله.

أيها المسلمون! إن تعامل كثير من المسلمين مع بعض مقتضيات عقيدة التوحيد ينبىء عن ضعف وخطر وغش في عقيدتهم وتوحيدهم، فلينبهوا لذلك ويصححوا أخطاءهم، ويجردوا أعمالهم وألستهم من كل ما يوقعهم في محذور.

فاتقوا الله عباد الله! وطهروا قلوبكم وأعمالكم من جميع وسائل الشرك، نفني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه، وصلوا وسلموا على النبي المختار كما أمركم الله تعالى في محكم التنزيل حيث قال عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦).

الطهارة - أهميتها وصفتها

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، يحب التوابين ويحب المتطهرين،
أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن سيدنا محمداً
عبده ورسوله الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله
وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما
بعد:

عباد الله! اتقوا الله تعالى بتطهير قلوبكم من الآفات، وتنظيف
أجسادكم من النجاسات، تفوزوا برضا ربكم ودخول جنة مولاكم.
أيها المسلمون!

بُعث محمد ﷺ بهذا الدين القويم الذي أتم الله به النعمة،
وفضل به هذه الأمة، وجعلها أمة نظيفة طاهرة، فمنذ بداية البعثة أنزل
الله تعالى عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَبَابَكَ فَفَتِّحْ ۝٤ وَالرَّجَزَ
فَافْهَرْ ۝٥﴾ [المدثر: ١-٥].

وقد جاءت التشريعات العظيمة أول ما جاءت بالحث على
نظافة الباطن قبل نظافة الظاهر، قال عليه الصلاة والسلام: "لا تحاسدوا
ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا

يحقره ولا يسلمه" ^(١) بل إن السعادة في الآخرة لا تكون إلا لصاحب القلب الطاهر النظيف، قال تعالى: (يوم لا ينفع مال ولا بنون* إلا من أتى الله بقلب سليم) [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

أيها المسلمون! وقلب المسلم مرآته، ينعكس عليها ظاهره وشكله وهيئته. ونظافة قلبه وسريته تؤدي به إلى نظافة ظاهره، ومن المعلوم عباد الله أن الصلاة عمود الإسلام، وأنها أول ما ينظر من أعمال العبد يوم القيامة، فإن كانت صالحة قبلت ونظر في سائر عمله، وإن كانت فاسدة ردت عليه ورد سائر عمله.

والصلاة- عباد الله- لا تصح بدون التطهر من الحدث الأكبر والحدث الأصغر، كما أنها لا تصح بالبدن الذي أصابته النجاسة أو بثوب نجس أو على بقعة نجسة، وهذا من أعظم الدلائل وأقوى البراهين لتطابق النظافتين واجتماع الطهارتين حساً ومعنى، ظاهراً وباطناً، وهذا التطهر أول شروط الصلاة، قال تعالى مفصلاً هذا المعنى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ

(١) أخرجه (٢٤٤٢) البخاري كتاب المظالم باب لا يظلم المسلم المسلم، ومسلم رقم (٦٧٠٣) في البر والصلة والآداب، باب تحريم التباغض والتحاسد والتدابير.

وَلَكِنْ يُرِيدُ يُطَهِّرْكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴿[المائدة:]

أرأيتم عباد الله! كيف جمعت هذه الآية الكريمة عناصر الطهارة الكبرى مع تيسير عظيم، ورفع للخرج وتمام للنعمة؟!

أول هذه العناصر، الوضوء، وأعضاؤه: الوجه، واليدان، والرأس، والرجلان، وصفته: أن ينوي المتوضىء بقلبه رفع الحدث، ثم يقول: بسم الله، ثم يغسل كفيه ثلاث مرات، ثم يتمضمض ثلاث مرات، ويستنشق ثلاث مرات، ويبالغ في المضمضة؛ بأن يدير الماء إلى أقصى فمه، ويبالغ في الاستنشاق؛ بأن يجتذب الماء إلى أقصى أنفه، إلا أن يكون صائماً، فإنه لا يبالغ في المضمضة والاستنشاق خشية أن يذهب الماء إلى حلقه، ثم يغسل وجهه من منابت الرأس المعتاد إلى ما انحدر من اللحيين والذقن طولاً، ومن الأذن إلى الأذن عرضاً، واللحية من الوجه يجب غسل ظاهرها ولو طال، ويستحب تخليل باطنها بالماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين ثلاث مرات، ثم يمسح جميع رأسه، بأن يضع يديه مبلولتين بالماء على مقدم رأسه، ويمرهما إلى قفاه، ثم يردهما إلى المكان الذي بدأ منه، والأذنان من الرأس يمسح ظاهرهما وباطنهما، وذلك؛ بأن يدخل أصبعيه السبابتين في خراقي أذنيه، ويدير إبهاميه على ظاهرهما، ثم يغسل رجليه إلى الكعبين، ويجب تعميم أعضاء الوضوء بجريان الماء عليها، فإن بقي منها شيء لم يصل إليه

الماء لم يصح وضوؤه؛ لما روى عمر رضي الله عنه أن رجلاً ترك موضع ظفر من قدمه اليمنى، فأبصره النبي ﷺ فقال: "ارجع فأحسن وضوءك" ^(١) رواه مسلم.

وإذا كان في بعض أعضاء الوضوء جرح يتضرر بالماء، فإنه يجنب الماء الجرح، ويغسل باقي العضو ويتمم عن موضع الجرح، وإن كان على الجرح غطاء من ضماد أو جبس ونحوه، فإنه يمسح عليه بالماء، ويكفيه عن غسله، وإذا كان على قدميه خفان أو جوربان صفيقان؛ فإنه يمسح عليهما يوماً وليلة إذا كان مقيماً، وثلاثة أيام بلياليها إن كان مسافراً، وذلك إذا كان لبس الخفين أو الجوربين متوضئاً.

أيها المسلمون! إذا فرغ من الوضوء استحلب له أن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ لما روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: "ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء" ^(٢) رواه مسلم، وزاد الترمذي: "اللهم

(١) رواه مسلم (٥٩٩) في الطهارة، باب وجوب استيعاب جميع أجزاء محل الطهارة.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٤٣٥) رواه مسلم (١٤٩) في الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء.

اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين" ^(١) والحكمة من قول هذا الذكر بعد الوضوء؛ ليجمع بين طهارة الباطن بشهادة التوحيد، وطهارة الظاهر بالوضوء.

عباد الله! هذا الوضوء لا يحافظ عليه إلا مؤمن، وهو من صفات الإيمان (الطهور شطر الإيمان) وهو علامة لهذه الأمة، يعرفون به يوم القيامة، جاء في الحديث: "إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء". ^(٢) والوضوء يغسل الخطايا، ويمحو الذنوب: "من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من أطْفارِه" ^(٣) وفي حديث عثمان رضي الله عنه: "من توضأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة": ^(٤). وفي حديث آخر: "ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينثر إلا خرت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا

(١) رواه الترمذي في الطهارة، باب فيما يقال بعد الوضوء (٥٥).

(٢) رواه البخاري (١٣٦) في الوضوء، باب فضل الوضوء والغر المحجلون من آثار الوضوء ومسلم (٦٠٣) في الوضوء، باب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء.

(٣) أخرجه مسلم رقم (٦٠١) وابن ماجه رقم (٢٨٢) وأحمد رقم (٤٧٦).

(٤) أخرجه مسلم رقم (٥٦٦) وابن ماجه رقم (٢٨٢) ومالك في الموطأ رقم (٦٢) وأحمد

خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء ، ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء".^(١)

أيها المسلمون!

هذا هو الوضوء، وهذا فضله وصفته، أي طهارة تنشد بعد ذلك؟ وأي نظافة جسدية وقلبية؟ فأين المتغنون بحضارة الشرق أو الغرب ليدرسوا ويتمعنوا ، ولينظروا عظمة هذا الدين؟ وأين كل مسلم ليعتز بهذا الدين الذي يكسبه الخيرية في الدنيا والآخرة.

أسأل الله تعالى أن يفقهنا في ديننا، ويعيننا على العمل به، نفعل الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه مسلم (١٩٦٧) في صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

عباد الله: ما عرفناه سابقاً هو الوضوء؛ الطهارة من الحدث الأصغر، أما الطهارة من الحدث الأكبر كالجنابة والاحتلام والحيض والنفاس فيكون لها الاغتسال وجوباً، وصفته المجزئة: مرور الماء على الجسد كله حتى بواطن الشعر، أما صفته الكاملة، فينوي الطهارة ويقول: بسم الله، ثم يغسل المسلم موضع الحدث، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يغسل رأسه، ثم يمر الماء على جسده بادئاً بشقه الأيمن، ثم الشق الأيسر، وما قيل في فضل الوضوء يقال كذلك في الغسل، والحمد لله.

أيها المسلمون!

من لم يستطع الوضوء أو الغسل بأن عجز عن استعمال الماء، أو لم يجد الماء، فالله سبحانه شرع التيمم ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ [المائدة: ٦] وصفته أن يضرب بيديه الأرض،

ثم يمسح بهما وجهه وظاهر كفيه، والحمد لله على هذا الفضل العظيم الذي جعل التيمم نائباً عن الماء في رفع الحدث وإباحة الصلاة في حال عدم وجوده أو صعوبة استعماله لمرض ونحوه، وهذا من تيسير الله تعالى ورفع الحرج عن هذه الأمة ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

عباد الله:

الوضوء والغسل أمانة من الأمانات يجب أن يحافظ عليها المؤمن، ومن أخل بهما لم تصح منه صلاة، كالذي يتيمم مع وجود الماء، أو لا يهتم بوضوئه، فيبقى شيء من أعضائه لم يصله الماء، وقد رأى عليه الصلاة والسلام أناساً يتوضؤون وهم مستعجلون فقال: "ويل للأعقاب من النار" ^(١).

أسأل الله تعالى أن يطهر قلوبنا وأعمالنا وجوارحنا وأقوالنا، ثم صلوا وسلموا على البشير النذير كما أمركم الله تعالى في محكم التنزيل فقال جل من قائل: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً).

(١) رواه البخاري (١٦٥) في العلم، باب من رفع صوته بالعلم، ومسلم (٥٨٩) في الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما.

الطهارة من النجاسات

الخطبة الأولى

الحمد لله الغفور الرحيم، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وخصه بالإنعام والتكريم، أحمده سبحانه وأشكره على ما أنعم به وتفضل، فهو الشكور الحليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أثنى عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين تمسكوا بسنته، فكانوا على صراط مستقيم، والتابعين ومن تبعهم واقتفى أثرهم، واتبع منهجهم إلى يوم الدين، أما بعد:

عباد الله! أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، فالسعيد من تدبر أمره، وأخذ حذره، واستعد ليوم لا تنفع فيه عبدة.

أيها المسلمون! ديننا دين الفطرة، تصلح له وتصلح به كل الأزمنة وكل الأمكنة، دين العقيدة والشريعة، دين يجمع البشاشة في حياء، وحسن الخلق في ابتسامه، دين يعترف بما للبشر من أشواق قلبية، وحفظ نفسية، دين الطهر والنظافة والوضوء.

ولقد عرفنا- عباد الله- جانباً من التشريع العظيم في الطهارة من الوضوء والاغتسال، والتيمم والمسح على الخفين.

وكما حرص الإسلام على رفع الأحداث نظافة، فإنه أكد أيضاً على إزالة الأنجاس والأوساخ، والمحافظة على الأبدان والبيئة وتبدي ذلك في الشوارع والطرق، والحدائق وسائر المنافع.

فحين يجمال الدين البواطن والقلوب والأعمال من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، ويلبسها لباس التقوى والهداية إلى صراط مستقيم، فإنه يجمال الظواهر في أحسن تقويم، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (ولمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده الجمالين؛ اللباس والزينة تجمال ظواهرهم، والتقوى تجمال بواطنهم، وقال في أهل الجنة: ﴿فَقَنَّهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ ١١ ﴿وَجَرَنَّهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ١٢) [الإنسان: ١١، ١٢] فجمال وجوههم بالنضرة، وبواطنهم بالسرور، وأبدانهم بالحرير) ١.هـ.

أيها المسلمون! وإذا كان ذلك كذلك، فإننا نستعرض جوانب متفرقة ونماذج رائعة في تكريس الدين للطهر والنظافة، والنقاء والجمال؛ فالطهور شرط الإيمان، والصلاة أهم فرائض الإسلام بعد الشهادتين، فكما شرع لها التطهر من الحدث، شرع لها التنظيف من القذر والنجاسة، فلا تصح صلاة بثوب أصابته نجاسة، أو بدن علق به نجاسة، أو بقعة يصلي عليها وعليها نجاسة؛ فقد ورد أن النبي ﷺ - فيما رواه أحمد وأبو داود وغيرهما، عن أبي سعيد الخدري قال: بينما

رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه، فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: " ما حملكم على إلقاء نعالكم؟" قالوا: رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا، فقال رسول الله ﷺ: "إن جبريل ﷺ أتاني فأخبرني أن فيهما قدراً أو قال أذى، وقال: إذا جاء أحدكم إلى المسجد فليُنظر، فإن رأى في نعليه قدراً أو أذى، فليمسحه وليصل فيهما" (١).

وروى الشيخان، وغيرهما أن أعرابياً دخل المسجد، فبال فيه، فقام الناس ليقعوا به، فقال ﷺ: "دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين" (٢).

ومما يستحب للإنسان أن يكون طاهراً في سائر أوقاته جاء في الخبر: "طهروا هذه الأجساد طهركم الله، فإنه ليس من عبد بيت طاهراً إلا بات معه في شعاره ملك لا ينقلب ساعة من الليل إلا قال: اللهم اغفر لعبدك، فإنه بات طاهراً" رواه الطبراني بسند جيد. (٣)

(١) رواه أبو داود (٦٥٠) في الصلاة، باب الصلاة في النعل وأحمد في باقي مسند المكثرين (١١٨٩٥).

(٢) رواه البخاري (٢٢٠) في الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (١٠٥١) والطبراني في الكبير (١٣٤٤٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٢٨): إسناده حسن.

أيها المسلمون! ومما جاء به الإسلام الحث على تنظيف الأجساد وتطهيرها من الأدران وأكد على خصال هي من الفطرة، أمر بتعهدها، قال عليه الصلاة والسلام: "خمس من الفطرة: الاستحداد، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار"^(١).

فالفطرة هي سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما اتفقت عليه التشريعات، والاستحداد: حلق العانة وإزالتها بأي مزيل، لما في تركها من تراكم الأوساخ، وجلب الأضرار، والختان: قطع الجلد التي تغطي حشفة الذكر وإزالتها، والحكمة من ذلك تطهير الإنسان مما يجتمع تحت هذه الجلد لو بقيت، ومن الدراسات الحديثة في ذلك؛ أنه وجد أن أقل أناس إصابة بسرطان الذكر هم المسلمون، وأكثرهم هم النصارى؛ لأنهم لا يختنون، فله الحكمة البالغة، وقص الشارب، وهو المبالغة في أخذه، قال عليه الصلاة والسلام: "من لم يأخذ من شاربهِ فليس منا"^(٢) ومن الشارب السبالان، وهما طرفا الشارب، فلا تجوز إطالتهما كما يفعل بعض الناس، فقد روى الإمام أحمد، عن أبي أمامة قال: قلنا: يا رسول الله! إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون

(١) رواه البخاري (٥٨٨٩) في اللباس، باب قص الشارب ومسلم رقم (٦٢٠) في الطهارة، باب خصال الفطرة (٢٥٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٧٦١) في الأدب، باب ما جاء في قص الشارب والنسائي رقم (١٣) وأحمد في أول مسند الكوفيين (١٩٢٨٣).

سبالهم، قال: فقال النبي ﷺ: "قصوا سبالكم، ووفروا عثانينكم، وخالفوا أهل الكتاب" ^(١).

أيها المسلمون! ومن سنن الفطرة، وهو من الواجبات الشرعية: إعفاء اللحية، جاء في الحديث الصحيح: "خالفوا المشركين، ووفروا اللحي وأحفوا الشوارب" ^(٢) وفي رواية: "أوفوا اللحي" ^(٣) أي اتركوها وافية، ومما ابتلي به بعض المسلمين مخالفة هذه الشعيرة، فقلدوا الكفار، وتشبهوا بالمشركين، فحلّقوا اللحي، وأطالوا الشوارب.

ومن سنن الفطرة لطهارة الجسد: السواك، فأخبر ﷺ أنه مطهرة للفم ومرضاة للرب ^(٤)، ولأهميته وعظم تأكيده كاد النبي ﷺ أن يوجبه، فقال: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة" ^(٥) وفي رواية: "عند كل وضوء" ^(٦) ومما يدخل فيه التنظف من بقايا الطعام

(١) رواه أحمد في باقي مسند الأنصار (٢٢٣٣٧).

(٢) رواه البخاري في اللباس، باب تقليم الأظفار (٥٨٩٢).

(٣) رواه البخاري في اللباس، باب إعفاء اللحي (٥٨٩٣) ومسلم في الطهارة، باب خصال الفطرة (٢٥٩).

(٤) رواه النسائي في الطهارة، باب الترغيب في السواك (٥) وابن ماجه في الطهارة وسننها، باب السواك (٢٨٩) وأحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة (٧). وذكره البخاري رقم (١٩٣٣) تعليقا.

(٥) رواه البخاري (٢٢٩) في الجمعة، باب السواك يوم الجمعة (٨٨٧) ومسلم (٢٥٢) في الطهارة، باب السواك.

(٦) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين (٧٣٦٤).

وفضلاته الأيدي والأفواه والأسنان، فقد شرب النبي ﷺ لبناً ثم تمضمض وقال: "إن له دسماً".^(١)

ومن طهارة الجسد العناية بشعر الرأس واللحية بالغسل والدهن والترحيل والطيب، فقد أخبرت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله^(٢)، وعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى رجلاً شعثاً قد تفرق شعره فقال: "أما كان يجد هذا ما يُسكِّن به شعره؟" ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وسخة فقال: "أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه"^(٣). ومن طهارة الجسد تنظيفه من كل رائحة كريهة من الثوب والكراث والبصل، وفتح الفم عند التأوب لما في ذلك من قبح المنظر وإيذاء الجليس بالرائحة، وسرور الشيطان.

ومما يؤكد عليه عدم إيذاء الجسد والبدن من تعاطي شرب الدخان فيضر نفسه وبدنه، ويزعج الآخرين برائحته، ويفتح باباً للشيطان

(١) رواه البخاري (٢١١) في الوضوء، باب هل يمضمض من اللبن ومسلم في الحيض، باب نسخ الوضوء مما مست النار (٨٢٤).

(٢) رواه البخاري (١٦٨) في الوضوء، باب التيمن في الوضوء والغسل ومسلم (٣٦٨) في الطهارة، باب التيمن في الطهور وغيره.

(٣) رواه أبو داود في اللباس، باب في غسل الثوب وفي الخلجان (٤٠٦٢) والنسائي في الزينة، باب تسكين الشعر (٥٢٣٦).

بمعصيته، ويجلب الأمراض إلى بدنه وقلبه، وينفر الناس الأخيار من مجالسته، وينفق ماله في كسب خبيث، وينبت جسده على السحت والحرام، ويتعاطم هذا الأذى إذا دخل به المسجد، فأذى الملائكة والمصلين وكذا مجتمعات الناس، حتى إن الدول الكافرة منعت في المجتمعات العامة كصالة المطار والطائرات والأسواق العامة وغيرها.

ومن الطهارة الجسدية الرائحة الطيبة، فالرسول ﷺ يحب الطيب ويكثر التطيب، وبخاصة لأداء العبادات ومقابلة الناس، قال رسول الله ﷺ: "لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج لا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى" (١).

وقال أيضاً "حبب إلي من الدنيا النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة" (٢) "والسنة في طيب الرجل أن يظهر ريحه ويخفي لونه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء، ما خفي ريحه وظهر لونه". (٣)

(١) أخرجه البخاري برقم (٨٨٣).

(٢) أخرجه النسائي رقم (٣٩٣٩)، وأحمد رقم (١٢٣١٥) وقال ابن حجر: حسن.

(٣) أخرجه أبو داود رقم (٤٠٧٠) والنسائي: برقم (١٥١٧) والترمذي: (٢٧٨٧) واللفظ له، وقال: حديث حسن.

جعلني الله وإياكم من الطيبين الطاهرين، ونفعني وإياكم بالقرآن
العظيم أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين
من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية،

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، أحمدته سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً،
أما بعد:

أيها المسلمون: إن عناية الإسلام بالطهارة والنظافة تمتد لتشمل العناية بالبيئة: مساجد، وطرقا وحداثق وغيرها.
فيجب أن تكون المساجد نظيفة طاهرة مصانة من جميع الأوساخ والقاذورات، وألا يدخلها إلا طاهراً نظيفاً، لأنها أماكن عبادة المسلم ومناجاة لربه، قال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦] وروى البخاري وغيره أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد، ففقدتها رسول الله ﷺ، فسأل عنها بعد أيام، فقل له: إنها ماتت، فقال: "فهلا آذنتموني؟" - أي أعلمتموني - فأتى قبرها فصلى عليها^(١). وفي رواية الطبراني: "إني رأيته في الجنة تلقط القذى من المسجد".

(١) رواه البخاري (٤٥٨)، في الصلاة، باب كنس المسجد والتقاط الخرق والأذى والعيذان ومسلم (٢٢٥٩) في الجنائز، باب الصلاة على القبر.

وقال ﷺ: "عرضت عليّ أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد".^(١)

فيجب على المسلم احترام المساجد بإبقاء طهارتها ونظافتها وتنظيفها. وأن يتنظف في نفسه، ويتعد عن كل ما فيه رائحة كريهة، كالثوم والبصل، فضلاً عن الدخان وما شابهه، فقد قال ﷺ: "من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم".^(٢)

أيها المسلمون! والعناية تشمل الشوارع والطرقات، قال عليه الصلاة والسلام: "الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق"^(٣) ويعم ذلك الشوارع والحدائق وأماكن تجمعات الناس.

ومن الدقة في التعاليم الطهرية سبل الوقاية المحكمة في آداب قضاء الحاجة، لا يتلوّث بها ماء، ولا يتنجس بها طريق أو مستظل، فقد جاء النهي عن البول في الماء الدائم، وقال عليه الصلاة والسلام: "اتقوا الملاعن الثلاث- يعني المسببة للعن- البراز في الموارد، وقارعة

(١) أخرجه أبو داود: برقم (٤٦١) والترمذي: برقم (٢٩١٦). وقال حديث غريب لا أعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) أخرجه مسلم: برقم (٥٦٤).

(٣) رواه مسلم في الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٣٥).

الطريق، والظل"^(١). وقال عليه الصلاة والسلام: "من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم"^(٢).

عباد الله! إن الكثير من الناس لا يبالي، فترى صوراً من أحوال الناس تحتاج إلى تصحيح وتقويم، وعناية ورعاية، فأناس يدخلون المساجد بروائح كريهة، وبثياب متسخة، إما بعد عمل أو لعدم مبالاة، وآخرون يخرجون المياه إلى الطرقات ويؤذون جيرانهم بالمياه والقمامة، وكأن الشوارع ملك لهم، وآخرون يؤذون الناس بمجمعاتهم بالتدخين، أو برمي بقايا ما معهم من أوراق ونحوه.

أسأل الله تعالى أن يطهر قلوبنا وأعمالنا وجوارحنا وأقوالنا، ثم صلوا وسلموا على البشير النذير كما أمركم الله تعالى في محكم التنزيل تعالى وجل من قائل عليهما: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾.

(١) رواه أبو داود في الطهارة (٢٦) وابن ماجه في الطهارة وستنها، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق (٣٢٨) وأحمد في: ومن مسند بني هاشم (٢٧١٠).

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٨٢ / ١) رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن.

شروط العبادة

الخطبة الأولى

الحمد لله وعد المحافظين على الصلاة أجراً عظيماً، وأعد لهم في جنات الفردوس نعيماً مقيماً، أحمده سبحانه وأشكره على آلائه شكراً عميماً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فأنعم به رباً رحيماً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أقام الصلاة حتى كان شكوراً حلماً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليماً، أما بعد :

عباد الله! اتقوا الله في جميع شؤون حياتكم وعبادتكم تفوزوا فوزاً عظيماً.

أيها المسلمون! الصلاة غذاء القلوب وزاد الأرواح، وهي مناجاة ودعاء وخضوع وثناء، وتذلل وبكاء، وتوسل ورجاء، واعتصام والتجاء، وتواضع لكبرياء الله، وخضوع لعظمة الإله، وانطراح بين يديه، وانكسار وافتقار إليه، تذلل وعبودية، تقرب وخشوع لجنان الربوبية والألوهية، إنها ملجأ المسلم، وملاذ المؤمنين، فيها يجد البلسم الشافي، والدواء الكافي، والغذاء الوافي، إنها خير عدة وسلاح، وأفضل جُنة وكفاح، وأعظم وسيلة للصلاح والفلاح، وأقوى طريق للنجاح، تنشئ في النفوس إيماناً راسخاً وإيماناً عميقاً وتذكى في الضمائر قوة روحية، ونوراً يبدد ظلمات الفتن، ويقاوم أعتى المغريات والمحن، كم فيها من

الأسرار والمحكم والمقاصد والغايات التي لا يعقلها كثير ممن يؤدونها، فما أعظم الأجر وأوفر الحظ لمن أداها على الوجه الشرعي، روى الإمام أبو داود في سننه أن رسول الله ﷺ قال: "خمس صلوات افترضهن الله عز وجل، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له..."^(١)

أيها الإخوة المصلون! لتهنئكم الصلاة، وبها بشرى لكم ما شرح الله صدوركم لهذه الفريضة العظيمة، وهنيئاً لكم ثواب الله وفضله العاجل والآجل؛ لقيامكم بهذا الواجب الشرعي العظيم ولكن.. لتعلموا أيها المصلون أن للصلاة المقبولة شروطاً وأركاناً وواجبات وآداباً لا بد من الوفاء بها، كما أن هناك مسائل مهمة وأخطاء شائعة في هذه الفريضة يحتاج المصلون لمعرفتها، وقد ورد عند أحمد وغيره عن النبي ﷺ قال: "أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته"^(٢) وذلك بعدم تمام ركوعها وسجودها وخشوعها كما ورد عنده وعند أبي داود والنسائي: "إن المصلي لينصرف من صلاته وما كتب له إلا ربعها أو

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥) في سننه، كتاب الصلاة، باب في المحافظة على وقت الصلوات.

برقم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ رقم (٤٠١) وأحمد في مسنده برقم (٢٢٦٩٥) وابن خزيمة في

صححه رقم (٦٦٣) من حديث أبي قتادة الأنصاري .

خمسة..^(١) حتى بلغ عشرها، وهنا يدعو المسلم المصلي إلى أن ينتبه لشأن صلاته، حتى لا يخسر الثواب ولا ينتفع من صلاته.
أيها المسلمون!

إذا كانت الصلاة بهذه الأهمية، فاعلموا أن لها شروطاً لا تصح الصلاة إلا بها..

أولها: الإسلام، فالصلاة لا تقبل ولا تصح من كافر لبطلان عمله، ولو صلى طيلة عمره، وهو لم يسلم، أو هو يشرك مع الله غيره، أو أتى بناقض من نواقض الإسلام، فلا تصح منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء : ٤٨].

ثانياً: العقل، فلا تصح من مجنون لعدم تكليفه، قال النبي عليه الصلاة والسلام: "رفع القلم عن ثلاث منهم المجنون حتى يفيق"^(٢).

(١) أخرجه أبو داود رقم (٢٩٣٧٩٦) وأحمد برقم (٤٣٢٨) ولفظه: "إن العبد ليصلي...". وذكر العظيم آبادي في عون المعبود: ٣/٣ قال المنذري: وأخرجه النسائي وفي إسناده عمر بن ثوبان ولم يحتج به ورواه أبو داود في سننه في كتاب استفتاح الصلاة، عن عمار بن ياسر برقم (٧٨٩) بلفظ: سران الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعة سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها".

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الحدود برقم (٤٤٠٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن حبان في صحيحه، باب التكليف برقم (١٤٢) عن عائشة رضي الله عنها واللفظ له. والنسائي في سننه (المجتبى) في كتاب الطلاق برقم (٣٤٣٤) من حديث عائشة أيضاً، وكذلك ابن ماجه في سننه في كتاب الطلاق برقم (٢٠٩٩).

ثالثاً : التمييز، فلا تصح من طفل غير مميز لمفهوم الحديث: "مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع" ^(١)، فإذا بلغ الطفل سن التمييز أي السادسة أو السابعة من عمره، فيؤمر بالصلاة ويحث عليها، فإذا صلى صحت صلاته، أما وجوبها عليه ففي سن التكليف، لكنه يدرّب ويربى عليها عند التمييز، فإذا بلغ العاشرة ولم يصلّ ضرب ضرباً غير شديد.

وإن من المؤسف حقاً أن نجد عدداً من الأولياء غير قليل لا يتنبه لأبنائه وبناته إلا إذا بلغ سن التكليف ومرحلة المراهقة، فيصعب تربيتهم على العبادات والشعائر، وخاصة إذا أضيف إلى ذلك ما ملئت به البيوت من وسائل اللهو والعبث والهدم والتخريب، فكانت مشبّطة لهم ومكسلة لهم عن أداء الصلاة.

أما الشرط الرابع فهو: الطهارة مع القدرة قال تعالى ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة : ٦]. ويقول ﷺ "لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ" ^(٢). والطهارة بالوضوء

(١) أخرجه أبو داود رقم (٤٩٥) وأحمد رقم (٦٦٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٥٤) في كتاب الحيل، باب في الصلاة، برقم عن أبي هريرة رضي الله عنه. ومسلم برقم (٤٩٥) في الطهارة، باب وجوب الطهارة.

من الحدث الأصغر كالبول والغائط والنوم، وبالغسل من الحدث الأكبر كالجنابة والحيض والنفاس.

الشرط الخامس: دخول الوقت قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] وقال سبحانه: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) [الإسراء: ٧٨]. قال ابن عباس: دلوكها إذا فاء الفياء، وقال عمر: الصلاة لها وقت شرطه الله لا تصح إلا به.

فوقت الظهر من الزوال إلى أن يصير ظل كل شيء مثله، ثم يليه الوقت المختار للعصر حتى يصير ظل كل شيء مثليه، ثم يليه وقت المغرب إذا غربت الشمس حتى يغيب الشفق الأحمر، ثم يليه الوقت المختار للعشاء إلى ثلث الليل الأول، ثم هو وقت الضرورة إلى طلوع الفجر، ثم يليه وقت الفجر إلى شروق الشمس.

ويدرك الوقت بركعة واحدة في وقت الصلاة، كما في الحديث المتفق عليه: (من أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح) ^(١).

والصلاة أول الوقت أفضل، وتحصل الفضيلة بالتأهب أول الوقت، ويجب قضاء الصلاة الفائتة مرتبة.

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٧٩) ومسلم رقم (١٤٠٤).

وليُعلم - عباد الله - خطورة هذا الأمر إذ إن بعض المسلمين، يتساهل في هذه المسألة فلا يصلي إلا بعد خروج الوقت، كأن يصلي الفجر بعد طلوع الشمس، أو يصلي العصر بعد غروبها، وهذا خطر عظيم إن استمر عليه، فقد يتعرض للكفر والعياذ بالله، وبخاصة إذا كان سبب التأخر تساهلاً بسهر أو عند ملهيات ونحوها، فليتنبه أولئك إلى قبح صنيعهم، وسوء عملهم قبل أن يحبط عملهم كله، فيكونون كما قال الله فيهم: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ۚ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۚ (٣) تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً ۚ (٤)﴾ [الغاشية: ٢-٤].

الشرط السادس: ستر العورة، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْٓ اٰدَمَ حُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] فيجب على المصلي أن يستر عورته بثوب طاهر مباح، لا يبين من ورائه لون الجلد، فإن صلى بثوب نجس عالماً بنجاسته فلا صلاة له إلا أن يكون ناسياً.

ويتعد عن الثياب المحرمة، كثياب الخيلاء، فمن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه ^(١)، ومن نزل ثوبه عن كعبيه من الرجال فهو في النار، قال عليه الصلاة والسلام: "ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار" ^(٢).

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٦٦٥) ومسلم رقم (٥٥٤٧).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٧٥٧) والنسائي رقم (٥٣٣٠) وأحمد رقم (٥٧١٣).

ومن صلى في ثوب خفيف يرى من ورائه لون جلد العورة، فلا صلاة له، فعلى الذين يلبسون السراويل القصار أن يلبسوا فوقها ثوباً ساتراً، لا يصف البشرة؛ لأن الواجب عليهم أن يستروا ما بين السرة والركبة. وكلما كان اللباس أكمل في هيئته وحاله فهو أفضل، كما قال تعالى: ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] ولذلك قال أهل العلم: الأفضل للرجل أن يصلي ساتراً رأسه.

الشرط السابع: اجتناب النجاسة، والنجاسة تقع على الثوب، فيجب تطهيره؛ لأن الرسول ﷺ أتى بصبي لم يأكل الطعام، فبال في حجره، فدعا بماء فأتبعه إياه ^(١)، وهنا مسألة، من رأى عليه نجاسة بعد صلاته ولم يعلم بها من قبل لم يعد الصلاة، ومن كان عالماً بها، ثم نسيها، أو جهلها لم يعد كذلك، لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وتقع النجاسة على البدن، فيجب إزالتها؛ لأن النبي ﷺ أخبر عن الرجلين اللذين يعذبان في القبر وكان أحدهما لا يتنزه عن البول ^(٢)،

(١) أخرجه (٦٨٩) مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها برقم من كتاب الطهارة.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٢١٨) في باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، وباب ما جاء في غسل البول، من كتاب الوضوء (٧٠٤) ومسلم في باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، من كتاب الطهارة.

وتقع على المكان، فيجب تطهيره لأن النبي ﷺ نهى عن الصلاة في عدة أماكن منها: المجزرة والمزبلة والحمّام. ^(١)

ومن الأماكن التي نهى النبي ﷺ عن الصلاة فيها المقبرة، لقوله عليه الصلاة والسلام: "الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمّام" ^(٢) وقال: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" ^(٣)، ولأن الصلاة في المقبرة قد تتخذ ذريعة إلى عبادة القبور أو إلى التشبه بمن يعبد القبور.

عباد الله! اتقوا الله في صلاتكم وحققوا شروطها وقوموا بما أوجب الله عليكم فيها، فأول ما ينظر من أعمال العبد يوم القيامة صلاته، فإن كانت صالحة نظر في بقية أعماله وإلا ردت عليه ورد سائر عمله، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه ابن ماجه رقم (٧٤٧) في باب المواضع التي تكره فيها الصلاة، من كتاب الطهارة ٢٤٦/١.

(٢) أخرجه أبو داود رقم (٤٩٢) والترمذي رقم (٣٤٦) وابن ماجه رقم (٧٤٦).

(٣) متفق عليه ؛ البخاري رقم (٤٣٥) ومسلم رقم (١٢١٢).

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليماً كثيراً.

عباد الله : وأن الشرط الثامن: فهو استقبال القبلة لقوله تعالى: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤] وقوله عليه الصلاة والسلام للمسيء صلاته عندما علمه كيفية الصلاة قال: "إذا قمت إلى الصلاة، فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر"^(١)، والحكمة من ذلك هي أن يتجه الإنسان ببدنه إلى معظم بأمر من الله وهو البيت، كما يتجه بقلبه إلى ربه في السماء فهنا اتجاهاً: قلبي وبدني، القلبي إلى الله، والبدني إلى بيته الذي أمر بالاتجاه إليه وتعظيمه.

ولا ريب أن في إيجاب استقبال القبلة من مظهر اجتماع الأمة ما لا يخفى على الناس.

فاستقبال القبلة شرط من شروط الصلاة، ولكن يستثنى منه عدة حالات يسقط فيها استقبال القبلة، كالعاجز الذي لا يستطيع الحركة

(١) أخرجه البخاري (٦٢٥١) في باب من رد فقال: عليك السلام، من كتاب الاستئذان برقم عن أبي هريرة، ومسلم (٩١٢) في باب بدء الأذان من كتاب الصلاة برقم.

مثلاً، وليس عنده أحد يوجهه، فهذا يتجه حيث كان ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وكصلاة النافلة على الراحلة، فالصحيح أن يكبر الإنسان، ويفتح صلاته، ويركع ويسجد إلى غير القبلة، ولو تمكن الإنسان من استقبال القبلة في تكبيرة الإحرام فهو أفضل.

وأما الشرط التاسع: فهو النية، وهي العزم على فعل العبادة تقريباً إلى الله، ومحلها القلب، ولهذا قال رسول الله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"^(١) وليس اللسان محلها، ولهذا قال العلماء: إن التلفظ بها بدعة، فلا يسن للإنسان إذا أراد عبادة أن يقول: اللهم إني نويت كذا، أو أردت كذا، لا جهرًا ولا سرًا؛ ولأن هذا لم ينقل عن الرسول عليه الصلاة والسلام؛ ولأن الله يعلم ما في القلوب، فلا حاجة أن تنطق بلسانك، فأخلصوا لله صلاتكم، وتوجهوا إليه بقلوبكم، واخشعوا وتضرعوا.

أيها المسلمون! إن من أسباب السعادة وحفظ الله لنا ودوام رغد العيش الذي نعيشه، أن نحافظ على عهد الله في الصلاة، وأن نتواصى بها، وأن نأمر بها أبناءنا، وأن نعمر مساجدنا بحضورنا، فهل من

(١) أخرجه البخاري برقم (١) في كتاب بدء الوحي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومسلم برقم (٥٠٣١) في كتاب الإمامة من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

مجيب؟! وهل من مسارع إلى الصلاة حيث ينادى بها؟! إنها الحياة، ولا حياة بغير صلاة، إنها رغد العيش، لا رغد للعيش بغير صلاة، إنها دوام الأمن، ولا أمن بغير صلاة، إنه التوفيق من رب العالمين في كل شيء، ولا توفيق ولا تسديد بغير صلاة، فالله الله يا مسلمون في الصلاة، من حافظ عليها حفظه الله، ومن ضيعها ضيعه الله، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

فالصلاة الصلاة - عباد الله - في أول الوقت بخشوعها وخضوعها، بشروطها وأركانها، بواجباتها وسننها، لعل الله أن يحفظنا ويرعانا إذا ما نحن حافظنا عليها وعظمنّاها.

هذا وصلوا وسلموا على نبيكم محمد ﷺ فإن الله تعالى يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

﴿[الأحزاب: ٥٦].

أركان الصلاة

الخطبة الأولى

الحمد لله ذي الفضل والعطاء والإحسان، جعل إقامة الصلاة من أركان الإسلام، أحمدته سبحانه وأشكره على ما امتن به من نعمة الإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي من قالها وعمل بها من النيران، وتوجب له دخول الجنان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبرهان، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليماً.

أما بعد : عباد الله: اتقوا الله وعظموا أوامره، واعملوا بها، وقفوا عند حدوده وكفوا عن نواهيه. تفوزوا دنيا وأخرى.

أيها المسلمون!

كل مُصَلٍّ لله عز وجل يركع ويسجد، يقرأ ويدعو، يرجو قبول صلاته، ورفع درجاته، وتكفير سيئاته، ورضا ربه عز وجل، وأنه لا يتم ذلك للعبد من صلاته إلا بتحقيق أركانها التي لا تقوم إلا عليها.

والأركان جمع ركن، والركن ما كان جزءاً من الشيء ولا يوجد إلا به.

وأركان الصلاة لا تسقط عمداً ولا سهواً، بل تبطل الصلاة بتركها، وهي على الصحيح أربعة عشر، بيانها كالتالي:

أولاً: القيام مع القدرة؛ لقول الله تعالى: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) (البقرة: ٢٣٨) ولحديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال: " صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب" رواه البخاري. ^(١)

ثانياً: تكبيرة الإحرام، وهي قوله: الله أكبر في بداية الصلاة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: "إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر" متفق عليه. ^(٢)

ثالثاً: قراءة الفاتحة في كل ركعة لقوله ﷺ: " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" متفق عليه ^(٣) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

والثابت عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ الفاتحة في كل ركعة من ركعات الفرض والنفل.

(١) أخرجه البخاري (١١١٧) في كتاب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعداً، برقم. فإن وقف منحنيّاً أو مائلاً بحيث لا يسمى قائماً لغير عذر لم تصح؛ لأنه لم يأت بالقيام المفروض.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٢٥١) ومسلم برقم (٩١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٨١٠) ومسلم برقم (١١٢٣) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

رابعاً: الركوع؛ لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) (الحج: ٧٧) وقول الرسول ﷺ: " إذا قمت إلى الصلاة فكبر - حتى قال - ثم اركع حتى تطمئن راکعاً متفق عليه ^(١). وأقله أن ينحني بحيث يمكن مس ركبتيه بكفيه، وأكمله أن يمد ظهره مستوياً ويجعل رأسه حياله. خامساً: الرفع من الركوع؛ لقوله ﷺ: " ثم ارفع حتى تعتدل قائماً " ووصف أبي حميد صلاة الرسول ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام لا يسجد حتى يستوي قائماً، ويعود كل فقار إلى مكانه. وتقول عائشة رضي الله عنها: وكان إذا رفع رأسه من الركوع لم يسجد حتى يستوي قائماً ^(٢).

سادساً: السجود على الأعضاء السبعة: وهي الرأس، ويشمل الجبهة والأنف، واليدين، والركبتان، وأطراف القدمين. قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) (الحج: ٧٧) ولقول النبي ﷺ: " أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة وأشار بيده إلى أنفه، واليدين، والركبتين، وأطراف الأقدام " ^(٣).

وأكمله أن يمكن جبهته وأنفه وكفيه وركبتيه وأطراف قدميه محل سجوده، ويصح أن يضع حائلاً بينه وبين الأرض إذا كان من عذر مثل

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٥٨) ومسلم برقم (٥٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١١٣٨) في باب ما يجمع صفة الصلاة، من كتاب الصلاة ١/٣٥٧، ٣٥٨.

برقم. وانظر حاشية رقم (٣).

(٣) سبق تخريجه.

أن يضع طرف ثوبه موضع سجوده في وقت الحر في الصحراء وغيره،
أما إذا كان من غير عذر، فيكره أن يضع بينه وبين الأرض حائلاً.

ولا بد أن يجافي عضديه عن جنبيه، وبطنه عن فخذه، ويفرق
ركبتيه، لما روى أبو حميد أن النبي ﷺ : " كان إذا سجد نحى يديه عن
جنبه، ووضع يديه حذو منكبيه".^(١)

ومن الاعتدال ألا يمتد في سجوده، ولا ينضم بأن يجعل بطنه
على فخذه، وفخذه على ساقه.
سابعاً: الرفع من السجود.

ثامناً: الجلوس بين السجدين؛ لقوله ﷺ للمسيء صلاته: "ثم
ارفع حتى تطمئن جالساً"^(٢) والسنة أن يجلس مفترشاً على رجله
اليسرى وينصب اليمنى ويوجهها إلى القبلة.

تاسعاً: الطمأنينة في جميع الأركان، قال تعالى: (قد أفلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون) (المؤمنون: ١، ٢)، ولأمر النبي ﷺ
الأعرابي بالطمأنينة في جميع الأركان، لما أخل بها قال: "ارجع فصل

(١) البخاري ٢١٠/١ برقم (٧٣٥) ومسلم رقم (٨٨٨).

(٢) انظر الحاشية رقم (٣) من الصفحة السابقة.

فإنك لم تصل".^(١)

عاشراً : التشهد الأخير، وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنا إذا صلينا خلف النبي ﷺ قلنا: السلام على جبريل وميكائيل، السلام على فلان وفلان، فالتفت إلينا رسول الله ﷺ، فقال: "إن الله هو السلام، فإذا صلى أحدكم فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات.. الخ" رواه البخاري.^(٢)

الحادي عشر: الجلوس للتشهد الأخير، لما ثبت من فعل النبي ﷺ المتواتر أنه كان يقعد القعود الأخير، ويقرأ فيه التشهد، وقد أمرنا النبي ﷺ باتباعه، فقال: "صلوا كما رأيتموني أصلي".

الثاني عشر: الصلاة على النبي ﷺ؛ لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦)، وعن أبي مسعود البصري قال: قال بشير بن سعد: أمرنا أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ فسكت رسول الله ﷺ، ثم قال: "قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل

(١) أخرجه البخاري رقم (٧٥٧) في باب وجوب القراءة للإمام والمأموم، وباب حدثنا مسدد، من كتاب الأذان ومسلم رقم (٩١١) في باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة من كتاب الصلاة ٢٩٨/١.

(٢) رواه البخاري في باب السلام اسم من أسماء الله تعالى برقم (٦٢٢٠) من كتاب الاستئذان ومسلم رقم (٩٢٤) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

محمد... الخ" (١)

الثالث عشر: الترتيب في هذه الأركان كما ذكرنا، فلو سجد مثلاً قبل الركوع عمداً بطلت صلاته، وإذا كان سهواً لزمه الرجوع ليركع، ثم يسجد؛ لأن النبي ﷺ صلاها مرتبة وقال: "صلوا كما رأيتموني أصلي". (٢)

الرابع عشر: التسليم كما روي، عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم" رواه أبو داود والترمذي. (٣)

هذه - عباد الله - أركان الصلاة وعددها أربعة عشر ركناً بأدلتها من الكتاب والسنة، وقد جمعها بعضهم بأربعة آيات فقال:

وأركانها خذها القيام لقادر	وتكبيره الإحرام والحمد فاسرد
ومنها ركوع واعتدالك بعده	سجود على آراك السبع فاسجد
وجلسه بين السجود تشهد	أخير وأن تجلس لهذا التشهد
صلاة على الهادي به وسلامها	وأن تطمئن أفهم وترتيب أشهد

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه يغفر الله لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٣٦٩) كتاب الأنبياء، ومسلم رقم (٩٢٤) كتاب الصلاة.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٦٣١).

(٣) أخرجه أبو داود (٦١) كتاب الطهارة، باب فرض الوضوء والترمذي (٣) كتاب الطهارة، باب مفتاح الصلاة الطهور وابن ماجه رقم (٣) كتاب الطهارة، باب مفتاح الصلاة الطهور.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

عباد الله!

لسائل أن يسأل ويقول: ما حكم من ترك ركناً في الصلاة؟
فالإجابة على هذا السؤال نقول:

إن كان المتروك تكبيرة الإحرام عمداً أو سهواً لم تنعقد الصلاة، ومن ترك ركناً غير تكبيرة الإحرام عمداً بطلت صلاته، وإن كان سهواً فتفصيله :

١- إن وصل المصلي إلى موضع تركه من الركعة التالية، التغت الركعة التي نسي فيها الركن، وقامت التالية مقامها، ويسجد للسهو بعد الصلاة، ثم يسلم عقب سجوده.

٢- إذا لم يصل إلى موضع الركن المتروك سهواً عاد إليه، فأتى به وبما بعده وجوباً، وسجد بعد السلام عقب سجوده.

٣- فإن تذكر بعد الصلاة، فحاله لا يخلو من أمرين:

أ - إن لم يفصل فاصل طويل ، وكان قريب الوقت من الصلاة قام دون تكبير، وأتى بركة كاملة مع التشهد الأخير والسلام، ثم السجود للسهو، ويسلم.

ب - وإن فصل بينهما فاصل طويل، فإنه يعيد الصلاة كلها لبطانها بترك ركن من أركانها.

أيها المسلمون!

الصلاة الصلاة - عباد الله - في أول الوقت بخشوعها وخضوعها، بشروطها وأركانها، بواجباتها وسننها، لعل الله أن يحفظنا ويرعانا إذا ما نحن حافظنا عليها وعظمتها.

هذا وصلوا وسلموا على نبيكم محمد ﷺ فإن الله تعالى يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

(الأحزاب: ٥٦)

واجبات الصلاة

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل الصلاة قرة عيون المحبين، ولذة أرواح الموحدين، وميزان أحوال السالكين، أحمدته سبحانه وأشكره، جعل الصلاة رحمته المهداة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم وسار على سنته إلى يوم الدين، أما بعد :

عباد الله ! لا زال الحديث مع فريضة من فرائض الله المفروضة على كل مسلم مكلف، الغني والفقير، والصحيح والمريض، والذكر والأنثى، والمسافر والمقيم، في الأمن والخوف، إنها قرة عيون الموحدين، ومعراج المتقين، بل إنها قبل ذلك قرة عين سيد المرسلين نبينا محمد عليه الصلاة وأزكى التسليم، إنها الصلاة يا عباد الله، ركن الدين وعموده، فإنه "لا دين لمن لا صلاة له" ^(١) رواه الطبراني، و"لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة" رواه مالك في الموطأ ^(٢)، وكان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة

(١) رواه الطبراني في الأوسط برقم (٢٢٩٢) من حديث ابن عمر يرفعه ٣٨٣/٢.

(٢) في موطأ مالك رقم (٨٢) كتاب الطهارة، باب العمل فيمن غلبه الدم من جرح أو رعاف من حديث المسور بن مخرمة والحديث من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

"ليس بين الرجل وبين الشرك والكفر إلا ترك الصلاة" رواه مسلم ^(١) ، و
 "من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله" رواه الطبراني
 بإسناد حسن. ^(٢)

فمن أراد أن يحاسب نفسه صادقاً فليتفقد نفسه في صلاته وصلته
 مع ربه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، إنها آخر ما يفقد العبد من
 دينه، فليس بعد ضياعها والتفريط فيها إسلام، ومن أجل هذا فإنها أول
 ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، فإن قُبِلَتْ قُبِلَ سائر العمل، وإن رُدَّتْ رُدَّ
 سائر العمل؛ هذه هي الصلاة- يا عباد الله- وإنها لكذلك وأكثر من
 ذلك، ولماذا لا تكون كذلك، وهي الصلة بين العبد وربّه؟ لذة ومناجاة
 تتقاصر دونها جميع الملذات، نور في الوجه والقلب، وصلاح للبدن
 والروح، تطهر القلوب، وتكفر السيئات، وتنهى عن الفحشاء والمنكر،
 مصدر القوة، ومطرده للكسل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾
 [البقرة: ١٥٣] وجالبة للرزق والبركة ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا
 تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢] فبالصلاة- عباد الله - يقوى الإيمان،

(١) صحيح مسلم (٢٥٦) في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، عن جابر
 رضي الله عنه.

(٢) الطبراني في الكبير (٢٥٦) ، وأخرجه أحمد في المسند برقم (٢٠٧) من حديث معاذ
 رضي الله عنه.

وتشتد العزائم، فتتنزع صاحبها من مشاغل الحياة، وتنتصر النفس على المغريات ﴿يَجَالُ لَا تُلْهِمُهُمْ يَحَزَّةٌ وَلَا يَبْعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ [النور: ٣٧].

فويل للذين هم عن صلاتهم ساهون، وويل لهم يراؤون ويمنعون الماعون، تحولت الصلاة عندهم من عبادة إلى عادة، قلّ عندهم الاكتراث، وابتعدوا فيها عن التفقه والتفقد، فالصلاة عبادة يجب أن تؤدي على وجهها المشروع؛ لقول الرسول ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي" رواه البخاري^(١). ولذا لا بد للمسلم أن يتعلم كل ما يتعلق بالصلاة من أحكام حتى يؤدي العبادة على الوجه الصحيح، ومن هنا تبرز أهمية التفقه في أحكام الصلاة، وكيف تؤدي صلاة صحيحة تامة كما علمنا إياها رسول الله ﷺ؟ فالصلاة عبادة عظيمة تشتمل على ثلاثة أقسام: أركان وواجبات وسنن، وقد سبق الحديث والكلام عن أركان الصلاة، واليوم نتناول الحديث عن الواجبات.

عباد الله! إن تفريق العلماء بين الأركان والواجبات في الصلاة لا يعني أن الأركان غير واجبة، بل هي أوكد من الواجبات، لكن تختلف عنها فالأركان لا تسقط بالسهو، والواجبات تسقط بالسهو، ويجبرها سجود السهو بخلاف الأركان، ولهذا من نسي ركناً لم تصح صلاته إلا

(١) سبق تخريجه.

به - كما سبق بيانه - ومن نسي واجباً أجزأ عنه سجود السهو، فإن تركه جهلاً، فلا شيء عليه، وواجبات الصلاة ثمانية:

الأول: التكبيرات التي في الصلاة عدا تكبيرة الإحرام فإنها ركن: فجميع تكبيرات الانتقال من قبيل الواجب لا من قبيل الركن، فيدخل بذلك التكبير للركوع والسجود، وللرفع منه، وللقيام من التشهد الأول، فكل التكبيرات واجبة، وتسقط بالسهو، ويستثنى منها تكبيرة الإحرام، فإنها ركن كما سبق، روى أبو موسى الأشعري مرفوعاً: "إذا كبر الإمام وركع فكبروا واركعوا، وإذا كبر وسجد فكبروا واسجدوا" رواه البخاري وغيره^(١). وحقيقة التكبير أيها المسلمون هو تعظيم الله جل وعلا، فالله تعالى أكبر من كل شيء.

الثاني: التسميع أي قول (سمع الله لمن حمده) وهذا للإمام والمنفرد خاصة، وذلك عند الرفع من الركوع، لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده، فقولوا ربنا ولك الحمد" متفق عليه^(٢).

(١) صحيح البخاري رقم (٣٧٨) في كتاب الصلاة، باب الصلاة في الطوع والمبرور والخشب، ومسلم رقم (٩٣١) كتاب الصلاة، عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٨٩) في كتاب الأذان، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به، عن أنس بن مالك، ومسلم (٦٨٩) في كتاب الصلاة، باب بدء الأذان.

الثالث: التحميد : أي قوله (ربنا ولك الحمد) للإمام والمأموم والمنفرد؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: "إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده، فقولوا ربنا ولك الحمد" متفق عليه، فشرع للمسلم أن يحمده ربه ويشني عليه بآلائه عند اعتداله وانتصابه ورجوعه إلى أحسن هيئاته، فيحمد ربه ويشني عليه بأن وفقه لذلك الخضوع، ثم نقله منه إلى مقام الاعتدال والاستواء بين يديه، واقفاً في خدمته كما كان في حال القراءة، ومن الخطأ من بعض المصلين زيادة قوله: (والشكر) بعد قولهم: (ربنا ولك الحمد) مع أن هذه الزيادة لم تثبت عن رسول الله ﷺ .

الرابع والخامس: (قول سبحان ربي العظيم) في الركوع و (سبحان ربي الأعلى) في السجود: مرة واحدة، ويسن الزيادة إلى ثلاث، وهي أدنى الكمال وإلى عشر مرات وهي أعلاه، لما ورد عن حذيفة رضي الله عنه قال: "صليت مع النبي ﷺ ، فكان يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده سبحان ربي الأعلى" رواه الجماعة^(١) إلا البخاري. وعن عقبة بن عامر قال: لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم) قال لنا رسول الله ﷺ : "اجعلوها في ركوعكم" فلما نزلت (سبح اسم

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٥٠) في كتاب صلاة المسافرين وأبو داود رقم (٨٨٦) والنسائي رقم (١٦٦٥) والترمذي رقم (٢٦١)، وأحمد في مسنده من حديث حذيفة بن اليمان برقم (٢٢٠٦٦) و (٣٥١٤) كما أخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم (٥٤٥) في كتاب الصلاة، باب الدعاء في الصلاة.

ربك الأعلى) قال: "اجعلوها في سجودكم" رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

السادس: قوله (رب اغفر لي) بين السجدين: وتسن الزيادة إلى ثلاث، والمغفرة هي ستر الذنب، والتجاوز عنه، فالعبد في هذا القعود بين السجدين قد تمثل جانباً بين يدي ربه ملقياً نفسه بين يديه، معتذراً إليه مما جناه، راغباً إليه أن يغفر له، وكان النبي ﷺ يقول بين السجدين: "رب اغفر لي" رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه^(١).

فاتقوا الله عباد الله وقوموا بواجبات صلاتكم لعل الله أن يتقبلها منكم، نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه أبو داود رقم (٨٧٤)، والنسائي رقم (١٠٦٩) و أحمد برقم (٢٨٩٧) و (٣٥١٤) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وأبو داود في سننه برقم (٨٧٤) كتاب الركوع والسجود، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، وابن ماجه في سننه برقم (٩٢٨) كتاب إقامة الصلاة، باب ما يقول بين السجدين.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأعوانه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد عباد الله، ونواصل الحديث عن بقية واجبات الصلاة . فالواجب السابع التشهد الأول: وهو أن يقول: (التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) ونحو ذلك مما ورد لحديث عبدالله بن مسعود قال: إن محمداً ﷺ قال: "إذا قعدتم في كل ركعتين، فقولوا: التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم ليتخير أحدكم من الدعاء أعجبه إليه ، فليدع به ربه عز وجل" رواه مسلم وأحمد والنسائي^(١). فلما أكمل المصلي ركوع

(١) أخرجه مسلم رقم (٩٢٤)، وأبو داود رقم (٩٦٩) والنسائي رقم (١١٦١) وأحمد برقم

(٤١٠١) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه والنسائي في (المجتبى) كتاب

التطبيق، باب التطبيق.

الصلاة وسجودها وقراءتها وتسبيحها وتكبيرها شرع له أن يجلس في آخر صلاته جلسة المتخشع المتدلل المستكين، ويأتي في هذه الجلسة بأكمل التحيات وأفضلها عوضاً عن تحية المخلوق للمخلوق إذا واجهه أو دخل عليه، فالله أولى بتلك التحيات من كل ما سواه، فالتحية هي تحية من العبد الذي يموت إلى الحي الذي لا يموت، ولا يستحق أحد هذه التحيات إلا الحي الباقي الذي لا يزول، ولا يزول ملكه عز وجل.

الواجب الثامن: الجلوس للتشهد الأخير : وذلك لفعله ﷺ ومداومته عليه، ولما سبق من الأحاديث مع قوله ﷺ : " صلوا كما رأيتموني أصلي " رواه البخاري^(١).

عباد الله ! هذه هي واجبات الصلاة فالتزموها والزموها وأقيموها حق قيامها، فإن الله عز وجل يقول: (وأقيموا الصلاة) [البقرة: ٤٣] ومن ترك واجباً من هذه الواجبات القولية أو الفعلية الثمانية متعمداً بطلت صلاته، لأنه متلاعب بها، ومن تركه سهواً أو جهلاً، فإنه يسجد للسهو؛ لأنه ترك واجباً يحرم تركه، فيجبره بسجود السهو، ثم صلوا وسلموا على رسول الله كما أمركم الله تعالى في كتابه العزيز حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

سنن الصلاة الخطبة الأولى

الحمد لله أنار طريق المؤمنين، ومنّ عليهم بكرمه العميم،
أحمده سبحانه وأشكره على آلائه ونعمه فهو الله الرحيم، وأشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الحق المبين، وأشهد أن سيدنا ونبينا
محمدًا عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبرهان القويم، صلى الله
وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم
الدين، أما بعد :

عباد الله ! اتقوا الله فإن عاقبة التقوى جنات ونهر، في مقعد صدق
عند مليك مقتدر.
أيها المسلمون!

إن الله سبحانه، كما شرع للصلاة أركاناً وشروطاً وواجبات، فقد
شرع لها سنناً، تكمل هذه الفريضة رحمة من الله سبحانه لعباده لمن أراد
المزيد من فضله وكرمه، والقرب من مناجاته ومحبته والأنس به، وسنن
الصلاة هي ما عدا الأركان والواجبات والشروط، فلا يلزم الإتيان بها
في الصلاة، بل من فعلها أو شيئاً منها، فله زيادة أجر، ومن تركها أو
بعضها، فلا حرج عليه شأن سائر السنن، وهي نوعان: النوع الأول:
سنن قولية، والثاني: سنن فعلية، وسنن الأقوال كثيرة نذكر منها:

١- الاستفتاح: وهو قوله بعد تكبيرة الإحرام: "سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك" رواه مسلم^(١)، وإن شاء استفتح بغيره مما ورد عن النبي ﷺ، فإذا قال المصلي: (سبحانك اللهم وبحمدك...) وأثنى على الله بما هو أهله، فقد خرج عن الغفلة التي هي حجاب بينه وبين الله، وأتى بالتحية والثناء الذي يخاطب به الملك عند الدخول عليه تعظيماً له وتمجيذاً بين يدي حاجته، فكان في هذا الثناء من أدب العبودية ما يستجلب به إقباله على الله، ورضاه عنه وإسعافه بحوائجه.

٢- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم: فإذا شرع المصلي في القراءة قدم أمامها الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فإنه أحرص ما يكون على العبد في مثل هذا المقام الذي هو أشرف مقاماته وأنفعها له في دنياه وآخرته، فهو يحاول لصرفه عنه واقتطاعه دونه بالبدن والقلب، فإن عجز عن اقتطاعه وتعطيله عنه بالبدن اقتطع قلبه وعطله عن القيام بين يدي الرب تعالى، فأمر العبد الاستعاذة بالله منه ليسلم له مقامه بين يدي ربه، ولما علم سبحانه جدّ العدو وتفرغه للعبد، وعجز العبد أمره بأن يستعيز به سبحانه ويلتجئ إليه في صرفه عنه، فيكتفي بالاستعاذة مؤنة محاربته ومقاومته، فإذا قال: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فقد

(١) في كتاب الصلاة، باب حجة من قال: لا يجهر بالبسملة (٣٩٩).

أوى إلى ركنه الشديد، واعتصم بحوله وقوته من عدوه الذي يريد أن يقطعه عن ربه، عن جبير بن مطعم رضي الله عنه، عن النبي ﷺ " أنه إذا قام إلى الصلاة يستفتح ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه" رواه أحمد، وأبو داود والترمذي والدارمي. ^(١)

٣- ومن سنة الصلاة البسملة: لحديث نعيم المجمر قال: صليت وراء أبي هريرة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ، رواه النسائي. ^(٢)

٤- ومن السنة التأمين: وهو قول (آمين) بعد قراءة الفاتحة، ويجهر بها في الجهرية ويسر بها في السرية لما روي عن وائل بن حجر قال: " كان رسول الله ﷺ إذا قرأ (ولا الضالين) قال: آمين ورفع بها صوته" رواه أبو

(١) أخرجه أبو داود رقم (٧٧٥) أحمد في المسند برقم (١٦٤٢٠) وعبدالله بن مسعود برقم (٣٨٢٩) والترمذي برقم (٢٤٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال أحمد: لا يصح هذا الحديث، فقد تكلم في علي بن علي الرفاعي أحد رواة هذا الحديث. وأخرجه أبو داود في سننه برقم (٧٧٤) وقال: هذا الحديث يقولون هو عن علي بن علي عن الحسن مرسلاً، والوهم من جعفر: (الراوي عن علي بن علي) والدارمي برقم (١٢٤١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. لكن يعتقد بالآية وهو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾

(٢) أخرجه البخاري رقم (٧٨٥) ومسلم رقم (٨٩٣)

داود والترمذي^(١)، ومعنى قوله : آمين أي: اللهم استجب، وشرع التأمين بعد الفاتحة تفاؤلاً بإجابته وحصوله؛ لأن في قراءته الفاتحة سؤالاً للهداية، فلهذا شرع قوله: آمين؛ ليكون طابعاً عليه وتحقيقاً له، ولهذا اشتد حسد اليهود للمسلمين عليه حين سمعوههم يجهرون به في صلاتهم.

٥- ومن السنة القراءة بعد الفاتحة بما تيسر من القرآن في صلاة الفجر والجمعة والركعتين الأوليين من المغرب والعشاء والظهر والعصر: لما رواه أبو قتادة رضي الله عنه "أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر في الأوليين بأم الكتاب وسورتين وفي الركعتين الأخريين بأم الكتاب ويسمعنا الآية، ويطول في الركعة الأولى ما لا يطول في الثانية، وهكذا في العصر، وهكذا في الصبح" رواه البخاري، ومسلم^(٢).

٦- الدعاء بعد التشهد الأخير: لحديث أبي هريرة مرفوعاً: "إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المسيح الدجال ومن فتنة المحيا والممات" رواه مسلم وأبو داود^(٣)، فهذه الأربع أمر المصلي أن يستعيذ بالله منها؛

(١) أخرجه أبو داود برقم (٩٣٢) والترمذي رقم (٢٤٨) والنسائي رقم (٨٧٩) وأحمد رقم (١٨٨٦٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٦٨) في باب بدء الأذان من كتاب الأذان. ومسلم في باب القراءة في الظهر والعصر برقم (٤٥١).

(٣) وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٣٥٢)، وأبو داود في سننه (٩٨٥).

لأنها مجامع الشر كله، كما شرع للمصلي الدعاء في مصالح دنياه وأخراه في هذا الموضع خاصة لقوله ﷺ: "ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو" رواه أحمد والنسائي^(١)، ويخطيء بعض المصلين حيث نرى من يلتزم بالدعاء بعد الصلاة والسلام منها، مع أن الدعاء قبل السلام أفضل منه بعد السلام، وهكذا كانت عامة أدعية النبي ﷺ كلها كانت في الصلاة، وذلك لأن المصلي قبل سلامه في محل المناجاة والقربة بين يدي ربه، فسؤاله في هذه الحال أقرب للإجابة من سؤاله بعد انصرافه من بين يديه.

٧- الاستغفار بعد السلام مباشرة: ففي حديث ثوبان رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا انصرف عن صلاته استغفر ثلاثاً. رواه مسلم^(٢)، وطلب المغفرة لا يكون إلا من الشعور بالتقصير من المصلي لعلمه بما يستحق الرب جل وعلا من حقوق العبودية وآدابها الظاهرة والباطنة وإن العبد أعجز وأضعف وأقل من أن يوفيهما حقها، فكيف يرضى بها لربه؟

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد برقم (٨٠٠) وأحمد في المسند برقم (٤٠٩٩)، عن عبد الله بن مسعود والنسائي في سننه (المجتبى) برقم (١٢٩٦)

(٢) صحيح مسلم برقم (١٢٨٥) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا جل وعلا ويرضى،
وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده
ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آبائه وأصحابه والتابعين
ومن تبعهم إلى يوم الدين أما بعد.
أيها المسلمون! وأما سنن الأفعال المشروعة في الصلاة فكثيرة أيضاً،
ومنها:

١- رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع من
الركوع: ورفع اليدين في الصلاة هو حلية الصلاة وزيتها وتعظيم
لشعائرها، وتعظيم لأمر الله، وعبودية خاصة كعبودية باقي الجوارح،
واتباع لسنة رسول الله ﷺ إذا قام في الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو
منكبيه، وكان يفعل ذلك حين يكبر للركوع ويفعل ذلك إذا رفع رأسه
من الركوع " رواه البخاري ^(١) .

٢- ومن السنة وضع اليد اليمنى على اليسرى، ووضعهما على صدره
في حال القيام؛ لحديث وائل بن حجر رضي الله عنه قال: " صليت مع
النبي ﷺ ، ووضع يده اليمنى على يده اليسرى على صدره " رواه ابن

(١) صحيح البخاري برقم (٧٣٦) في باب بدء الأذان، من كتاب الأذان من حديث ابن عمر
رضي الله عنهما.

خزيمة^(١).

٣- ومن السنة النظر إلى موضع سجوده: لما روي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم، لينتھن عن ذلك أو لتُخطفن أبصارهم"^(٢). ومن العبث المخل بالصلاة أن تجد بعض المصلين تدور أعينهم هنا وهناك، وهم في صلاتهم ومناجاتهم مع ربهم، وهو خطأ يُخشى على صاحبه إن استمر عليه أن يكون ذلك سبباً لوقوع الوعيد الشديد الذي ذكره النبي ﷺ.

٤- ومن السنة مد الظهر في الركوع معتدلاً، وجعل رأسه حياله، فلا يخفضه ولا يرفعه قال أبو حميد: "ركع النبي ﷺ، ثم هصر ظهره" رواه البخاري^(٣)، وعن علي رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ لو وُضع قدح من ماء على ظهره لم يهراق" رواه أحمد.^(٤)

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه برقم (٤٧٩) في كتاب الصلاة، عن وائل بن حجر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٧٩) كتاب الصلاة: باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة وأبو داود رقم (٩١٤) والنسائي رقم (١١٩٣) وابن ماجه رقم (١٠٤٤) وأحمد رقم (١٠٢٨٤) عن أنس رضي الله عنه

(٣) أخرجه البخاري برقم (٨١٩) في كتاب الأذان، باب بدء الأذان عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم (٩٩٧).

٥- ومن السنة المجافاة: بأن يجافي البطن عن الفخذين، ومجافاة الفخذين عن الساقين في السجود، لحديث أبي حميد في صفة صلاة رسول الله ﷺ قال فيه: " وإذا سجد فرج بين فخذيه غير حامل بطنه على شيء من فخذيه ^(١)، وفي حديث ابن بحنة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ يجنح في سجوده حتى يرى وضح إبطيه" رواه البخاري ^(٢).

٦- ومن السنة التورك في التشهد الأخير إذا كان في الصلاة تشهدان، وما عداه يكون ناصباً اليمنى وجالساً على اليسرى، وصفة التورك: أن يخرج الرجل اليسرى من الجانب الأيمن مفروشة، ويجلس على مقعدته، وتكون الرجل اليمنى منصوبة (وهذه الصفة إحدى صفات التورك).

عباد الله! يقول ابن مسعود، وسلمان رضي الله عنهما: "الصلاة مكيال، فمن أوفى استوفى، ومن طفف، فقد علمتم ما قال الله في المطففين" وإن من المحافظة عليها إتمام أركانها وشروطها وواجباتها وسننها والطمأنينة فيها، حتى يخرج المسلم من صلاته وقد أثرت في قلبه وبدنه وسائر أحواله، آثاراً تبدو على صفحاته ولسانه وجوارحه

(١) أخرجه أبو داود رقم (٧٣٥) والبيهقي في السنن الكبرى رقم (٢٨١٩)

(٢) أخرجه مسلم رقم (١١٣٤) والنسائي رقم (١١٤٧).

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فنهته عن كل فحشاء ومنكر ، وحالت بينه وبين كل قاطع عن الله.
 ألا فاتقوا الله، عباد الله، واستقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة " أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها" ^(١) ، بذلك صح الخبر عن نبيكم محمد ﷺ خير البشر. ثم صلوا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه حيث قال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢٧) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. ومسلم برقم (٢٦٦) في كتاب الإيمان. باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، برقم (٢٦٦).

خطبة عيد الفطر المبارك

الخطبة الأولى

الله أكبر: (تسع مرات).

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد،
الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً،
الله أكبر ما نطق بذكره وتعظيمه ناطق، الله أكبر ما صدق في قصده
وعمله صادق،

الله أكبر خلق الخلق وأحصاهم عدداً، وكلهم آتية يوم القيامة فرداً،
الله أكبر خلق الجن والإنس لعبادته، وعنت الوجوه لعظمته، وخضعت
الخلائق لقدرته،

الله أكبر ما أقيمت شعائر الدين، الله أكبر ما رفرت بالنصر أعلام
المؤمنين،

الله أكبر كلما صام صائم وأفطر، وكما لاح صباح عيد وأسفر،
الله أكبر ما تلا قارئ كتاب ربه فتدبر، الله أكبر ما بذل محسن وشكر،
الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

الحمد لله الذي سهّل لعباده طريق العبادة ويسّر، ووفّاهم
أجورهم من خزائن جوده التي لا تنفذ ولا تحصر، ومنّ عليهم بأعياد
تعود عليهم بالخيرات والبركات وتكرر، وتابع لهم مواسم العبادة

لتشيد الأوقات بالطاعة وتعمير، أحمدته سبحانه وأشكره على فضله،
 وحق له أن يشكر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، انفرد
 بالخلق والتدبير، وكل شيء عنده بأجل مقدّر، وأشهد أن سيدنا ونبينا
 محمداً عبده ورسوله أفضل من تعبد لله وصلى وزكى وحج واعتمر،
 صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين سبقوا بالخيرات،
 فنعم الصحب والمعشر، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما بدا الفجر
 وأسفر.

أما بعد: أيها المسلمون! كم هي نعمة عظيمة أن من الله تعالى
 على أمة الإسلام بهذا اليوم الأغر، يوم عيد الفطر المبارك الذي توج
 الله تعالى به شهر الصيام، وافتتح به أشهر الحج إلى بيته الحرام، وأجزل
 فيه للصائمين والقائمين، والباذلين والعاملين جوائز البر والإكرام، عيد
 يملأ القلوب فرحاً وسروراً، وتزدان به الأرض بهجة وحبوراً، يخرج فيه
 المسلمون إلى مصلاهم لربهم حامدين، ولنعمته شاكرين، ويأتون
 الصيام والقيام مغتبطين، ولخيرته وثوابه مؤملين، ولما سألوا ربهم من
 الخيرات راجين.

عيدنا معشر المسلمين عيد الفطر المبارك الذي ليس سواه عيد إلا
 عيد الأضحى المبارك، وما سواهما فأعياد مبتدعة مهما كانت مسمياتها
 وأسمائها والداعون لها والمحتفلون بها . ولما قدم النبي ﷺ المدينة

كان لهم يومان يلعبون فيهما في الجاهلية فقال: "إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الفطر ويوم النحر".^(١)

عيدنا- أهل الإسلام- عيد غبطة في الدين والطاعة، وبهجة في الدنيا والحياة، إنه فرحة بانتصار الإرادة الخيرة على الأهواء والشهوات، والخلاص من إغواء شياطين الإنس والجن، والرضى بطاعة المولى والوعد الكريم بالفردوس الأعلى، والنجاة من جهنم ولظى.

عيدنا عيد تزاور وصلة وقربى، وصفح وعفو ومسامحة، وودّ ومحبة، وإخاء وألفة، ليس عيد بطر ولا أشر، ولا فسق أو فجور، ولا لهو محرم وعبث بالأموال واختلاط بين الرجال والنساء، وليس عيد مزامير أو طرب أو انشغال بالمحرمات، ونسيان لرمضان والصيام والقيام، فمن تعيد بهذه المحرمات، فقد قوض ما بناه في رمضان، وأفسد ما عمره في رمضان، وهدم ما شيده في رمضان.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر والله الحمد.

أيها المسلمون! من الناس من تطفئ عليه فرحة العيد فتستبد بمشاعره ووجدانه وقلبه متناسياً واجب الشكر والاعتراف بالنعمة، وتدفعه إلى الزهو بالجديد والإعجاب بالنفس حتى يبلغ درجة المخيلة

(١) وأبو داود في سننه برقم (١١٣٦) أخرجه أحمد في المسند (١٢٠٢٥) ولفظه: "يوم الأضحى ويوم الفطر" والنسائي برقم (١٥٥٧) ولفظه: "يوم الفطر ويوم الأضحى" وصححه الألباني. هذا أبو داود النسائي، أحمد.

والكبر والتعالي، وما علم هذا أن العيد قد يأتي على أناس قد ذلوا من بعد عز، فتهيج في نفوسهم الأشجان، وتحرك في صدورهم كثير من الأحزان، ذاقوا من البأس ألواناً بعد رغد العيش، وتجرعوا من العلقم كيزاناً بعد وفرة النعيم، فحل محل البهجة الأنين والعناء، واعتاضوا عن الفرحة بالبكاء.

كم يتيم ينشد عطف الأبوة الحانية؟ وأرملة تتذكر بهذا العيد عزاً مع زوج عطوف قد مضى؟ وفقير ومسكين ولاجئ وطريد ومجاهد منشغل بجهاده يأتيه العيد بين أصوات المدافع ودوي القنابل؟ فحق على كل ذي نعمة ممن صام وقام أن يتذكر هؤلاء، فيرعى اليتامى، ويواسي الأيامي، ويرحم أعزاء قوم قد ذلوا.

كم هو جميل أن يصاحب فرحة العيد وبهجته وجديده تفريج كربه وملاطفة يتيم ومواساة ثكلى؟ فإن لم تستطع بمالك وجهدك فأسعفهم بكلمة طيبة، وابتسامة حانية، ولفتة طاهرة من قلب مؤمن، ودعوة حارة من لسان صادق، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [الجاثية: ١٥]، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

أمة العقيدة والدين، يمر العيد هذا العام والأمة المسلمة في أنحاء العالم تمر بأزمات ومحن، ومصائب وفتن، تكالبت عليها أمم الكفر والضلال، وجلبت خيلها ورجلها على هذا الدين وأهله، ما أحوج

الأمة وهي تعيش فرحة العيد، وشكر الله تعالى على ما أنعم به عليها أن تتذكر حاجاتها العظيمة، وأهدافها السامية؛ لتتوحد تحت راية هذا الدين، وتدع التفرقة والتشتت، وتبتعد عن الخلافات الجانبية، وتجتمع على مبادئه العظيمة.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

أيها الآباء والأمهات، أيها الأولياء! أقر الله تعالى عيونكم وأفئدتكم بفلذات أكبادكم، وبلغكم آمالكم فيهم، ألبستموهم الجديد في هذا العيد، بذلتهم لهم من أموالكم ما يفرحهم ويسرهم، أثرتموهم على أنفسكم، اشتريتم لهم حلاوة العيد، أجزل الله لكم المثوبة، ضاعف لكم الأجور العظيمة.

كم هو جميل أيها الأب وأيتها الأم: أن يقارن ذلك شعور بتجديد مسؤوليتكم تجاههم، ورعايتكم الشرعية لهم، وإحساسكم بعظم أمانتكم (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)^(١). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] وكم هو جميل أن يقارن ذلك شعوركم بأن كل أبناء المسلمين وبناتهم هم أبناءكم وبناتكم؛ لتتواصل الأخوة الإيمانية الكريمة، فيعظم هذا الشعور فتمتد الأيدي المعطاة في بذل

(١) رواه البخاري سبق تخريجه في الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (٨٩٣) ومسلم في الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم (١٨٢٩).

الخير للمسلمين وأبنائهم في كل مكان، وبخاصة في أراضي الجهاد والكفاح والفقر والعناء، وتمتد الألسنة بالدعاء الصادق بأن يفرج الله تعالى عن الأمة ضيقها، وينفس عنها كرباتها، وينصرها على أعدائها، لتتعبد الأمة جمعاء فرحة مسرورة.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

أمة القرآن والدين، صمتتم شهركم وقمتتم ليله، وأنفقتكم أموالكم للمحتاجين، وبذلتموها في سبل الخير والدعوة، وقرأتم كتاب ربكم ودعوتكم لإخوانكم المسلمين والمجاهدين والمستضعفين، وختمتم بالاستغفار والتوبة، وبصدقة الفطر الواجبة، تقبل الله مني ومنكم، وبلغني وإياكم أجر ذلك ومثوبته، وأقر أعيننا بثمرته في الدنيا والآخرة، وقد ودعتم شهركم، وابتهجتم هذا الصباح بعيدكم، فابقوا على العهد، وأتبعوا الحسنة الحسنة، فاجعلوا لكم ورداً من الصيام والقيام في سائر الأيام، وشيئاً من البذل والعطاء، واستمروا في التلاوة والذكر والدعاء، فهذا من علامات قبول الطاعات، ومن ذلك ما ندب إليه نبينا عليه الصلاة والسلام بإتباع رمضان صيام ست من شوال، فمن فعل ذلك فكأنما صام الدهر كله، كما ثبت ذلك عنه صلوات الله وسلامه عليه بقوله: " من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر"^(١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٥) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام، وسائر الطاعات والقربات، وأقر أعيننا وقلوبنا بنصرة الإسلام والمسلمين، وأعاد علينا وعلى أمة الإسلام هذا الشهر بالقبول والغفران، والصحة والسلام، والأمن والأمان، ودحر أعداء العقيدة والدين.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

الخطبة الثانية

الله أكبر (سبعاً) الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر
ولله الحمد. الله أكبر أوجد الكائنات بقدرته فأتقن ما صنع، الله أكبر شرع
الشرائع فأحكم ما شرع، الله أكبر لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع،
الله أكبر، كلما هلل المهللون ، وحمده الحامدون، الله أكبر، كلما ذكره
الذاكرون، وكبره المكبرون.

الحمد لله معيد الجمع والأعياد، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه،
إن الله لا يخلف الميعاد، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه وآلائه التي
لا يعدّها عاد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا
مضاد، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المفضل على جميع
العباد، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الأتقياء
الموحدين العباد، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد.

أما بعد، أمة الحق والشرعية، عماد هذا الدين، وأسسه وأصله،
وأوجب واجباته توحيد الله سبحانه وتعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه
وصفاته، واعتقاد ذلك والجزم به، واليقين الصادق، وإفراده تعالى
بالعبودية الصادقة الخالصة، قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢١)
[الذاريات: ٥٦] ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

أيها المسلمون! عيدنا المبارك يذكرنا بأهمية هذا التوحيد وتجديده في القلوب، وإحيائه في النفوس لتحيا معه شعائر هذا الدين، وواجباته وأخلاقه ومبادئه وتعاليمه، فأقيموا الصلاة تحفظ لكم دينكم، وأكثرُوا من الصدقة والبر تطفأ خطاياكم وغضب ربكم، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم تزكيكم وتطهر أموالكم، وصوموا شهركم تنالوا رضا مولاكم، وحجوا بيت ربكم تخرجوا من ذنوبكم كيوم ولدتكم أمهاتكم، بروا آباءكم وأمهاتكم ببركم أبناؤكم، وتنالوا رضا ربكم، قوموا بحقوق زوجاتكم وأهليكم تصفو حياتكم، وتدخلوا جنة ربكم، صلُّوا أرحامكم يبسط لكم في أرزاقكم، وينسأ في آثارك، حسنوا معاملتكم وأخلاقكم تطب نفوسكم، وتنعموا بقرب نبيكم، طهروا قلوبكم من الغش والحسد والحقد والبغض تعلو درجاتكم وتغفر ذنوبكم، واحفظوا جوارحكم تشهد لكم يوم لقاء ربكم، تجنبوا الحرام من الأقوال والأفعال تأمنوا من عواقبها، خلصوا أموالكم من الربا والغش والتدليس والأيمان الكاذبة تضاعف لكم وتسلموا من شرها.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

أيتها المرأة المسلمة! أيتها الأم الرؤوم، أيتها الزوجة الحنون، أيتها البنت العطوف، يا من كرمك الله بدينه، وأعزك بشريعته، وأنقذك من أعدائك بإيمانك والتزامك بتعاليمه، وألبسك لباس الحشمة والتقوى،

وستترك بحجابك عن النار، أيتها المرأة المؤمنة، أيتها المسلمة الواعية، أنت المربية الفاضلة والمعلمة العاقلة، أنت مخرجة العلماء والأبطال، صانعة الدعاة والرجال، ومنشئة القادة والمجاهدين، إن لنفسك عليك حقاً بتربيتها وتزكيتها والقيام بما أوجبه الله عليك.

زوجك هو جنتك ونارك، حقه عظيم، والواجب في شأنه كبير، شجعيه في دروب الخير والدعوة، وشدي من عضده في المعروف والطاعة، وتحملني واصبري تجدي ثمرة ذلك، أبناؤك وبناتك ثمرة فؤادك وامتدادك بعد مماتك وقرة عينك، فالله الله في رعايتهم وتنشئتهم على الحق والخير والهدى.

أيتها العفيفة الطاهرة، والجوهرة المصونة! حجابك الزمي، وفي بيتك قري، وأعداء دينك احذري، وتقاليد الغرب والشرق تجنبي، وبدعوة ربك اعملي، وبمسؤوليتك قومي، ومن مالك تصدقي، قال عليه الصلاة والسلام: "إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت زوجها، وحفظت فرجها قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئت" (١).

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٦٦١) من حديث عبد الرحمن بن عوف. كما أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٤١٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها المسلمون!

هذا هو عيدكم، افرحوا به شكراً لله عز وجل، وابتهجوا،
وأفرحوا أولادكم وأسركم وذويكم وأقاربكم وجيرانكم ومن له حق
عليكم، واتقوا الله تفلحوا وتفوزوا.

اللهم أعده علينا أعواماً تلو أعوام، اللهم أعز الإسلام
والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين والكفرة والملحدين، اللهم انصر
من نصر الدين، واخذل من خذل الإسلام والمسلمين، اللهم كن
للمستضعفين والمنكوبين من المسلمين، اللهم أطعم جائعهم، واكس
عاريهم، وأرجع اللاجئين إلى بلادهم منصورين.

اللهم انصر المجاهدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل
مكان، اللهم انصرهم نصراً مؤزراً.

اللهم تقبل منا الصيام والقيام وسائر القربات والطاعات، واغفر
لنا ما وقع من الزلل والخطأ والتقصير، ولا تؤاخذنا بذنوبنا، اللهم أعد
علينا رمضان ونحن في عز وعافية وأمن وأمان، وارزق الأمة الإسلامية
عودة إلى دينها وتعاليم ربها وانصرها على أعدائها.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين.

الزكاة قرينة الصلاة

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي فرض الزكاة تزكية للنفوس وتنمية للأموال،
ورتب على الإنفاق الثواب العظيم، وجزيل المنوال، أحمده سبحانه
وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال،
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الذي حاز أكمل صفات
المخلوقين وأجل الخصال.. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله
وصحابه وأتباعه الذين حازوا السبق والنوال.

أما بعد، عباد الله : اتقوا الله تعالى حق التقوى، واتبعوه في السر
والنجوى. تلافحوا في الأولى والأخرى.
أيها المسلمون!

إن من أركان الإسلام الخمسة الزكاة المفروضة، كما جاء ذلك
في حديث ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (بُني الإسلام
على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام
الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام).^(١)

فالزكاة أحد أركان الإسلام وأبنيته العظام، وقرينة الصلاة في
كتاب الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ

(١) أخرجه البخاري برقم (٨) ومسلم برقم (١٢٠) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

الزَّكِيَّينَ ﴿١٣﴾ [البقرة: ٤٣] ، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠] ، ويقول الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١] ، وقد عرف صحابة رسول الله ﷺ لهذا الركن حقه، فهذا الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما تولى الخلافة، وارتد كثير من الناس عن الإسلام، ومنع فريق منهم الزكاة التي كانوا يؤدونها على عهد رسول الله ﷺ ، فقاتلهم على منعهم إياها، أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنها قال: (لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنه : كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله، فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق) ^(١) .

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٩٤٦) ومسلم برقم (١٢٣) عن أبي هريرة.

ولما كانت الزكاة واجبة في الإسلام رتب على إخراجها ثواباً عظيماً، وجعل في ذلك خلفاً عاجلاً وآجلاً، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ [سبا: ٣٩]، ويقول الله سبحانه : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ويقول سبحانه : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْفَظِطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] [آل عمران: ١٣٣]. فالإنفاق في سبيل الله تعالى يخلف على الإنسان في الدنيا والآخرة، ويضاعف له الحسنات أضعافاً مضاعفة مثل الحبة التي أنبت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء. وهذا كله مع وعد الله بالمغفرة ودخوله جنة عرضها السموات والأرض.

أيها المسلمون!

أخرجوا زكاة أموالكم لتضاعف أجوركم، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١]. أخرجوا زكاة أموالكم تكن جنة لكم عن النار، أكثروا من الصدقة لتطفئ خطاياكم، فقد جاء

عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح: (اتقوا النار ولو بشق تمرة) ^(١) وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول ﷺ: (والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار) ^(٢).

أدوا زكاة أموالكم لتسلموا من عواقبه، فقد روى جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من أدى زكاة ماله، فقد ذهب عنه شره) وفي رواية: (إذا أديت زكاة مالك، فقد أذهبت عنك شره) ^(٣)، أدوا زكاة أموالكم لتدخلوا جنة ربكم، فقد روى أبو هريرة وأبو سعيد رضي الله عنهما قالا: خطبنا رسول الله ﷺ يوماً، فقال: (والذي نفسي بيده ثلاث مرات - ثم أكب، فأكب كل رجل مئاً ييكى، لا يدري على ماذا حلف؟ ثم رفع رأسه وفي وجهه البشرى، فكانت أحب إلينا من حُمُر النعم، ثم قال: ما من عبد يصلي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويخرج الزكاة، ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة، وقيل له: (ادخل بسلام) رواه النسائي وغيره واللفظ له ^(٤).

-
- (١) أخرجه البخاري برقم (١٤١٣) ومسلم (٢٣٩٤) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.
 (٢) أخرجه الترمذي رقم (٦١٤) وابن ماجه رقم (٤٢١٠) وأحمد برقم (١٥٣١٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
 (٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم (٢٢٤٧) ورقم (٢٤٧٠) والحاكم رقم (١٤٣٩) عن جابر رضي الله عنه.
 (٤) أخرجه النسائي في سننه برقم (٢٣٤٩) من كتاب الزكاة. وذكره المنذري في الترغيب والترهيب برقم (٥٣٥) وقال: قال الحاكم: صحيح الإسناد.

أيها المسلمون!

أدوا الزكاة قبل أن تفقدوا المال مرتحلين عنه أو مرتحلاً عنكم، فإنما نحن في الدنيا غرباء مسافرون، والمال وديعة بين أيديكم لا تدرون متى تعدمونه، أدوا زكاة أموالكم قبل أن يأتي اليوم الذي يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها الجباه والجنوب، روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار). ^(١) وهذا الحديث مصداق قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُمْسِكُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٤﴾ يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

أدوا زكاة أموالكم قبل أن يمثل لكم شجاعاً أقرع يطوق به عنق من لم يخرججه، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٢٧) عن أبي هريرة في حديث طويل.

حتى يطوق به عنقه) ^(١) ثم قرأ علينا النبي ﷺ مصداقه من كتاب الله ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنْتَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [ال عمران: ١٨٠].

اتقوا الله تعالى، أيها المسلمون! وأكثرُوا من الزكاة والصدقة والإنفاق لتزكو أموالكم وتطهر نفوسكم وتسدوا حاجات إخوان لكم، وتعاونوا على البر والتقوى، فاليوم عاملون وغداً محاسبون ومجزيون. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه النسائي رقم (٢١٤١) وأحمد رقم (٣٧٧٧) والترمذي في جامعه برقم (٣١٠٨) عن عبدالله بن مسعود في كتاب التفسير، وقال: حديث حسن صحيح.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أنعم علينا بالأموال، وشرع لنا تصريفها فيما يرضي الكبير المتعال، أحمدوه وأشكروه. وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى وأدوا ما أوجب الله عليكم في أموالكم التي رزقكم الله تعالى، فقد أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً، ولا تملكون لأنفسكم نفعاً ولا ضرراً، ثم يسر لكم الرزق وأعطاكم ما ليس في حسابكم، فقوموا بشكروه وأدوا ما أوجب عليكم؛ لتبرئوا ذممكم، وتطهروا أموالكم، واحذروا الشح والبخل بما أوجب الله عليكم فإن في ذلك هلاككم ونزع بركة أموالكم. أيها المسلمون!

إن من الأمور المهمة التي يجب أن يعرفها المزكي أنه يجب أن تعطى الزكاة لمستحقيها من الأصناف الثمانية الذين ورد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَدِيرِمْ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة : ٦٠].

واحذر أيها المسلم أن تخرج زكاة مالك لغير هؤلاء الأصناف الثمانية، فعليك أن تتحرى عمن تريد إعطاءهم الزكاة، وإن من المؤسف أن نرى بعض الناس اعتاد أن يعطي زكاة ماله أناساً لا يستحقونها ولو كانوا أغنياء، ويعلل ذلك بأنها عادة لا يريد أن يقطعها، فليعلم أن الزكاة لا تسقط عنه، وبعض الناس يعطيها أشخاصاً يتظاهرون بالفقر مع أن لديهم قدرة على التكسب والعمل، ولكنه وجد الراحة بأخذ زكاة الناس، فهذا لا يجوز أن يعطى من الزكاة، فالواجب على الإنسان أن يوصلها إلى من يستحقها سواء جعلها في صنف واحد من الأصناف الثمانية أو فيهم جميعاً.

ومن الأمور المهمة أن يبتعد الإنسان حال إخراج الزكاة عن الرياء والسمعة، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم: ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه" (١).

وتوعد رسول الله ﷺ الذين يراؤون بنفقة أموالهم بأنهم من أول من يكب في النار على وجوههم أو على مناخرهم، جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه.. وذكر منهم: ورجل

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ذلك ليقال: هو جواد - أي سخي كريم - فقد قيل، ثم أمر به فيسحب على وجهه حتى ألقي في النار^(١).

فلنحذر كل الحذر أن يكون القصد من إنفاقنا رياء وسمعة، أو ليقال: إنه كريم أو سخي أو كثير البذل ونحو ذلك.

أيها المسلمون!

على المسلم أن يحاول أن ينفق مما لديه ولو لم تجب عليه الزكاة سواء للفقراء أو المساكين، أو المشاركة في الأعمال الخيرية كتحفيظ القرآن وبناء المساجد أو التبرع في مجالات الخير، فالله سبحانه وتعالى يقول: (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) [سبأ: ٣٩] ويقول الله سبحانه وتعالى: (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً) [المزمل: ٢٠]. ويقول الرسول ﷺ: (اتقوا النار ولو بشق تمر)^(٢).

فأنفقوا ما استطعتم الإنفاق واحذروا البخل والشح، فإن النفوس مجبولة على الشح، ولكن من يوق شح نفسه فقد أفلح، فإن كثيراً من

(١) وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٤٨٧٩) في كتاب الإمارة أخرجه أحمد في مسنده برقم (٨٢٦٠). واللفظ لأحمد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

الناس وللأسف يسرف على نفسه في المأكل والمشرب والملبس والمركب وغيرها، ويخل عن الإنفاق في مشاريع الخير، فاعلم أيها المسلم أنك محاسب على هذا المال من أين اكتسبته؟ وفيما أنفقته؟ واعلم أنه لن يصحبك إلى قبرك، وسيبقى لغيرك، فأنفقه ما دام في تصرفك قبل أن يفارقك، أكثروا عباد الله من الصدقة ولو قليلاً ، فالقليل مع القليل كثير.

وأنفقوا أيها المسلمون لتسدوا حاجات إخوان لكم من الذين يتعففون ولا يسألون، فهناك كثير من الأسر مات عائلهم، أو عجز عن التكسب، أو هو مصاب بآفة، فهم محتاجون إلى ما عندهم. ضاعف الله لكم الأجر والمثوبة.

وصلوا وسلموا على رسول الله. كما أمركم الله تعالى في محكم التنزيل فقال سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

استقبال شهر رمضان

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان سيد الشهور، وضاعف فيه الحسنات والأجور، أحمده سبحانه وأشكره إنه غفور شكور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها الفوز والسرور، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أشرف أمر ومأمور، وصلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم البعث والنشور.

أما بعد : عباد الله! اتقوا الله تعالى في جميع الأحوال وفي كل زمان ومكان.

أيها المسلمون! ها هي دورة الفلك قد اكتملت، ليشرق على الدنيا هلال رمضان المبارك الذي تهفو إليه نفوس المؤمنين، وتتطلع شوقاً لبلوغه، لتنظم في مدرسته التي تفتح أبوابها كل عام، مستقبلة أفواج الصائمين في كل أرجاء المعمورة.

ومع ضجيج الحياة، وزحام الدنيا تأتي مدرسة رمضان؛ لتعيد للقلوب صفاءها، وللنفوس إشراقها، وللضمائر نقاءها.

عباد الله ! كنا نودع شهر رمضان الماضي، وكأن صفحاته قد طويت قبل أيام، واليوم يستقبله المسلمون بعد عام، عام مضى ذهبت

لذته، وبقيت حسرته وتبعته، نُسيت أفراحه وأتراحه، وبقيت حسناته وسيئاته، نعم ستنقضي هذه الدنيا بأجمعها، الأعمال على طولها وقصرها، ويعود الناس إلى ربهم بعد ما أمضوا فترة الامتحان على ظهر الأرض (كما بدأكم تعودون، فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة) .
(الأعراف: ٢٩-٣٠).

عباد الله ! لقد أظلكم شهر عظيم، وحل بساحتكم هذا الضيف الكريم، رحمة من الله بكم، ليقربكم إليه بطاعته، فاحمدوه على هذه النعمة العظيمة واعلموا أن الله قد اختصكم بها، وحرّم منها كثير من الناس، وبلغكم هذا الشهر، وقد قطع منه ناساً من إخوانكم نزل بهم الموت قبل بلوغه.

عباد الله ! إن بلوغ رمضان نعمة كبرى يقدرها حق قدرها الصالحون المشمرون، بل إن بلوغه أمنية كان يتمناها نبيكم محمد ﷺ ويسألها ربه، حتى كان يقول: " أتاكم رمضان سيد الشهور فمرحباً به وأهلاً" رواه البيهقي^(١). وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: " قال ﷺ : " أتاكم شهر رمضان، شهر بركة، يغشاكم الله فيه برحمته، ويحط الخطايا، ويستجيب الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم

(١) أنظر: لطائف المعارف ١/ ١٥٨.

رحمة الله" رواه الطبراني^(١).

جاء شهر رمضان بالبركات فأكرم به من زائر هو آت
عباد الله ! إن بلوغ شهر رمضان وصيامه نعمة عظيمة، ويدل عليه
حديث الثلاثة الذين استشهد اثنان منهم، ومات الثالث بعدهما على
فراشه، فرئي في المنام سابقاً لهما، فقال ﷺ : "أليس صلى بعدهما كذا
وكذا صلاة، وأدرك رمضان فصامه؟ فوالذي نفسي بيده، إن بينهما لأبعد
مما بين السماء والأرض" ^(٢) رواه أحمد وغيره.

عباد الله: جاء رمضان فيه الأمان والعشق والفوز بسكنى الجنان، من
لم يربح في هذا الشهر، ففي أي وقت يربح؟ من لم يتقرب فيه لمولاه،
فهو على مكانه لا يبرح، من رُحِم في هذا الشهر، فهو المرحوم، ومن
حُرِم خيره، فهو المحروم.

أتى رمضان مزرعة العباد لتطهير القلوب من الفساد
فأدّ حقوقه قولاً وفعلاً وزادك فاتخذ هذه للمعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها تأوه نادماً عند الحصاد
عباد الله! إن الصيام صبر على ألم الجوع والعطش، وصبر على
طاعة الله بلزوم ذلك، وصبر عن معصيته، فتجتمع فيه أنواع الصبر

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين رقم (١٢١٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده من حديث طلحة بن عبيد الله برقم (١٤٠٣) وابن حبان رقم

الثلاثة، وقد قال تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) (الزمر: ١٠).

والصوم جنة من النار فعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إنما الصيام جنة يستجن بها العبد من النار" رواه أحمد^(١).

وهو جنة من الشهوات، فقد جاء في حديث ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: "يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه الصوم، فإنه له وجاء" والصوم كفارة للذنوب، ومأج للسيئات، ورافع للدرجات، فقد قال عليه الصلاة والسلام من حديث أبي هريرة: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه" متفق عليه.^(٢)

وفي الجنة باب لا يدخل منه إلا الصائمون، فعن سهل رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منهم أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد"^(٣). [١١٥٢].

(١) مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما برقم (١٥٢٩٩).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٨) ومسلم (١٨١٧).

(٣) رواه البخاري: (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

كما أن الصيام - عباد الله - يشفع لصاحبه، فقد روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعتني الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعتني النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان" ^(١) كما أن الصيام سبب للسعادة في الدنيا والآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: "وللصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه" متفق عليه. ^(٢)

عباد الله! لقد شرع ربكم الصوم لحكمة جليلة وغاية عظيمة ذكرها الله في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَفُّونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).

والصائم من أقرب الناس إلى مولاه جلت قدرته، جاع بطن الصائم فلان قلبه، وظمأت كبد الصائم، فدمعت عينه، فالصوم المشروع هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الطعام والشراب، فكما أن الطعام والشراب يقطع الصيام ويفسده، فهكذا الآثام تقطع ثوابه، وتفسد ثمرته، فتصيّره بمنزلة من لم يصم، فالصائم حقيقة هو الذي صامت جوارحه عن الآثام، فصام لسانه عن الكذب والفحش وقول الزور والغيبة والنميمة وغيرها من المحرمات، وصامت أذنه عن

(١) المسند برقم (٦٦٢٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٩٠٤) ومسلم (٢٧٦٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الاستماع إلى المحرمات، وصامت عينه عن النظر إلى المحرمات، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث، هذا هو الصيام المشروع لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب، ففي الحديث الصحيح: "من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" رواه البخاري ^(١)، وفي الحديث: "رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش" رواه أحمد. ^(٢)

قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الطعام والشراب، وقال جابر رضي الله عنه: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك من الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.

إذا لم يكن في السمع مني تصاون وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي إذا من صومي الجوع والظما فإن قلت: إني صمت يومي فما صمت
عباد الله! الصوم: يضعف الشهوة وخطرات السوء وإرادات
المعصية، فتشرق الروح.

(١) في صحيحه، في (١٩٠٣) باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، برقم (١٨٠٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) المسند برقم (٨٨٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وابن خزيمة رقم (١٩٩٧) والحاكم رقم (١٥٧١).

الصوم: يذكر بحال الأكباد الجائعة والأحوال البائسة من الجائعين والفقراء والمساكين، فيرحمهم الصائم ويمد لهم يد العون والمساعدة.

الصوم: مدرسة لتربية النفس، وتزكية القلب، وعض البصر، وحفظ الجوارح.

الصوم: تجربة هائلة للنفس لتكون على استعداد تام لتحمل المشاق والقيام بالمهام الجسام من جهد وتضحية وإقدام، ولذا لما أراد طالوت أن يقاتل أعداءه ابتلى الله قومه بنهر وقال لهم: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً يَدُّهُ﴾ (البقرة: ٢٤٩) فنجح أهل الصبر، وفاز منهم من غلب هواه، وتخلف عن الجهاد عبدة الشهوات المقهورون تحت سلطان طبائعهم.

اللهم قد أظلنا شهر رمضان فسلمه لنا وسلمنا له، ووفقنا لصيامه وتقبله منا، اللهم وارزقنا فيه الجد في العمل والقوة في الطاعة وحسن العبادة، وأعدنا فيه من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونسألك اللهم التوفيق لكل خير والمزيد من كل بر، وأوزعنا اللهم شكر نعمتك، ووفقنا لعمل صالح ترضاه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وسنة نبيه، ﷺ، وأقول قولِي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله نعمه تترى، وإحسانه لا يحد، أحمدده سبحانه وأشكره
وأتوب إليه وأستغفره، أعطى فأجزل وأنعم فأسعد، وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له، عليه المعول وإليه المستند، وأشهد أن سيدنا
ونبينا محمداً عبده ورسوله، عبد شكور يواسي الأحمر والأسود، صلى
الله عليه وعلى آله وأصحابه، القدوة في البر والإحسان، والخلق
الأمجد، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، عباد الله ! إن الناس مع رمضان أشتات غير متفقين عن
اليمين وعن الشمال عزين، فمن الناس من لا يرى في رمضان إلا جوعاً
لا تتحمله أعصاب بطنه، وعطشاً لا تقوى عليه مجاري عروقه، قد
سئمت مسامعه ذكر رمضان، ودخوله ثقیل عليه، يراه وثاقاً مشدوداً أمام
رغباته وشهواته، فهو يصومه على مضض، فهذا وأمثاله ممن فقدوا لذة
الإيمان، وسرور الصالحين بالتسليم للخالق، جل شأنه، في أمره
وحكمه، فهؤلاء ترى وجوههم لاستقبال رمضان عابسة، وصدورهم به
ضائقة، فهو كالضيف الثقيل عندهم يرتقبون خروجه بفارغ الصبر،
ويتطلعون إلى انقضائه مشربئين، اعتادوا التوسع في الملذات والشهوات
من المآكل والمشارب، يأكلون الأبطال، ويشربون الأسطال، وينامون
النهار ولو طال، أغرقهم طوفان السعار المادي، فجعلهم يطلبون، ولا

يعطون، ويشتهون، ولا يصبرون، تراهم ذئاباً في الليل، جيفاً في النهار، فلا عجب ألا يجد هؤلاء من اللذة والراحة بهذا الشهر المبارك ما يجده المؤمنون الصادقون.

شهر جعله الله للقلب والروح، فجعلوه للبطن والمعدة!
 جعله الله للحلم والصبر، فجعلوه للغضب والعطش!
 جعله الله للسكينة والوقار، فجعلوه شهر السباب والشجار!
 جعله الله ليغيروا من صفات أنفسهم، فما غيروا فيه إلا مواعيد
 أكلهم وشربهم وشهواتهم!

جعله الله تهذيباً للغني الطَّعْم، ومواساةً للبائس المحروم، فجعلوه
 معرضاً لفنون الأطعمة والأشربة! يزداد الغني فيه تخمة والفقير حسرة!
 وإن تعجبوا- عباد الله - فعجب حينما تسمعون وترون
 الاستعدادات المبكرة والوعود المخزية لكثير من وسائل الإعلام، في
 قنوات فضائية لتتنافس تنافساً غير شريف في ترفيه غير بريء، وتسلية
 غير عفيفة، فضائيات وإعلام يعكس صفو المتعبدین، ويؤدي إلى انحراف
 المشاهدين والمتابعين، ما الذي دهى القوم؟! وأي أفكار تسربت إليهم
 ليجعلوا من شهر القرآن والصوم والنقاء والعفاف، يجعلوه موسم حياة
 لاهية وسمر عابث! يُبَثُّ فيه الفكر الملحد والاستهزاء بالدين والتطاول
 عليه، مع السلوك المنحرف، واللقطات الراقصة والحركات الفاتنة
 والأحوال المزرية! أين هؤلاء من النداء الرمضاني: "يا باغي الخير أقبل،

ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار" ^(١) "ومن لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" ^(٢) !!
عباد الله !

وأما القلة من الناس وهم كثرة - والله الحمد- يرون رمضان شهراً غير هذا كله، وأجلّ من هذا كله، يرون فيه التهذيب الإلهي بالتقوى، والإيثار الجميل والصبر الكريم، علموا أنه دروس يتعلمها الجيل، لا يجدها المرء في المدارس ولا في الجامعات، يستقبلون رمضان على أنه مدرسة لتقوية الإيمان، وتهذيب للوجدان، فيجدون في نهاره لذة الصابرين، وفي مسائه وليله لذة المناجاة في ساعاتها الغالية، هؤلاء هم الذين تفتح لهم أبواب الجنان في رمضان، وتغلق عليهم أبواب النيران وتلتقاهم الملائكة بالبشر والسلام، هؤلاء هم الذين ينسلخ عنهم رمضان مغفوراً لهم، مكفرة عنهم سيئاتهم، مجلوة قلوبهم، قد مسح الصيام عن جبينهم وعشاء الحياة، وأزال عن أجسامهم غبار المادة، وأبعد عن بطونهم ضرر التخمة، وغذى إيمانهم بالنور والقوة.

أمة الصيام والقيام! اتقوا الله تعالى وأكرموا هذا الوافد العظيم، جاهدوا النفوس بالطاعات، ابذلوا الفضل من أموالكم بالبر والصلوات،

(١) أخرجه الترمذي رقم (٦٨٢) والنسائي رقم (٢١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في باب من لم يدع قول الزور، من كتاب الصوم (٦٠٥٧). عن أبي

استقبلوه بالتوبة الصادقة والرجوع إلى الله، جددوا العهد مع ربكم،
 وشدوا العزم على الاستقامة، فكم من مؤمل إكماله أصبح رهين القبور،
 ألا فاتقوا الله معاشر المسلمين، وأروا الله من أنفسكم خيراً في هذا
 الشهر الكريم، فإن لله نفحات من حرمها حرم خيراً كثيراً:

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب	حتى عصى ربه في شهر شعبان
لقد أظلك شهر الصوم بعدهما	فلا تصيره أيضاً شهر عصيان
واتل القرآن وسبح فيه مجتهداً	فإنه شهر تسبيح وقرآن
كم كنت تعرف ممن صام في سلف	من بين أهل وجيران وإخوان
أفناهم الموت واستبقاك بعدهم	حياً فما أقرب القاصي من الدان

اللهم اجعل مواسم الخيرات لنا مربحاً ومغنماً، وأوقات
 البركات والنفحات لنا إلى رحمتك طريقاً وسُلماً.

ثم صلوا وسلموا على خير من صلى وصام، كما أمركم جل وعلا
 في محكم كتابه العزيز حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

رمضان مدرسة الصالحين

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أرشد الخلق إلى أكمل الآداب، وفتح لهم من خزائن رحمته وجوده كل باب، أحمده سبحانه وأشكره أنار بصائر المؤمنين، فأدركوا الحقائق، وطلبوا الثواب، وأعمى بصائر المعرضين عن طاعته، فصار بينهم وبين نوره حجاب، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث بأجل رسالة وأكمل كتاب، صلى الله وسلم وبارك عليه المكمل بأكمل الأخلاق والآداب، وعلى آله وزوجاته وذريته والأصحاب، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المصير والمآب.

أما بعد : عباد الله! اتقوا ربكم، وعظموا أمر مولاكم، واحفظوا دينكم وأماناتكم، وقوموا بحق شهركم، اتقوا الله في أنفسكم وأهلكم وأسركم، فإن من اتقى الله وقاه، ومن سلك سبيله نجاه، ومن توكل على الله كفاه وآواه.

أيها المسلمون! رمضان المبارك بما فرض فيه من الصيام وسنّ فيه من القيام، وشرع فيه من العبادات، وأكد فيه من الآداب، ووضع فيه من الحوافز، شهر التربية والتهذيب والتقويم والتأديب، شهر المحاسبة والمراجعة، شهر الجد والعمل، والقيام بالمسؤولية، والمشاركة في

كسب الخيرات، والفوز بالفلاح والنجاة.

رمضان شهر تربية الأفراد؛ لیسمو بهم إلى مدارج الكمال وتربية الأسر والبيوت؛ ليطهرها ويهذبها وينقيها ويصفيها من كل سوء ومكروه، ويربيها وينميها على أكمل الأخلاق والآداب. ورمضان شهر تربية الأفراد والأسر والمجتمعات والأمم على تصحيح العقائد وتهذيب السلوك، وتقويم الأخلاق، ونشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة، والتعاون على البر والتقوى.

أيها المسلمون! رمضان مدرسة تربوية عظيمة ذات مقررات عالية وبنود سامية.

إن الموفق هو الذي يستفيد من هذه المدرسة ليتربى على جمع مقرراته العظيمة، أولها وأفرضها الصيام إيماناً واحتساباً، الصيام عن الطعام والشراب وسائر الشهوات والملذات، يصوم العبد مستشعراً أن صيامه لله، يرجو ما أعده الله تعالى للصائمين من الأجور المضاعفة، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام هو لي وأنا أجزي به، فوالذي نفس محمد بيده لخلقة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" (١).

(١) أخرجه البخاري رقم (١٨٩٤) ومسلم في الصيام (٢٧٦٢) باب فضل الصيام.

وفي رواية: "يدع طعامه وشهوته من أجلي" وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه" (١).

ويتفرع عن هذا المقرر العظيم: تربية القلب والجوارح لتصوم كما يصوم عن الأكل لتصل إلى التقوى المنشود، يقوده صومه إلى أن لا ينطق إلا حقاً، ولا يبصر إلا حقاً، ولا يسمع إلا حقاً، فبالحق ومع الحق يدور، يتربى على ذلك "الصيام جنة، فلا يرفث، ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين" (٢)، "ومن لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه" (٣). وتربى النفس على الصبر والمصابرة، صبر على الطاعة بالصيام، وصبر عن المعصية بعدم مقارفة الآثام، قال عليه الصلاة والسلام: "الصوم نصف الصبر" (٤).

(١) رواه البخاري في الصوم (١٩٠١)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠).

(٢) رواه البخاري في الصوم (١٨٩٤) باب فضل الصوم، ومسلم في الصيام (١١٥١) باب فضل الصيام.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥١٩) باب [فيه حديثان: التسبيح نصف الميزان..] وابن ماجه في الصيام (١٧٤٥) باب في الصوم زكاة الجسد.

ويتربى الصائم على الإكثار والتزود من العبادات والأعمال الصالحة، فشهر رمضان: شهر القرآن: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] شفاء القلوب والأبدان، خير جليس، وأعظم أنيس، ملاذ الخائفين، وأمل الراجين، وقرة عيون الموحدين، كان بعض السلف يختم القرآن في شهر رمضان في كل ثلاث ليال، وبعضهم في سبع، وبعضهم في عشر، وكانوا يتركون جميع المشاغل والهموم للتفرغ للقرآن، فالقرآن القرآن في شهر القرآن يا أمة القرآن.

أيها المسلمون! ورمضان شهر الجود والبذل والإنفاق، فاقصدوا بصاحب الجود الذي كان أجود ما يكون في رمضان بما يملك من الجاه والعلم والمال والدعوة والإطعام وقضاء الحاجات وتنفيس الكربات، فاصنعوا المعروف في أهله، وافعلوا الخير تجدوه مضاعفاً عند الله، وأحسنوا ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] ورمضان شهر التربية على التهجد والقيام والعبادة "من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه" ^(١)، فكونوا من أهل القيام الذين قال فيهم المصطفى ﷺ: "من قرأ في ليلة عشر آيات كُتب من الذَّاكرين، ومن قرأ بمائة آية كُتب من القانتين، ومن قرأ بخمس مائة آية إلى الألف

(١) تقدم تخريجه.

أصبح وله قنطار من الأجر، قيل: وما القنطار؟ قال: ملء مسك الثور ذهباً^(١).

أيها المسلم الصائم! أيها المسلم القائم! أرايت كيف يربيك رمضان؟ وكيف يقوم خلقك وسلوكك، ويهذب أعمالك وتصرفاتك، ويقوي علاقتك بخالقك؟ استشعر هذا المعنى العظيم، لتنال ثمار هذا الشهر العظيم، استشعر أجر الصيام والقيام والقراءة والدعاء، والبذل والعطاء، والصدقة والصلة، والدعوة والخير، وقم بها إيماناً واحتساباً.

أيها المسلمون! ورمضان مدرسة لتربية الأسرة، وتقويم البيت وإصلاح الأهل والذرية.

البيت نعمة عظمى، به يسكن ويستراح، به يستدفأ من البرد، ويستظل من الحر، ويستتر عن الأنظار، ويتحصن عن الأعداء، وتحفظ الأعراض، البيت مجتمع مصغر تلتقي فيه النفوس على المودة والرحمة، والحصانة والطهر، في كنفه تنشأ الطفولة، وترعرع الأحداث، وتمتد وشائج القربى، وتتعانق القلوب والأرواح، في البيت تنمو الزهور والورود في جو مليء بالمودة والرحمة، عامر بالتفاهم والتعاون، تعيش في ظلال الأبوة وحنان الأمومة.

(١) رواه الدارمي في فضائل القرآن (٣٤٥٨) باب من قرأ من مائة آية إلى الألف. والبيهقي في السنن الكبرى رقم (١٤٧٢٨).

البيت مدرسة ثمراتها صلاح الأبناء والبنات، وبر الآباء والأمهات، يخرج العلماء والقادة، والمجاهدين والأطباء والعاملين للإسلام، أهل المروءة والشهامة، والخلق الكريم.

للبيت أيها المسلمون! مكانة عظيمة في دين الله، أشار إلى عظمته ربنا سبحانه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] والرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: "إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه" "وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.. والأم راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته" ^(١).

ورمضان يأتي كل عام ليجدد قادة البيت صلاحه وإصلاحه، وينفضوا الغبار عنه، وينظفوه من كل شائبة، ويقوموا اعوجاجه.

أيها الآباء والأمهات: أيها المربون والمربيات، أبناءكم وبناتكم فلذات أكبادكم، وهبة الله لكم، تسرُّ الفؤاد مشاهدتهم، وتقرُّ العين برؤيتهم، ريحانة الأكباد، وزهرة الحياة الدنيا، هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسمااء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة.

(١) تقدم تخريجه.

أيها المسلمون! إذا كان الأمر كذلك، فهم أغلى ما يملك، وأنفس ما يحصل، فهل يجوز الإهمال والكسل، والتشاغل عن هذا الغالي النفيس؟ هل يجوز تسليم عقولهم وأخلاقهم للشوارع والأسواق، أو المقاهي، أو الفضائيات والشاشات، أرخصت عندنا عقولهم وقلوبهم وأخلاقهم ولم ترخص بطونهم؟ عجباً لتلك المعادلات الصعبة، والمتناقضات المحيرة في عالم كثير من الآباء والأمهات.

إن رمضان فرصة عظيمة مكنك الله تعالى منها، وأنعم عليك بها، أيها الأب الوالي، وأيها المسؤول، إن رمضان فرصة لتعليقهم وتعليمهم كتاب الله تعالى، وقراءته وتدبره، أقرأه معهم، واسمع قراءتهم، وشجعهم، وأعط بعض وقتك وجهدك ومالك لوضع الحوافز لهم.

علّقهم بالله سبحانه وعظمته، وبينّ لهم فضل الصيام، واصطحبهم معك في الصلوات الخمس والقيام، وفي زيارة الأقارب والأرحام، ودرّبهم على البذل ومباشرة العطاء، من تفطير الصائمين، وإعانة المحتاجين، والدعاء لعامة المسلمين، كما تجلسهم على مائدة الإفطار لينعموا بالأكل الشهي والطعام اللذيذ، أشعرهم بعظمة هذه الساعة ليشاركوك في الدعاء، أيقظهم لأكلة السحور، ودرّبهم على تعظيم هذا الوقت ليكثرُوا من الدعاء والاستغفار، شجعهم على ارتياد المساجد والجلوس فيها، والمشاركة في أعمال البر والإحسان فيها، وقبل ذلك وبعده كن قدوة حسنة لهم في عبادتك وصلاتك وأخلاقك

وصيامك ومعاملتك ومخبرك ومظهرك، فلا تقع أعينهم منك إلا على أمر حسن، ولا يسمعون منك إلا كلاماً طيباً مباحاً، طهر بيتك من كل ما يؤذيهم ويضر بالمسؤولية، لا تكن كمن يبني في النهار، ويفسد بناءه في الليل.

هكذا- عباد الله- يكون رمضان ميداناً للتربية، ومدرسة للتقويم والتهذيب، وهكذا يقوم الوالدان بالمسؤولية، فيكون الأولاد حسنات جارية لوالديهم: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" ^(١).

اللهم أعنا على أنفسنا وأصلح لنا نياتنا وذرياتنا وأزواجنا، اللهم اغفر لنا ولوالدينا، واجعل شهر رمضان معيناً لنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، نفعلني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه مسلم في الوصية (٤٣١٠) باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

الخطبة الثانية

الحمد لله معز من أطاعه ومذل من عصاه، أسبغ علينا نعمه المتوالية وآلاءه المتتالية، أحمده سبحانه وأشكره، من توكل عليه كفاه، ومن اعتمد عليه أطعمه وسقاه وكساه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله غيره ولا رب سواه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أكرمه الله بالرسالة واصطفاه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

أما بعد،

أيها المسلمون! البيت المسلم العامر بالإيمان والقرآن، والأسرة المسلمة وهي في دورتها التربوية المكثفة في شهر رمضان، تعترضها عقبات، وتنغص مسيرتها منغصات، فإن لم تتداركها، وتعمل على إزالتها من طريقها، قد تصاب بنكبات، وتجر لها ويلات.

أول هذه العقبات عدم شعور الأبوين بقيمة الشهر، وأهميته وفضله، وبضرورة استغلاله والاستفادة منه بتربية أفراد الأسرة من بنين وبنات.

ويتبع هذه العقبة عقبة أخرى كؤود، استولت على بعض الآباء والأمهات، وهي ترك الحبل على الغارب ليتربوا على ما تبثه الشاشات والفضائيات بما فيها من آثام ومنكرات وأفلام ومسلسلات ساقطة،

ودعايات مضللة وتشويه للدين وأهله، والمشكلة الأظم والأعم إذا كان الأبوان قدوة سيئة لذرياتهم، فهم أول من يعكف عندها، أو تركهم للشوارع وأصدقاء السوء والرديلة.

بالله عليك أيها الأب! ماذا قدمت لابنك عندما تراه عاكفاً ليله على مشاهدة أجسام شبه عارية وأفلام مشوهة تربيته على السرقة وحب النساء والمخدرات والمسكرات؟ ماذا أنت قائل لمولاك غداً عندما يسألك عن ثمرة فؤادك وفلذة كبذك ورأس مالك؟ ألا إن الأمر جد خطير، وفي رمضان أخطر.

ومن أكبر صور الإهمال: انشغال الأبوين في دنياهما عن ذرياتهما، الأب يسرح ويمرح مع أصدقائه، يسابقهم إلى جلساتهم، ويتصدر مجالسهم بالبشاشة والفرح والقصص والأخبار، وإذا قدم إلى بيته رأيت وجهاً عبوساً كالْحاء، أو أسداً هصوراً، أما الأم فتتقلب بين السوق والزيارات، فضلاً عن أنها هي الأخرى أمام تلك الشاشات، مع انشغالها وقت فراغها مع الهاتف والمكالمات، أما أطفالها الصغار فبين يدي الخادمة، وقد تكون كافرة، فتكون المشكلة أكبر وأخطر.

قال النبي ﷺ فيما يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه: "إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه حتى يسأل

الرجل عن أهل بيته"؟^(١).

ومن عقبات مسيرة الأسرة المسلمة في رمضان الاستسلام
لشياطين الجن والإنس، فيخلو البيت من الذكر والقرآن، والدعاء
والصلاة، وتكثف فيه أدوات اللهو والعبث، فيكون مرتعاً للشياطين، تؤز
أهله أزاً، قال عليه الصلاة والسلام: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر
ربه مثل الحي والميت" رواه البخاري^(٢)، وفي رواية مسلم "مثل البيت
الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت".
وذكر الله يشمل الأذكار، وقراءة القرآن، والصلاة والدعاء،
والمذاكرة العلمية، والنصائح والتوجيهات.

ومن المنغصات لمسيرة البيت المسلم وجود الخلافات العائلية
بين الأبوين أو الزوجين فلا شك أن تلك الخلافات يترد أثرها على
الأبناء والبنات، وكم من ابن انحرف عن السلوك المستقيم بسبب
مشاكل الآباء والأمهات. والله در القائل: رحم الله رجلاً محمود السيرة
سهلاً رفيقاً، رحيماً بأهله، حازماً في أمره، لا يكلف شططاً ولا يهمل
في مسؤوليته، ورحم الله امرأة لا تطلب غلطاً، ولا تكثر لغطاً، صالحة
قانتة حافظة للغيب بما حفظ الله. فاتقوا الله يا أرباب البيوت، واجعلوا

(١) أخرجه أحمد رقم (٤٦٣٧) وابن حبان في صحيحه برقم (٤٤٩٣) وقال الألباني في
الصحيحة: ١٦٣٦ صحيح. وهو في صحيح الجامع برقم (١٧٧٤).

(٢) رواه البخاري في الدعوات (٦٤٠٧) باب فضل ذكر الله عز وجل، ومسلم رقم (١٨٥٩).

من بيوتكم مصادر إضاءة ونور هداية، ومحاضن تربية صالحة، ولا تجعلوها أوكاراً للشيطان، ومأوى لأعداء الرحمن، فالله سائلكم عما استرعاكم، واستغلوا رمضان بما يصلح بيوتكم، ويقيم سلوك أبنائكم وبناتكم، اجعلوه ميداناً حقيقياً للتربية والتهديب، فما هو إلا أيام محدودة، وسرعان ما تنقضي، فالله الله في أغلى ما تملكون، وأنفس ما تحصلون لتجدوا ثمرة ذلك في الحياة وبعد الممات، وصلوا وسلموا على الهادي البشير كما أمركم الله تعالى في محكم التنزيل فقال جل ذكره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤

في وداع رمضان الخطبة الأولى

الحمد لله، وفق من شاء لطاعته، فكان سعيهم مشكوراً، ثم أجزل لهم العطاء والمثوبة، فكان جزاؤهم موفوراً، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره إنه كان حلماً غفوراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلى وصام واجتهد في عبادة ربه حتى تفترت قدماه، فكان عبداً شكوراً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسار على خطاهم فرحاً مسروراً.

أما بعد : اتقوا الله عباد الله، فإن تقواه سبب للتوفيق والتسديد في الحياة وبعد الممات، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] وقال سبحانه ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُتْرَكًا﴾ [الطلاق: ٤] وقال جل من قائل ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

أيها المسلمون! بالأمس القريب استقبل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها شهرهم المبارك، وضيئهم العزيز، وتنوع استقبالهم له بين فرح مسرور به يغتبط بما أعد الله تعالى للطائعين فيه، وبين لاهٍ ساهٍ غافل لم يقم له وزناً.

وها نحن اليوم في ختام أيامه المباركة مضت بما حملت فيها،
وأودعت في سجلاتها.

شهر الصيام لقد كرمت نزيلاً ونويت من بعد المقام رحيلاً
ووفق فيه أقوام صاموا نهاره عن الشهوات والملذات، وقاموا بما
افترضه عليهم من الفرائض والمستحبات، وابتعدوا عما حرم عليهم من
المحرمات والمكروهات، غضوا أبصارهم، وحافظوا على جوارحهم،
ونافسوا في الصالحات، وسابقوا في أعمال البر والخيرات، أنفقوا شيئاً
من أموالهم، وعمرروا كثيراً من أوقاتهم بالطاعات والقربات.

هؤلاء عباد الله قد صاموا الشهر، وعظم رجائهم بالفوز بجائزة
الرب، والأمل في قبوله لهم وقبول أعمالهم ودعواتهم، فهنيئاً لهؤلاء،
وهنيئاً لك أيها الصائم القائم، هنيئاً لك يا من قرنت صيام النهار بقيام
الليل، هنيئاً لأذنك وعينك عندما حجرتهما عن المحرمات، هنيئاً ليديك
المعطاءة في سبيل الخير صدقة على الفقراء والمساكين، وسعياً في
مساعدة المحتاجين، ومشاركة في أعمال الدعوة والإغاثة.

هنيئاً لقلبك الذي نظفته عن الأدران والأوساخ والأحقاد، والحسد
والبغض والكره، فكظمت الغيظ، وعفوت عن ظلمك، وأحسنيت إلى
غيرك، هنيئاً للسانك الذي طيبته بالقرآن والدعاء والدعوة والأمر
بالمعروف.

هنيئاً لك بما أعدّه الله للصائمين القائمين: "الصوم لي وأنا أجزي به" ^(١) (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) ^(٢) (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) ^(٣) (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) ^(٤) هنيئاً لك بعبادة أكثر من ألف شهر: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

هنيئاً لك بما يسبب دخولك الجنة من باب الريان الذي لا يدخل منه إلا الصائمون، هنيئاً لك بحجابك عن النار (اتقوا النار ولو بشق تمرة) ^(٥). هنيئاً لك بمضاعفة الأجور ورفع الدرجات: (من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجور الصائم شيئاً) ^(٦). هنيئاً لك بالجائزة الكبرى عندما توزع يوم العيد على من كانت هذه صفاتهم، وعلى ما عمروا به أوقاتهم، وما قاموا به من جليل أعمالهم.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٩٢) ورواه مسلم في الصيام (٢٧٦٤) باب فضل الصيام.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري في الإيمان (٣٧) باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٩) باب الترغيب في قيام رمضان.

(٤) المرجع السابق.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) رواه الترمذي في الصوم، باب ما جاء في فضل من فطر صائماً (٦٧٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في الصيام، باب في ثواب من فطر صائماً (٢٧٥٨) وأحمد والدارمي.

أيها المسلمون! وأقوام آخرون من المسلمين حرموا أجر هذا الشهر وخيره، ولم يدركوا نعمته وفضله، ولم يقوموا بحقه، أمروا بالصيام فصامت بطونهم عن المآكل والشهوات، ولم تصم جوارحهم عن المحرمات، أمروا بالقيام فقاموا وسهروا على المكروهات، أرخوا أسماعهم في المحرمات، أمروا بالنفقة في سبل الخير والفضيلة، والصدقة والقربة، فأسرفوا على أنفسهم، أنفقوا وبذلوا لكن فيما لا حاجة فيه، أو في المحرم من المآكل والمشرب وغيرها، أمروا بحفظ الأوقات وعمارتها بالطاعات، فضيعوها في المجالس والمنتديات، والسهر على الشاشات والفضائيات.

أين حظ هؤلاء من الصيام؟ أين سعادتهم في القيام؟ فرغم أنف من أدرك الشهر، ولم يغفر له، ورغم أنف من متعه الله بالصحة والقوة، ولم يشكر له، ورغم أنف من أنعم عليه بالمال فلم يؤد حقه، ورغم أنف من أعطي فرصة العمر والوقت ولم يستغله، ورغم أنف من دعا، ولم يستجب له.

أيها المسلمون! هذه حال هؤلاء وأولئك، جعلني الله وإياكم ممن صلى وصام وأنفق وقام، وبذل وأعطى فغفر له ما تقدم من ذنبه، وأعطى أجر الصائمين، ومع عظم الرجاء بالفوز العظيم والأجر الكبير إلا أن الخوف من عدم القبول قائم، فاختموا شهركم بعوامل القبول، اختتموه بحسن الطاعة والعبادة، والتوبة والإنابة.

أيها المسلم الصائم! يا من صمت النهار، وقمت الليل، وثمرت الوقت بالبر والصلة والقربى، جمّل أعمالك بختامها بالتوبة النصوح والإكثار فيها، فقد دعا الله تعالى عباده الصالحين إليها فقال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] .

أيها المسلم المفرط! يا من أضعت الشهر ولم تستفد منه، اختمه بما يبدل الله تعالى سيئاتك حسنات، اختمه بالتوبة والندم، والأسف والأسى على ما مضى منك، والعزم على عدم العود إلى المعصية، فباب التوبة مفتوح، والأمل قائم، والرجاء بالقبول حاصل، فقد دعاك مولاك إليها، بل قد دعا من هو أعظم ذنباً وأكثر جرماً فقال: (قل يا عبادي الذي أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) [الزمر: ٥٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار، ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها" ^(١) .

أيها المسلمون! هذه علامة كبرى على القبول والاستجابة من الله سبحانه: التوبة والاستغفار، فما ختم بهما عمل إلا كان حريّاً بالقبول، فأكثروا منهما في ختام هذا الشهر، وعلامة أخرى: ألا يكون عهدك

(١) رواه مسلم (١٧٦٥) في التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة برقم عن أبي موسى رضي الله عنه.

بالطاعات من الصيام والقيام والبذل والإنفاق ختام رمضان، فاعقد العزم وقوّ الإرادة على المواصلة والاستمرار، فإن استدامتك على النهج القويم والمداومة على الطاعة من غير قصر على وقت معين أو شهر مخصوص أو مكان فاضل من أعظم البراهين على القبول: قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝﴾ [الحجر: ٩٩] فالجوارح انسأقت وأنفت العبادة، واليد تدربت على الإنفاق، واللسان لهج ورطب بالقرآن والذكر والدعاء، فالله الله أن لا تنقطع هذه الأعمال الجليلة بعد رمضان، فربّ الشهور والأزمان والأمكنة واحد.

اللهم اختم لنا شهرنا بالتوبة والقبول والرضوان والعفو عما سلف من الذنوب والعصيان، ودخول الجنان والعتق من النيران، وأعدّه علينا أزماناً بعد أزمان ونحن في أتم الصحة والعافية في القلوب والأبدان، والأمة المسلمة قد فازت بالنصر والأمن والأمان، نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله أكرمنا ببلوغ شهر رمضان، ومنّ علينا بالتوفيق للصيام والقيام، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه وآلائه العظام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نحيا بها على الدوام، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أفضل من صلى وصام، وأشرف من تهجد وقام، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله البررة الأتقياء الكرام، والتابعين ومن تبعهم واقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم يبعث الأنام.

أما بعد، عباد الله! إن من مظاهر الإحسان في خواتيم هذا الشهر الكريم وتوديعه بحسن الختام إخراج زكاة الفطر حيث تأتلف القلوب ويتعاطف الغني مع الفقير، فرضت طهرة للصائم، وطعمة للمساكين، وما اشتكى فقير إلا بقدر ما قصّر غني، ومقدارها صاع من طعام غالب قوت البلد كالأرز والبر والتمر، على كل مسلم كبيراً كان أم صغيراً، ذكراً أو أنثى، حرّاً أو عبداً، وتسّن عن الجنين في بطن أمه، ولا يجوز إخراجها نقداً، ووقت إخراجها الفاضل يوم العيد قبل الصلاة، ويجوز تقديمها قبل ذلك بيوم أو يومين، فأخرجوها - رحمكم الله - طيبة بها نفوسكم، تواسون بها فقراءكم ويستغنون بها عن المسألة، ويكفون عن الطلب، ويشاركون إخوانهم بهجة العيد.

أيها المسلمون! يعقب شهر رمضان يوم عيد الفطر المبارك يوم لا كالأيام، يوم جعله الله عيداً للمسلمين يشكرون الله تعالى فيه على ما

هَيَّاهُ اللَّهُ لَهُم مِّنَ الطَّاعَاتِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ، وَيَتَأْمَلُونَ فِي لَيْلَتِهِ مَا أَوْدَعُوهُ مِنْ أَعْمَالٍ، وَيَحَاسِبُونَ فِيهِ أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا قَدَمُوا وَعَمَلُوا، فَمَنْ أَوْدَعَ عَمَلًا صَالِحًا فَلِيَحْمَدَ اللَّهَ وَلِيُبَشِّرَ بِحَسَنِ الثَّوَابِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَمَنْ أَوْدَعَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلْيَتَبَّ عَلَى التَّفْرِيطِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ.

فِي لَيْلَةِ الْعِيدِ يَشْرَعُ التَّكْبِيرُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِنْدَ إِكْمَالِ الْعِدَّةِ، ابْتِدَاءً مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ لَيْلَةَ الْعِيدِ إِلَى صَلَاةِ الْعِيدِ ﴿وَلِتُكْمِلُوا أَلْفِدَةً وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥] اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

يَكْبُرُ بِهَا الرَّجُلُ جَهْرًا إِعْلَانًا لِتَعْظِيمِ اللَّهِ وَإِظْهَارًا لِعِبَادِيَّتِهِ وَشُكْرِهِ، يَكْبُرُ فِي بَيْتِهِ وَسُوقِهِ وَمَسْجِدِهِ، مُسْتَشْعِرًا هَذَا الذِّكْرَ الْعَظِيمَ، نَعَمْ، اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادِيَّةَ الْحَقَّةَ سِوَاهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ مِنَ الدُّنْيَا كُلِّهَا بِجَمَالِهَا وَزَخَارِفِهَا وَثُرَوَاتِهَا وَلَهْوِهَا اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لَهُ وَحْدَهُ.

مَا أَجْمَلَ هَذَا التَّكْبِيرَ! وَهُوَ يَتَرَدَّدُ، وَيَرِنُ صَدَاهُ بَيْنَ جُدُرَانِ كُلِّ مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ وَشَارِعٍ وَبَيْتٍ، فَتَقْمَعُ الشَّيَاطِينُ، وَتَخْرُجُ مِنَ بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ!

وَيَوْمَ الْعِيدِ هُوَ يَوْمُ الْفَرَحِ وَالسَّرُورِ، وَيَوْمُ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ عَلَى

ما من الله سبحانه وأعطى، فيشرع للمسلم أن يخرج لصلاة العيد، ويخرج عائلته وأولاده ليشهدوا الخير ودعوة المسلمين، يخرج للعيد وأسرته ونسأؤه متحليين بآداب الخروج، تبتعد المرأة عن التبرج والسفور، ملتزمة بحجابها وسترها، ويخرج الجميع بخشوع وخضوع وتكبير، يخرجون باللبس الجديد وبالقلب النظيف الجديد ليؤدوا الصلاة أملاً بالثواب والقبول والتسديد.

أيها المسلمون!

ونحن نختم شهرنا بالتوبة والاستغفار، وبالصدقة والتكبير، وبالاستعداد ليوم العيد، وقلوبنا مع إخوان لنا في كثير من البلدان، لباسهم الخشن من الثياب، ولحافهم السماء وفرشهم الأرض، تلهج الألسنة بالتوبة والاستغفار وبالدعاء لنا ولهم بالنصر والفرج والمخرج من الضيق والظفر واليسر والغنى والقوة.

نكبر ليلة العيد ليتواصل مع تكبيرهم في كل لحظة مع جهادهم ضد أعدائهم، وليستقر في النفوس أن الصراع صراع عقيدة ودين، لا وطنية ولا قومية أو عرقية، نحتفل بالعيد ونفرح بالعيد، ولا ينسينا هذا الفرح أناساً من المسلمين، يتيم فقد عطف الأبوة الحانية، ويتلمس أحضان الأم الرؤوم، يرنو إلى من يمسح رأسه ويخفف بؤسه، وأرملة توالى عليها المحن، فقدت عشيرها، تذكرت بالعيد عزاً قد مضى تحت كنف زوج عطوف، وفقير مسكين وشريد طريد لاجئ هُدم مسكنه

وطرده أعداؤه، يجد مرارة العيش وشدة البؤس، ومجاهد في ساحة الجهاد يناضل أعداء الله.

إن عيدنا أهل الإسلام يحيي فينا روح المشاركة لهؤلاء، هذا هو العيد الذي يكون علامة للقبول. ثم صلوا وسلموا على البشير النذير كما أمركم الله تعالى في محكم كتابه العزيز حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

الحج: حكم وأسرار

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أمر خليله ببناء البيت الحرام، أحمدته سبحانه وأشكره على نعمه وخيراته الجسام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مبرأة من الشرك والكذب والجهل وتطرق الأوهام، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أفضل من صلى وصام، وحج إلى بيت الله الحرام، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، والتابعين ومن سار على نهجهم من سائر الأنام.

أما بعد : عباد الله : اتقوا الله وراقبوه وأطيعوه ولا تعصوه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٠].
أيها المسلمون!

في هذه الأيام المباركة، أيام أشهر الحج بدأت تنطلق قوافل الملبين من مشارق الأرض ومغاربها قاصدين هذا البيت مؤكدين الولاء لرب هذا البيت، تتزايد تلك القوافل رويداً رويداً، فإذا قرب الموسم، تحول إلى سباق نشط دؤوب، فهذه المواكب مواكب الإيمان وقوافل الرحمن، جاؤوا رغبة وطواعية، ألتفتهم بالذكر والدعاء والتلبية داعية، وأعينهم بالدمع باكية، تسأل الله الرحمة والمغفرة والقبول والعافية،

تركوا الديار والبلاد، والأهل والأولاد، أملاً في حط الأوزار والسيئات، ورفع الثواب وزيادة الحسنات، تلييات ونداءات تهز المشاعر وتتجاوب معها الأودية والوهاد، قال ﷺ: " ما من مسلم يلبي إلا لبي ما عن يمينه وشماله، من حجر أو شجر أو مدر، حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا" رواه الترمذي .^(١)

عباد الله!

لقد فرض الله حج بيته الحرام على عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] فسمى الله تارك الحج كافراً، وهذا مما يدل على وجوبه وتأكده، وللترمذي، عن علي رضي الله عنه مرفوعاً: من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً".^(٢)

(١) أخرجه سنن الترمذي برقم (٨٢٨) في كتاب الحج، باب ما جاء في فضل التلبية والنحرو ابن ماجه رقم (٢٩٢١)، من حديث علي. قال الترمذي: غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول.

(٢) في باب ما جاء في التغليب في ترك الحج، من أبواب الحج برقم (٨٠٦) من حديث علي وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناذه مقال، وهلال بن عبد الله مجهول، والحاثر يضعف في الحديث.

وقال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: متروك من السابعة.

قال الحافظ في تلخيص الحبير: وله طرق صحيحة إلا أنها موقوفة رواها سعيد بن منصور والبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ليمت يهودياً أو نصرانياً - يقولها=

عباد الله!

الحج عبادة جليلة مليئة بالكنوز العظيمة والمعاني العجيبة والأسرار البديعة، فيه ما يأخذ بالألباب، ويدهش العقول ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [الآية : ٢٨] الآية. فانظروا إلى هذا الإيجاز الذي بلغ حد الإعجاز، فالحج مدرسة دروسها رائعة، وعبرها نافعة، تذكرة لمن اتعظ، وعبرة لمن اعتبر.

عباد الله !

في الحج - عباد الله - تحقيق التوحيد الذي هو أعظم واجب على المكلف: فإن هذا البيت الحرام الذي رفع قواعده إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن وابنه إسماعيل لم يُبن في الحقيقة إلا على التوحيد، ومن أجل التوحيد، ولأهل التوحيد، يقول تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ

﴿ [إبراهيم: ٣٥] ، ويقول تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ

لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٦٧﴾ [الحج : ٢٦] .

=ثلاث مرات- رجل مات ولم يحج وعنده لذلك سعة، وخليت سبيله، قلت : (القائل ابن حجر) وإذا انضم هذا الموقوف إلى مرسل ابن سابط ، علم أن لهذا الحديث أصلاً، ومحمله على من استحل الترك (أي للحج) وتبين بذلك خطأ من ادعى أنه موضوع.

فالحج في الإسلام أمانة وحكمة تدعو إلى التوحيد، فاجتماع الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم يوحي إليهم: أنه لا يعبد إلا الله، ولا يخاف ولا يرجى إلا الله، ولا يذبح ولا ينذر إلا لله، فالأمن والأمان مرتهانان بالتوحيد ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ ؕ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْاَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [٨٢: الأنعام].

ولما فتح النبي ﷺ مكة المكرمة المشرفة دخل المسجد الحرام، وفوق الكعبة، وحولها ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنهما بالقضيب، ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [٨١: الإسراء] فجعلت الأصنام تنهار على وجوهها، ثم أمر بها، فأخرجت من المسجد، وأحرقت، ثم دخل الكعبة وأزال ما رُسم على جدرانها من الصور، وكل ذلك تجلية لقوله ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]، وهكذا يجب على كل مسلم أن يجعل كل صنم عظمه في نفسه من الأهواء يهوي ويندحر ونحوها؛ لتجرد العبودية لله تعالى كل وقت، فلا معبود بحق سواه.

ومن مظاهر التوحيد في الحج: رفع الأصوات بعد الإحرام بالتلبية لله، ونفي الشرك عنه، وإعلان انفراده بالحمد والنعمة والملك: "ليتك اللهم ليك، ليك لا شريك لك ليك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك"، ولهذا بعث النبي ﷺ سنة تسع من الهجرة من

ينادي في الحج: "ألا يطوف بالبيت عريان ، وألا يحج بعد العام مشرك"
متفق عليه (١)(٢) .

عباد الله !

ومن كنوز الحج العظيمة: إقامة ذكر الله عز وجل: فالذكر هو المقصود الأعظم للعبادات، فما شرعت العبادات إلا لأجله، وما تقرب المتقربون بمثله، ويتجلى هذا المعنى في الحج غاية التجلي، فما شرع الطواف بالبيت العتيق، ولا السعي بين الصفا والمروة، ولا رمي الجمرات إلا لإقامة ذكر الله سبحانه، كما قال النبي ﷺ ، قال تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]

فإذا أكثر الحاج من الذكر في تلك المواضع أنس بالله، وطابت نفسه بالذكر، وزاد قرباً من الله جل وعلا، وكان ذلك داعياً لاعتياد الذكر والإكثار منه بعد الحج، وارتبط في كل عبادة يؤديها المسلم صلاة وصياماً، زكاة وإنفاقاً، برأ وإحساناً، فالذكر هو المقصود الأعظم من العبادات.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٦٥٥) عن أبي هريرة، ومسلم في كتاب الحج برقم (٣٣٥٣).

(٢) لتجليه هذا المعنى الكبير يراجع كتابنا : معالم التوحيد في الحج.

عباد الله!

ومن أسرار الحج ومعانيه الكبار: وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم: فهم يجتمعون في مكان واحد وزمن واحد مع تباعد ديارهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم، تجردوا من ثياب الزينة، وطهروا قلوبهم من الضغينة، وجردوا عقولهم من الأهواء الدفينة، إن هذه الجموع المليئة المستجيبة تأتي منضوية تحت راية العقيدة، حيث تتوارى في ظلها فوارق الأجناس وتمايز الألوان وتباعد الأوطان، إن هذه الأمة تشهد أن قوتها في تجمعها، وتذكر أن عزها في ترابطها بحبل الله المتين، ومن هنا فإن هذا البيت هو الملتقى الجامع لهذه الأمة، فما أحوج المسلمين أن يحققوا وحدة المظهر والمخبر، والظاهر والباطن، وإن كان هذا في كل وقت واجباً، ففي هذا الوقت أوجب حيث تكالبت فيه أمم الضلال والكفر على أمة التوحيد لتنجيتها عن دينها وسلب خيراتها، وإفقار بلدانها، وهتك أعراضها وجعلها تتخبط في ظلمات الجهل والفقر والتناحر والاختلاف ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

فاتقوا الله عباد الله ! وتأملوا الحج وأسراره، وحكمه ومعانيه،
تقبل الله من الحجاج حجهم، ويسر لهم أمورهم. نفعني الله وإياكم
بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم
الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه
هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على ما خصّ به من النعم، وما خولنا إياه في الحل والحرم، ورضي لنا الإسلام ديناً فبه لنا الفضل ثمّ، أحمدُه سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم يبعث الإنس والجن، أما بعد:

أيها المسلمون: ومن كنوز الحج أيضاً: تحقيق تقوى الله عز وجل على مستوى النفس وعلى مستوى الأمة : فالتقوى غاية الأمر، وجماع الخير، ووصية الله للأولين والآخرين، والحج فرصة عظيمة للتزود من التقوى، وقد أمر الله بالتزام تقواه في أداء فريضة الحج على الوجه الأكمل، فإنه لا يتم الحج إلا بتقوى الله ومراقبته، وقد أكثر الله في آيات الحج على قلّتها من وصيته لعباده بالتقوى، لأنه يحصل في الحج من أسباب التقوى ما لا يحصل لغيره، وذلك مع الوعي الصحيح لحقيقة الحج ومغزاه ، ولهذا نجد الله يخاطب الواعين بقوله: ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ يَكُونِ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] يعني: يا من له لب وعقل يفكر به، فليستتر بعقله في تلك المشاعر العظيمة؛ ليستفيد منها تقوى الله، فكما تجردت عن لبس المخيط استعمل عقلك، كيف تطوف ولم تتجرد عن محبوباتك المخالفة لمحبوبات الله؟ وكيف تطوف بيت الله وأنت

متلبس بمعصية الله غير متقٍ لله؟ هل ينفعك الطواف وأنت مصطحب
أهلك بملابسهم وأزيائهم ومظاهرهم غير الساترة وربما تكون فاتنة؟
هكذا التأمل لتحقيق تقوى الله في الحج.

يقول الله تعالى في سياق آية الحج : ﴿ وَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ
التَّقْوَى ﴾ [البقرة: ١٩٧] فلا شك أن التقوى هي الزاد الصحيح الذي
يحصل صاحبه على السعادتين في الدنيا والآخرة، فالتقوى زاد معنوي
إذا اجتهد المسلم في تحصيله فاز بتحصيل الزاد الحسي، من سعة
الرزق، وتيسير الأمور، وتفريج الكربات ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ ٢
وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]

فاتقوا الله وحققوا معانيها في الحج وفي كل عبادة.

عباد الله!

ومن أسرار الحج ودروسه المستفادة منه: اعتياد مراغمة
الشیطان: فالشیطان عدو للإنسان، ولقد حذرنا الله تبارك وتعالى من
الشیطان، وأمرنا بأن نتخذه عدواً، وبأن لا نتبع خطواته، فمراغمة
الشیطان مرضاة للرحمن جل وعلا، وهذا الأمر يتجلى في الحج،
وأعظم ما يتجلى في رمي الجمار، فالحجاج لا يرمون الشيطان، وليس
الشیطان بواقف لهم يرمونه، وإنما يرمون المواقف التي ظهر فيها
الشیطان لأبيهم إبراهيم، فرجمه الخليل عليه السلام، فهم يرمونه لا

لمجرد التكرار، وإنما للانتفاع والاعتبار، فعليهم أن يتأملوا كيف عرف أبوهم إبراهيم عليه السلام أن الذي وقف له ليصده عن تنفيذ أمر ربه أنه شيطان، حيث تمثل له ثلاث مرات كل مرة بسبع حصيات، وقال له: ليس لك عندي إلا الرجم، فخنس وخسأ وخاب ظنه، ونكص على عقبيه، فأولوا الأبواب من الحجاج يعتبرون بهذا الرجم لمواقف الشيطان، ويأخذون من ذلك دروساً وعبراً؛ ليعاملوا كل شيطان من شياطين الجن والإنس بالرجم المعنوي الذي هو لعنه وبغضه وعصيانه والابتعاد عنه، فيعرفون كما عرف أبوهم إبراهيم عليه السلام أن كل من يحاول صدهم عن أمر الله أو فتنهم في دين الله أو صرفهم عن ذكر الله بأي أسلوب من أساليب الدعاية والنشر فهو شيطان، في صحافة أو شاشة أو مجلس أو غير ذلك، فيرجمونه ببغضه ورفض ما يبثه أو ينشره عليهم، فيتعودون من الشيطان قولاً وفعلاً.

وفي الحج عباد الله! كمال الخضوع والانقياد لله، بل إن فيه تجديداً للعهد من الحاج لربه أن يلتزم أمره وأن يتلبس بحكمه، فشعاره منذ إحرامه إلى تحلله الأول برمي جمرة العقبة والحلق: "لييك اللهم لسان حاله يقول: أنا منقاد لأمرك، متوجه حيث وجهتني، فهذا الشعار الجليل أعظم شعار. لأن به إلقاء المسلم قياده إلى الله، وتحطيمه لجميع ما تحمل نفسه من الأنانية والعصيان، وانخلاعه عن جميع ماضيه المشوب بشتى الملابس العصيانية باستئناف حياة نظيفة شريفة

مقاطعة لجميع نزغات الشياطين، حياة جديدة في تفكيرها وجميع مقاصدها وأفعالها، ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه" متفق عليه^(١).

عباد الله :

ففي كل موقف من هذه الشعائر مغزى، وعلى كل بقعة معنى، ولعل ما ذكر تتم به السلوى، قال تعالى: ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

فاغتنموا مواسم الخيرات، وانهلوا من معين القربات، لتنالوا رحمة رب الأرض والسموات.

ألا وصلوا عباد الله على رسول الهدى ومعلم البشرية الخير نبيكم محمد ﷺ. كما أمركم ربكم بذلك في كتابه الكريم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(١) أخرجه البخاري رقم (١٥٢١) في باب فضل الحج المبرور، وباب قول الله عز وجل (فلا فسوق ولا جدال في الحج) من كتاب الحج ومسلم في باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، من كتاب الحج رقم (٣٣٥٧).

شروط الحج وأركانه

الخطبة الأولى

الحمد لله على ما خصنا به من الفضل والإكرام، فما زال يوالي علينا مواسم الخير والإنعام، ما انتهى شهر رمضان حتى أعقبه بأشهر الحج إلى بيته الحرام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وأسمائه الحسنى وصفاته العظام، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أفضل من صلى وصام، ووقف بالمشاعر وطاف بالبيت الحرام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وسلم تسليماً كثيراً على الدوام، أما بعد :

عباد الله! اتقوا الله تعالى، واشكروه على ما شرع لكم من الشرائع العظيمة، وما خصكم به من المواسم الكريمة، التي تتوالى عليكم كل يوم، وكل أسبوع، وكل عام، وهي شرائع ملؤها الخير والسعادة، والأمن والطمأنينة في الدنيا والآخرة.

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي خشوع لله، وخضوع بين يديه، واتصال به وإقبال عليه، وهي أكبر عون للمؤمنين على القيام بأعباء الدنيا والدين، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣).

والزكاة إحسان ومواساة للفقراء والمعوذين، وترغيب للمؤلفة قلوبهم في الدين، وتطهير للمال من الآفات، وتزكية للنفس من الشوائب والمنغصات: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٠٣) [التوبة: ١٠٣].

أما الصيام، فإنه ترك للشهوات والمألوفات ومحبوبات النفس طاعة لله عز وجل، وتربية على الأخلاق الفاضلة، وترك للأخلاق الرذيلة.

والحج جهاد وإنفاق وبذل، يتعب فيه البدن، ويترك من أجله الأولاد والوطن، إجابة لداعي الله، وتلبية لندائه على لسان خليله إبراهيم عليه السلام، وتجديداً للتوحيد، ونبذاً للفوارق، وتوحيداً للأمة، واجتماعاً على الدين، ودحراً للشيطان.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٢٩) [الحج: ٢٧-٢٩].

أيها المسلمون! إن الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام فرضه الله في السنة التاسعة من الهجرة على الصحيح ﴿وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَكِيمٌ﴾ أَلْبَيْتٍ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْ عِبَادِهِ لَعَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ففريضة الحج ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين قاطبة إجماعاً قطعياً، مرة واحدة في العمر، وما زاد فهو تطوع، فمن أنكر فريضة الحج فقد كفر، ومن أقربها وتركها تهاوناً فهو على خطر، إذ كيف تطيب نفس المؤمن أن يترك الحج مع قدرته المالية والبدنية عليه، ونحن نعلم أنه من فرائض الإسلام وأركانه؟ كيف يبخل بالمال على نفسه في أدائه لهذه الفريضة وهو ينفق الكثير من ماله فيما تهواه نفسه؟ وكيف يوفر نفسه عن التعب في الحج وهو يرهق نفسه في التعب في أمور دنياه؟

جاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال: ليمت يهودياً أو نصرانياً - قالها ثلاثاً - رجل مات ولم يحج وجد لذلك سعة وخلت سبيله.^(١) وهو مرة في العمر إلا أن له فضلاً كبيراً جاءت به الأحاديث عن المصطفى ﷺ دالة على استحباب تكراره لما فيه من الأجر الكبير والخير الجزيل.

(١) جاء في تحفة الأحوذى بعد ذكر حديث عمر بن الخطاب الموقوف بعد أن ساق حديث الترمذي الذي أخرجه برقم (٨٠٦) عن علي رضي الله عنه بلفظ: من ملك زاداً أو راحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً.. الحديث. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب وفي إسناده مقال، قال الشارح: وإذا انضم هذا الموقوف إلى مرسل ابن سابط، علم أن لهذا الحديث أصلاً، قال الحافظ: وله طرق صحيحة إلا أنها موقوفة رواها سعيد بن منصور والبيهقي عن عمر بن الخطاب، تحفة الأحوذى ٤٧٢/٣.

فيجب على المسلم أن يبادر بأداء الحج الواجب مع الإمكان، ويأثم إن أخره بلا عذر؛ لقوله ﷺ: "تعجلوا إلى الحج - يعني الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له" ^(١).

عباد الله! جاءت شريعة الإسلام موافقة للحكمة ومطابقة للعدل بين الأناس، فلم تلزم العباد بالفرائض والواجبات إلا بشروط مرعية يلزم وجودها حتى يكون فرضها واقعاً موقعه.

والحج لا يكون فرضاً على العباد إلا بشروط خمسة:
الأول: أن يكون الحاج مسلماً بمعنى أن الكافر لا يجب عليه الحج قبل الإسلام.

الثاني: العقل، فالمجنون لا يجب عليه الحج ولا يصح منه؛ لأن الحج لا بد فيه من نية قصد، ولا يمكن وجود ذلك من المجنون.

الثالث: البلوغ، فلا يجزىء حج الصغير عن حجة الإسلام، ولو حج صح منه، ولوليه أجر كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ، فقد عرضت امرأة صبيّاً لها وقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال، "نعم ولك أجر" ^(٢).

والرابع: الحرية.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم (١٨٩٨).

(٢) رواه مسلم في الحج، باب صحة حج الصبي (٣٣١٧)، وأحمد رقم (١٨٩٨).

أما الشرط الخامس: فالاستطاعة بالمال والبدن، بأن يكون عنده مال يتمكن به من الحج ذهاباً وإياباً ونفقة، ويكون هذا المال فاضلاً عن قضاء الديون والنفقات الواجبة عليه، وفاضلاً عن الحوائج التي يحتاجها من المطعم والمشرب والمركب وغيرها.

ومن الاستطاعة أن يكون للمرأة محرم، فلا يجب أداء الحج على من لا محرم لها؛ لامتناع السفر عليها شرعاً، إذ لا يجوز للمرأة أن تسافر للحج ولا غيره بدون محرم، سواء أكان السفر طويلاً أم قصيراً، وسواء كان معها نساء أم لا، وسواء كانت شابة أم كبيرة، وسواء كان السفر براً أم بحراً أم جواً، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يخطب، ويقول: " لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم" ^(١).

وإذا عزم الحاج على الحج، فعليه تجديد الإخلاص لله سبحانه، والمشي على خطى حج سيد الأنام عليه الصلاة والسلام القائل: "خذوا عني مناسككم" ^(٢)، ويحرم الحاج من أحد مواقيت الإحرام وهي المواقيت الخمسة.

ومن أركان الحج: الوقوف بعرفة لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَقْبَضْتُمُ

(١) أخرجه البخاري (١٠٨٧) ومسلم برقم (٣٣٢٧).

(٢) أخرجه (ومسلم برقم (٣١٩٧) وأحمد رقم (١٤٤٥٩).

مَنْ عَرَفْتِ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴿ [البقرة: ١٩٨] ولقوله ﷺ: "الحج عرفة، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك".^(١)

ومن الأركان: الطواف بالبيت، والمقصود طواف العمرة وطواف الإفاضة للمتمتع، أما القارن والمفرد فطواف الإفاضة فقط، لقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

ومن الأركان: السعي بين الصفا والمروة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَلْصَفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

هذه هي أركان الحج التي لا يصح إلا بها، فاتقوا الله عباد الله، وأدوا حجكم كما حج نبيكم صلوات الله وسلامه عليه. محافظين على شروطه وأركانه وواجباته .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه الترمذي رقم (٨٨٩) وابن خزيمة رقم (٢٨٢٢) والحاكم رقم (١٧٠٣).

الخطبة الثانية

الحمد لله الملك القدوس السلام، شرع لعباده حج بيته الحرام، وجعل ذلك أحد أركان الإسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

أيها المسلمون! فكما أن للحج شروطاً وأركاناً، فله واجبات يجب فعلها، وإذا أخل بواحد منها وجب عليه دم؛ لقول ابن عباس رضي الله عنهما: من ترك نسكاً فعليه دم^(١). فمن ترك واجباً من واجبات الحج عليه أن يفدي بشاة أو سبع بدنة أو سبع بقرة تذبح في مكة وتعطى فقراء أهلها، وهي ما يلي:

الأول: أن يكون الإحرام من الميقات المعتبر شرعاً؛ لقول النبي ﷺ: " يهل أهل المدينة من ذي الحليفة^(٢) ... الخ.

والواجب الثاني: استمرار الوقوف بعرفة إلى غروب الشمس يوم التاسع من ذي الحجة.

والثالث: المبيت بمزدلفة ليلة يوم النحر.

(١) ذكره ابن قدامة في المغني ٣٨٠/٥ من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣)، ومسلم (٢٨٦٢).

الرابع: الحلق أو التقصير للرجال، والتقصير فقط للنساء.
 والخامس: المبيت بمنى ليلة الحادي عشر، وليلة الثاني عشر
 لمن تعجل، وليلة الثالث عشر لمن تأخر.
 والسادس: رمي الجمار يوم العيد وأيام التشريق.
 والسابع: طواف الوداع على كل من خرج من الحجاج من مكة إلى بلده
 إلا الحائض والنفساء؛ لقول ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الناس
 أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خُفف عن الحائض.^(١)
 أيها المسلمون: وليلتزم العبد المسلم بما أمر الله به، ويجتنب
 النواهي والمحظورات المخلة بحجه والمكلفة له بأداء الفدية والمنقصة
 من أجره، فإنه لا يتم له كاملاً إلا بتقوى الله ومراقبته، ولا سيما في
 تحصيل المنافع التي إذا عمل على تحصيلها في الحج كملت هدايته
 وحصل على السعادة بالوحدة والتضامن؛ ليرتبط بحبل الله مع إخوانه
 جميعاً باجتماعهم حول بيته المبارك، والتقائهم فيه متجردين عن جميع
 الأغراض النفسية كما تجردوا عن المخيط، فتتلاقى أبدانهم وقلوبهم
 حول الكعبة التي يتجهون إليها في جميع أوقات صلاتهم معتزين أعظم
 اعتزاز بنسبهم الديني، الذي هو أغلى وأعلى من جميع الأنساب،

(١) أخرجه البخاري في باب طواف الوداع من كتاب الحج (١٧٥٥)، ومسلم في باب وجوب
 طواف الوداع وسقوطه عن الحائض من كتاب الحج برقم (٣١٧٤).

والذي يحقق لهم الوحدة الكبرى إذا تمسكوا به فكانوا هم الكثرة
الكاثرة بين الأمم، وهم القوة التي لا يوقف في وجهها بإذن الله.
أيها المسلمون!

إن المسلمين وهم يؤدون هذا الركن العظيم بهذه الشروط
والأركان يحققون به الاقتداء بسيد الأولين والآخرين، ويستشعرون
بعظمة تلك العبودية الحققة لله الواحد الأحد، في حجبهم ومناسكهم
واضعين أمامهم قول إمامهم: "خذوا عني مناسككم".^(١)

وصلوا وسلموا على خير من حج واعتمر. كما أمركم الباري
بذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا
عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(١) سبق تخريجه.

النصيحة

الخطبة الأولى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد! اتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، فإن أجسامكم على النار لا تبصر ولا تقوى.

أيها المسلمون: إن من خير ما ينتفع به المرء في الدنيا والآخرة أن يستجمع وصايا النبي صلى الله عليه وسلم فيحققها، فلم يكن من خير إلا دل الأمة عليه، ولا من شر إلا حذرهما منه، فقد أمر ونهى، ونصح وبلغ، صلوات الله وسلامه عليه.

روى مسلم وغيره، عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (الدين النصيحة - ثلاثاً - قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ^(١).

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٦) و مسلم رقم (٢٠٥) في الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.

أيها المسلمون! هذا حديث عظيم الشأن، جمع في كلمات قليلة معاني عظيمة، لو تدبرها المسلم لكان في ذلك خير له في الدنيا والآخرة. جعل رسول الله ﷺ الدين هو النصيحة، فمتى نصح العبد في هذه الأمور الخمسة، فقد استكمل الدين، ومن قصر في النصيحة بشيء منها، فقد نقص دينه بحسب ما قصر فيه. (النصيحة في الجملة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له).

فأما النصح لله: فهو القيام بحقوقه وعبوديته التامة، والقيام بأداء واجباته على أكمل وجه، والإخلاص له وصدق المرء في طلب مرضاته، راضياً بقضائه، قانعاً بعطائه، ممتثلاً لأوامره، مجتنباً لنواهيه، مخلصاً له في ذلك كله، قائماً بعبوديته، وعبوديته تعم ما يجب اعتقاده من أصول الإيمان كلها، وأعمال القلوب والجوارح، وأقوال اللسان، من الفروض، وفعل ما يقدر عليه من النوافل، ونية القيام بما يعجز عنه، يقول سبحانه وتعالى في حق المعذورين: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١].

فاشترط في نفي الحرج عن هؤلاء أن يكونوا ناصحين لله ورسوله، وذلك بالنيات الصادقة والقيام بما يقدرون عليه، ومن أعظم النصيحة لله الذب عن الدين والغيرة على حرمة الله إذا انتهكت، والذب عن شريعة الله إذا أهينت، والحث على تطبيقها في واقع الحياة.

وأما النصيحة لكتابه: فتعني الإيمان بالكتب السماوية إجمالاً، والإيمان بالقرآن إجمالاً وتفصيلاً، وأن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] ومجمل نصيحة المسلم لكتاب ربه في عدة أمور:

أ - بقراءته وحفظه، أو حفظ ما تيسر منه؛ لأن في قراءته أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً، وبه يُكسب العلم والمعرفة، وتحصل طهارة النفس وصفاء الضمير وزيادة التقوى، وزيادة الحسنات، والشفاعة يوم القيامة. روى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه).^(١)

ب - ومن النصح لكتاب الله قراءته بتدبر وخشوع، يقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانِ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] فيقرأه القارئ وكأنه يخاطب ربه.

ج - ومن النصح لكتاب الله العمل بما فيه والتفقه بما يحتويه، فلا خير في قراءة لا فقه فيها، ولا خير في فقه لا عمل به، فمقصود القراءة هو التدبر والعمل والتطبيق، يقول سبحانه: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة: ٢-٣] كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢١١٠) صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

د- ومن النصح لكتاب الله أن نتعلّمه ونعلّمه للأبناء والبنات والذرية، فخير ما تربي عليه الولد آيات من كتاب الله تعالى يحفظها ويتعلم معانيها وينطقها، فينشأ على حفظ كتاب الله.

روى البخاري وغيره أن رسول الله ﷺ قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ^(١).

وبالجملة فالنصح لكتاب الله تعالى: الإقبال بالكلية على تلاوته وتدبره وتعلم معانيه وتعليمها، والتخلق بأخلاقه وآدابه، والعمل بأحكامه واجتناب نواهيه، والدعوة لذلك، لكن الملاحظ في واقع كثير من المسلمين أنهم أهملوا النصح لكتاب الله، فمنهم من هجر قراءته وتدبره، ومنهم من هجر العمل به أو تعليمه لنفسه وأسرته، وهذا في خطر عظيم وجفاء مع الله تعالى ومع كتابه، بل الكثير من الناس ترك تعليم كتاب الله لأطفاله وأسرته، تركهم للشيطان وللهوى ولأصدقاء السوء يعلمونهم الكلمات البذيئة أو كلمات الأغاني الماجنة، والسباب والشتائم، ونحو ذلك، وهذا بلا شك له تأثيره السيء على نشأة هذا الابن والبنات، فعلياً أيها المسلمون: أن نرجع لكتاب الله فتتعلّمه ونقرأه ونعلّمه أبناءنا وبناتنا، والإمكانات ميسورة، فكثير من المساجد

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، برقم (٥٠٢٧) عن عثمان رضي الله عنه.

فيها مدارس تحفيظ القرآن الكريم، وأشرطة التسجيل للقراءة متوفرة، ونحو ذلك.

أيها المسلمون! وأما النصيحة لرسول الله محمد ﷺ فهي الإيمان الكامل به وتعظيمه وتوقيره وتقديم محبته على الخلق كلهم، وتحقيق ذلك وتصديقه باتباعه ظاهراً وباطناً في العقائد والأخلاق والآداب والأعمال، يقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] والحرص على تعلم سنته وتطبيقها وتعليمها: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمُ بِهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١]. ففي محبة رسول الله ﷺ محبة لله، وفي طاعته طاعة لله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ومن النصيحة له أيضاً قراءة سيرته وتدبرها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ونشر سنته والدفاع عنها بالقلم واللسان فينبغي عنه بدع الغالين ودعاوى المبطلين.

أيها المسلمون! وأما النصيحة لأئمة المسلمين، وهم ولائهم حكماً وقضاة وجميع من له ولاية صغيرة أو كبيرة، والنصيحة لهم بحسب مراتبهم ومقاماتهم، وذلك باعتقاد إمامتهم ووجوب طاعتهم بالمعروف، وعدم الخروج عليهم، وحث الرعية على طاعتهم، ولزوم أمرهم، والدعاء لهم بالصلاح والتوفيق والسداد، والصدق والإخلاص فيما ولي

الإنسان مما يوكل إليه من أعمال، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

ومن النصيح لهم إعانتهم على الحق والتنبيه على غيره في رفق وحكمة ولطف، ليعم الخير والأمن والسعادة في الدنيا والآخرة.

فاتقوا الله عباد الله وقوموا بهذه النصيحة تفلحوا وتفوزوا دنيا وأخرى، نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي لكم ولسائر المسلمين من كل ذلك، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : أيها المسلمون! وأما النصيحة لعامة المسلمين، فتكون بمحبة الخير لهم والسعي في إيصاله إليهم بحسب الإمكان، وكراهية الشر والمكروه لهم، والسعي في ذلك، ودفع أسبابه، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، وكل ما يحب العبد أن يفعلوه معه من الإحسان يفعله معهم، ومعاونتهم على البر والتقوى، وأمرهم بالمعروف، وحثهم عليه، ونهيهم عن المنكر وزجرهم عنه، وإرشادهم إلى مصالحهم، وستر عوراتهم، وسد خللاتهم، ومجانبة الفحش، والحقد والحسد لهم، ودفع الأذى والمكروه عنهم. وغير ذلك فيما يؤدي إلى مصالحهم في الدنيا والآخرة.

روى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: (بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) ^(١).

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب الدين النصيحة، برقم (٥٧) ومسلم رقم (٢٠٨)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ^(١).

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) رواه مسلم. ^(٢)

ويقول الحسن البصري: قال بعض أصحاب النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده إن شئتم لأقسمن لكم بالله، إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحبون الله إلى عباده، ويحبون عباد الله إلى الله، ويسعون في الأرض بالنصيحة).

أيها المسلمون:

إن المتمعن في أحوال كثير من الناس يجد أنهم جانبوا طريق النصيحة، وأحبوا لأنفسهم ما لا يحبون لغيرهم، ولو كان أقرب قريب، بل قد يجلبون لأبنائهم وبناتهم أموراً تبعدهم عن الله، وتبغضهم إلى الله. فمن ترك تربية أولاده على الحق والهدى فما نصح لهم، ومن وفر لهم أسباب الغواية والبعد عن الهداية لم ينصح لهم؟ ومن تركهم على

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم (١٢)

ومسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه، برقم (٢٧٩)

(٢) أخرجه مسلم في الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، برقم (٢٧٩) عن أبي

مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

أعمال الشر وترك الجبل على الغارب لم ينصح لهم؟ ومن ترك حقوق ربه وضيعها، وتجراً على حرمان الله لم ينصح لنفسه؟ ومن غش في المعاملات وكذب وخادع لم ينصح في بيعه وشرائه؟ ومن أحب إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، واتبع عورات المؤمنين لم ينصح لهم؟ ومن شغل نفسه بالغيبة والنميمة وإلقاء العداوة والبغضاء بين المؤمنين لم ينصح لهم؟ وبالجمل من عصى الله تعالى وعصى رسوله وتعدى حدوده فلم ينصح لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

أيها المسلمون ! طوبى لمن اشتغل بالنصيحة، وطوبى للناصحين، فالناصح حقيقة لا تجده مشتغلاً إلا بفرض يؤديه، أو يجاهد نفسه عن محارم ربه ونواهيه، أو يدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة.

فجاهدوا أنفسكم على التخلق بخلق الناصحين تجدوا حلاوة الإيمان، وتكونوا من أولياء الرحمن، وانصحوا لأنفسكم ولأسركم ولاخوانكم المسلمين، انصحوا برفق ولين، وحكمة وعلم، سراً وسترأً لأجل أن لا تكون النصيحة فضيحة، واقتدوا بإمام الناصحين وقدوة الخلق أجمعين.

وصلوا وسلموا عليه كما أمركم الباري جل وعلا في محكم كتابه العزيز حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

فاستبقوا الخيرات

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أمر بفعل الطاعات، وترك السيئات، وحث عباده على اغتنام الأوقات، والمواسم الفاضلات بالاستباق إلى الخيرات، والمنافسة في الصالحات، أحمدده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يغفر الزلات، ويمحو الخطايا ويكفر السيئات ويضاعف الحسنات، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أفضل الداعين إلى الخيرات، وأشرف السابقين للصالحات، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يبعث البريات.

أما بعد : اتقوا الله عباد الله، فبتقوى الله تزكو الأعمال، وتنمو الأموال، وتنال الدرجات، وتعلو المقامات.

أيها المسلمون!

خلق الله تعالى الإنسان، ومنحه إمكانيات عظيمة، يقوم بها في معاشه في هذه الحياة، وفضّله بها على سائر المخلوقات، منحه الله العقل الذي يفكر فيه، ويميز فيه بين الخير والشر، ودلّه على ما ينفعه في الدنيا والآخرة، ومنحه الجسم المتمتع بحواس كثيرة، يتحرك فيه ليقوم بأمور حياته، ومنحه الله سبحانه الشعور والإحساس الذي به تتحرك

عواطفه لتكتمل شخصيته، وتتوازن مقومات حياته، وكل هذا، ولا شك، من نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان، ولذا امتد الناس في معاشهم وحياتهم، وصاروا يتنافسون ويتسابقون باستغلال هذه الإمكانيات والنعم الممنوحة لهم، وصارت الحياة ميداناً لهذا التسابق، بأنواع المنافسات والمسابقات، فمن رابح فيها وخاسر، فكلما قلبت طرفك في مشارق الأرض ومغاربها وجدت أحوال الناس كذلك، فهناك فئام من الناس همهم المال، ركزوا جهودهم في جمعه وتصريفه، واجتهدوا في ذلك مستخدمين أنواع الأساليب وشتى الطرق، متبارين من هو أكثر جمعاً، ويختلف هؤلاء باستغلال هذا المال وتصريفه وفي النظرة إليه.

وهناك فئام من الناس همهم ما يجدُّ ويخترع في دنيا الناس، فما استحدث آلة ونحوها إلا والتفكير أسبق إلى ما بعدها، أيهم أكثر تسهيلاً وأقل جهداً.

وهناك فئام أخرى وجهوا همهم وإمكاناتهم إلى إرضاء رغباتهم، وإشباع شهواتهم، كل بحسبه وجهده، وبما يرغب ويهوى مستغلاً ما استطاع من نعم الله سبحانه وتعالى.

وحدث ولا حرج عن فئام أخرى، ميدانهم العلم بأنواعه وشعبه واختلاف تخصصاته، فالتباري فيه على قدم وساق، أيها الذي ينفع ويفيد، ويقدم للأمة ما يفيدها في دينها ودنياها.

ومن الناس من استغل إمكاناته الجسيمة والبدنية فتوجهت إلى ميادين مناسبة لهذه الإمكانيات حتى على مستوى الأمم بأكملها، ولها مشجعون ومتابعون.

أيها المسلمون!

هذه الميادين وغيرها كثير، ما مكانها وقيمتها في شرع الله سبحانه وتعالى؟ أيقف الإسلام معارضاً لها أم موافقاً، أم موجهاً ومرشداً لطرق ووسائل دون أخرى؟؟!!

لا شك - عباد الله - إن ديننا دين الخير والصلاح، دين السعادة والرخاء، دين يسعى لكل مجال خير، ولكل مجال فيه سعادة لإصلاح الفرد والمجتمع، فأقر مبدأ المنافسة، وشجع على استغلال إمكانيات الإنسان، وحث على اجتماعها لنفع الأمة بأكملها، ووجه إلى ما ينبغي فعله، والتركيز عليه، وبذل الجهود فيه، واتجاه التفكير نحوه، فجعل الآخرة الهدف الأسمى الذي يسعى إليه الإنسان، ويوجه كل إمكانياته نحوه.. وجعل كل ما يعمل الإنسان في هذه الدنيا بما يتناسب مع وصوله إلى الآخرة وصولاً سليماً، فلا يطلق لغرائز الإنسان وشهواته ورغباته العنان فلا يوجهها، ولم يتركها أيضاً ويقف في وجهها، فأرشد الطريق وعبده بما لا يتعارض مع فطرة الإنسان ورغباته.

فهذا المال مثلاً أقر الإسلام ملكيته للإنسان وجمعه وتصريفه، لكن وجهه إلى الطرق المناسبة، فأحل له وسائل لجمعه وحرم أخرى،

وكذا في إنفاقه وتصريفه، ثم لا مانع من السعي في جمعه والمنافسة فيه في ضوء هذه القاعدة الشرعية العظيمة، ولذا جاءت النصوص العظيمة من القرآن والسنة بالحث على التنافس في الخير إجمالاً وتفصيلاً في كل مجالاته بأساليب وصيغ متعددة، ففي الأمر العام يقول سبحانه: (فاستبقوا الخيرات) ويقول: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ويقول سبحانه: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وفي التشجيع على العمل الصالح والمسابقة فيه تأتي الآيات تلو الآيات في ذلك، يقول سبحانه مبيناً الثواب الجزيل لمن عمل صالحاً: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩] ويقول سبحانه مبيناً السعادة العظيمة للمتسابقين في الصالحات: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُفَرَّقُونَ﴾ [١١] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [١٥] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [١٣] [الروم: ١٤-١٦]. ويقول سبحانه موضحاً نتيجة هذا التنافس الذي يحصل في الدنيا: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا

أَنفَسَابَ يَتَنَهَرُ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾
وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴿المؤمنون ١٠١-١٠٣﴾.

وهكذا بيّن الرسول ﷺ في أحاديث عديدة، عملية وقولية، حاثاً على المنافسة على الخير، مريباً أصحابه وأمتة على ذلك، فقد روى مسلم رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا"^(١). وروى الترمذي بإسناد حسن أن النبي ﷺ قال: "بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر"^(٢). وقال ﷺ فيما رواه مسلم وغيره مشجعاً على التنافس: "من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء"^(٣).

(١) أخرجه مسلم رقم (٣٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٢٣٠٦).

(٣) أخرجه مسلم رقم (٢٣٩٨) والترمذي رقم (٢٦٧٥).

أيها المسلمون!

إن المسابقة إلى الخيرات، والمنافسة في الصالحات صفة المؤمنين الذين قال الله عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ رِثَايَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٠ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

وقد تمثل صحابة رسول الله ﷺ هذه المنافسة في ميادين متعددة في الجهاد تارة وفي بذل المال والصدقات أخرى، وفي الدعوة والأمر بالمعروف ونشر الخير بين الناس، وفي تعلم العلم وتعليمه، وفي طاعة الله ورسوله وغيرها من الميادين الفسيحة، ولعل من أبسط الأمثلة على ذلك أولئك الفقراء الذين جاؤوا إلى رسول الله ﷺ شاكين حالهم غابطين إخوانهم الأغنياء؛ لأنهم وجدوا ما ينفقونه ويتصدقون ويبدلون، فقالوا لرسول الله ﷺ: (ذهب أهل الدثور بالأجور- أي أهل الأموال - يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق) ^(١) .. همهم ومشكلتهم أن إخوانهم سبقوهم في هذا الميدان العظيم، فدلهم الرسول ﷺ على ما يعرض ذلك، وهو أنهم يذكرون الله سبحانه

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم (١٣٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فيسبحون ويحمدون ويكبرون ثلاثاً وثلاثين دبر كل صلاة، ويختمون المائة بـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

فالله الله أيها المسلمون في الاقتداء بهم، فالميامين فسيحة، ومجالات السباق كثيرة ما دام في الوقت مهلة، وفي العمر بقية قبل أن يعرض المتكاسل والمتخاذل على إصبعه، يقول يا ليت يا ليت، ولكن لا تنفع شيئاً يا ليت.

نفني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم الجواد، أفاض من جوده وكرمه على الحاضر والباد، أحمدده سبحانه وأشكره على ما تفضل به على جميع العباد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنزه عن الشركاء والأمثال والأنداد، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل السبق والفضل والأمجاد، والتابعين ومن تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم التناد.

أما بعد ، أيها المسلمون! إن المنافسة العظيمة الشريفة في طاعة الله ورسوله تثمر ثماراً يانعة في الدنيا والآخرة، فأولئك المتنافسون لهم أجور جزيلة ومنح كريمة، يقول سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

إن المسارع في الخيرات يشغل نفسه بالخير الذي يصلحها، وينفعها في الدنيا والآخرة، فالنفس إن لم تشغلها بالخير شغلتك بضده،

فأوردتك المهالك، فاتق شرها بشغلها بأنواع الخيرات.

ومن الثمرات العظيمة: أن التنافس في الأمور الشريفة يزيد الإنسان شرفاً وهدى وتقى، ويفتح له من الخير مما لم يخطر له على بال، يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآثَنَهُمْ تَقْوَاهُمْ ۖ﴾ [محمد : ١٧].

ومن الثمرات أيضاً: استمرار مضاعفة الحسنات ورفع الدرجات ، روى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: "من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء" (١).

ومن الثمرات أيضاً: أن الحريص على تلك المنافسة العظيمة يكتب له أجره تاماً إذا حال بينه وبين عمله عارض، كالمرض أو السفر، روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: "إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً" (٢).

ومن الثمرات التي لا تعدلها ثمرة: القرب من الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۖ﴾ [الواقعة : ١٠].

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٦) في كتاب الجهاد والسير ، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، عن أبي موسى رضي الله عنه.

أيها المسلمون!

إن الناظر في أحوال كثير من المسلمين يجد أنهم تغافلوا وتكاسلوا عن المنافسة في هذه الأمور العظيمة، وصاروا يتبارون بأمور تافهة، في إرضاء رغباتهم وشهواتهم، أو فيما يتفاخرون فيه بالدنيا، في جمع المال بطرق مشروعة وغير مشروعة، فالمهم جمعه بأي وسيلة، وفي تصريفه بما لا يفيد، وتركوا ما يجدونه مدخراً عند الله سبحانه وتعالى، فهل بعد تلك النصوص العظيمة يبقى لأحد التغافل عن ميادين الخير والتباري فيها؟ فمهما أُرْضيت نفسك من الدنيا فلن تشبع، ولا يشبعها إلا التراب، فالله الله في السباق إلى الخير، في العلم النافع، في الإصلاح، في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في دعم المستضعفين من المسلمين، في طاعة الوالدين وصلة الرحم، في بذل المعروف والعطف على المسكين والمحتاج، وفي الصلاة والصيام، وفي الذكر والقراءة وغيرها مما لا يحصى، فبادروا- عباد الله- بالأعمال الصالحة، فإنه لا نجاة لكم إلا بها، ولا ينفعكم سواها، وهي زادكم في الآخرة وطريقكم إلى الجنة، وهي التي خلقتكم من أجلها وأعطيتكم المهلة والصحة والغنى والفراغ لتحقيقها، فكم من مضيع للعمل الصالح يقول عند الوفاة: (رب ارجعون لعلني أعمل صالحاً فيما تركت) فيقال له: (كلا).

وصلوا وسلموا على خير البريات والسابق إلى الخيرات. كما أمركم الله جل وعلا في محكم التنزيل، فقال جل من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

حقوق الوالدين وبرهم

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، قضى بالإحسان إلى الوالدين، أحمدته سبحانه وأشكره على نعمه وآلائه التي لا تحصى دفاتر الحسابين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : عباد الله اتقوا الله تعالى، فإن تقواه سبب للنجاة من عقابه، واعلموا أن الله أوجدنا في هذه الحياة، وكلفنا بالقيام بحقوق كثيرة، فمن قام بها وأداها فاز ونجى، ومن قصر وتخاذل فقد خسر وهلك .

أيها المسلمون! لقد أوجب الله تعالى على المسلم حقوقاً عظيمة ومن أعظمها وأجلها حقوق الوالدين.

إن حق الآباء والأمهات على الأبناء عظيمة، ولا يستطيع إنسان أن يحصيه أو يقدره، فلقد قرن الله تعالى حقوقهما بحقه حيث قال جل وعلا: ﴿ وَفَضَّلَ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، ويقول سبحانه: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء: ٣٦]. فالأم قد تحملت آلام الولادة والرضاعة، وسهر الليل

وَتَعَبَ النهار، تقوم بحملها مثقلة، وتقعده مثقلة، تضيق - في أول الحمل بالطعام والشراب- أحشاؤها، وتضعف عند الوضع أعضاؤها، وتجوع ليشبع وليدها، وتسهر لينام، وتتعب ليستريح، وتترك كثيراً مما تشتت فيه خشية أن يتغير لبنها؛ فيمرض وليدها، يرقص قلبها فرحاً إذا ضحك، وترى الحياة كلها نوراً وجمالاً، وهي تراه يلعب مع الصبيان أو يذهب إلى المدرسة، وتحزن حزناً شديداً إذا حزن وليدها أو أصيب بوعكة، وهكذا تعيش له ومعه، وهي تنتظر الأيام الحاسمة في حياتها حين تراه ينجح ويكسب ويتزوج، وترى الأب متعباً، ويفني حياته وجهده وتفكيره ووقته ليتحصل على لقمة العيش لأولاده، يسافر هنا وهناك، ويتعب أول النهار وآخره، ويتابع نموهم، ويقوم على تربيتهم، وينتظر الساعة التي ينظر فيها إليهم رجالاً كباراً لتقر عينه بهم.

أيها المسلمون!

لقد أوجب الإسلام على الأبناء البر بالآباء والأمهات، وحذر من العقوق، كما نبه الإسلام على أن مراعاة الأبوين أمر واجب، ومهما أذل الإنسان نفسه لأبويه، فإن ذلك مدعاة لحب الإله ورضاه عنه؛ فرضى الله في رضى الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين، والناس يكبرونه ويمدحونه، ويجعلونه بينهم مثلاً طيباً يضربونه لأبنائهم، إذ يرونه بأعينهم الإنسان البار الذي يرضى الله عنه، ويرضى عنه أبواه، ويدعوان له في كل حين. أما صاحب القلب القاسي الذي يصانع الناس

بلىن الكلام، ويختار الأحجار الكلامية لأبيه وأمه، ويبش في وجوه الناس، ويعبس في وجه أبويه، يذل أمه ويكيها، ويعز زوجته ويرضيها، يدخل على زوجته وأولاده بكل شهى من الطعام والشراب ولا يبالي بكبيرين محرومين يشتهيان ما يشتهي الناس.

أيها المسلمون!

إن دمة الأبوين بسبب ظلم الأولاد يجعلها الله عليهم سخينة يجدون ألم حرها فيما يستقبلون من دهرهم. ولا بد أن يلقي العاق من ذريته مثلما فعل بأبويه، والله غالب على أمره؛ لأن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان، وعلى الباغي تدور الدوائر. ورد في الأثر: "بروا آباءكم تبرّكم أبناءكم، وعفوا عن النساء تعف نساؤكم" (١).

أيها المسلمون!

اسمعوا قول الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣]. وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ، أي العمل أحب إلى الله؟ قال: (الصلاة على

(١) المستدرک للحاکم ٤/ ١٧٠، وضعفه الألبانی فی ضعیف الجامع (٢٣٣٠)

وقتها)، قلت: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين) ، قلت ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله) رواه البخاري ومسلم.^(١)
أيها المسلمون!

من أكبر البر بهما أن تبذل المعروف والإحسان إليهما بالقول والفعل والمال، فالإحسان بالقول: مخاطبتهما باللين واللفظ مستصحباً كل لفظ طيب يدل على اللين والتكريم، وكذلك الدعاء لهما بالتوفيق والصحة والعافية والمغفرة من الذنوب، والإحسان بالفعل: أن تخدمهما ببدنك ما استطعت من قضاء الحوائج والمساعدة على شؤونهما وتيسير أمورهما وطاعتهما في غير ما يضرّك في دينك، والإحسان إليهما بالمال أن تبذل لهما من مالك كل ما يحتاجان إليه طيبة به نفسك، منشراحاً به صدرك، غير متبع له بمنة ولا أذى ، بل تبذله لهما وأنت ترى أن المنة لهما في ذلك في قبوله والانتفاع به.

والبر كما هو واجب للأبوين في حياتهما، فلهما حق البر بعد موتهما، وذلك: بالاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما- يعني وصيتهما- من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقيهما. رواه

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، برقم (٢٥٧٤) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، برقم (١٢٠) والحديث متفق عليه.

أبو داود. (١)

ومن البر بهما الحرص على نصحهما، وطلب هدايتهما بالحكمة والقول اللين، وبإقناعهما مهما عفا عليك، اسمعوا قول إبراهيم لأبيه في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۚ يَتَابَتِ إِنْ قَدْ جَاءَ مِنْكَ الْعِلْمُ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝١٣ يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۝١٤ يَتَابَتِ إِنْ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۝١٥﴾ [مريم: ٤٢ - ٤٥] فليكن نبي الله إبراهيم قدوتنا في المخاطبة للوالدين بهذه الدعوة اللطيفة بالحكمة والموعظة الحسنة.

أيها المسلمون!

إن بر الوالدين سبب لإرضاء الله تعالى، فقد روى الترمذي، عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (رضى الرب في رضى الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالدين) (٢). وبر الوالدين سبب

(١) هو قطعة من حديث أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب في بر الوالدين، برقم (٥١٤٤)، من رواية أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم، الصلاة عليهما.. الحديث.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضى الوالدين، برقم (١٨٩٩).

لمغفرة الذنوب، ودخول الجنة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : (كذلكم البر.. كذلكم البر.. وكان أبر الناس بأمه) ^(١). وروى الترمذي وابن ماجه عن أبي الدرداء أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضغ ذلك الباب أو احفظه). ^(٢)

وروى الإمام أحمد وغيره، عن معاوية بن جاهمة أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك. فقال: (هل لك أم؟ قال: نعم. قال: فالزمها فإن الجنة عند رجلها). ^(٣)

(١) أخرجه أحمد رقم (٢٥٢٢٣) والحاكم في المستدرک على الصحيحين، في كتاب البر والصلة، برقم (٧٢٤٧) من رواية عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضى الوالدين، برقم (١٩٠٠) عن أبي الدرداء، قال أبو عيسى: وهذا حديث صحيح.

وأخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب بر الوالدين، برقم (٢٠٥٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٥٥٧٧) من حديث معاوية بن جاهمة السلمي رضي الله عنه، وليس له عنده غيره.

وأخرجه النسائي في الكبرى، في باب الرخصة في التخلف لمن له والدة، برقم (٤٣١٢) عن معاوية بن جاهمة. والحاكم في المستدرک على الصحيحين، في كتاب البر والصلة، برقم (٧٢٤٨) عن معاوية بن جاهمة.

واعلموا أن أجر الأم مضاعف على أجبر الأب؛ لما تلاقيه من المعاناة منذ بداية الحمل إلى أن ينعم ويكبر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال (أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك) متفق عليه ^(١).

فاتقوا الله وبروا آباءكم وأمهاتكم تبركم أبناءكم وبناتكم. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، برقم (٥٥١٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، برقم (٤٦٢١).

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المسلمون!

الحذر الحذر من عقوق الوالدين، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَلْفَنَ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْ لَوْنَهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] والمراد بالعقوق: صدور ما ينافي بر الوالد من ولده من قول أو فعل إلا في شرك أو معصية .

واعلموا أن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: "ألا أنبئكم بأ أكبر الكبائر ثلاثاً؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين..." إلخ. ^(١)

عقوق الوالدين سبب للحرمان من دخول الجنة، وموجب لسخط الله تعالى، روى الإمام أحمد وغيره أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثة قد

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، برقم (٢٦٥٤) عن أبي بكر رضي الله عنه.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم (٢٦٩).

حرّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق، والديوث الذي يقر الخبث في أهله).^(١)

وفي رواية: (لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر)^(٢) .
والعقوق سبب لتعجيل العقوبة، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:
(كل الذنوب يغفر الله منها ما يشاء إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه قبل الممات).^(٣)

أيها المسلمون!

ولمعينة ما يلاقيه الأب من الابن، إليكم هذه القصة التي ذكرها الإمام القرطبي في تفسيره، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إن أبي أخذ مالي. فقال النبي ﷺ، فأتني بأبيك، فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقال: إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شيء قال في نفسه ما سمعته أذناه، فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ: ما بال ابنك يشكوك؟ أتريد أن تأخذ ماله؟ فقال سله يا رسول الله، هل

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٥٨١٤) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه النسائي رقم (٥٦٧٢) وابن ماجه رقم (٢٣٧٦)، وأحمد رقم (٦٥٥٧).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب البر والصلة، برقم (٧٢٦٣) عن أبي بكره رضي الله عنه.

أنفق إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسه؟ فقال له رسول الله ﷺ : إيه دعنا من هذا. أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذنك، فقال الشيخ: والله يا رسول الله، ما زال الله عز وجل يزيّدنا بك يقيناً، لقد قلت في نفسي شيئاً ما سمعته أذناي قال: قل، وأنا أسمع. قال: قلت:

غدوتك مولوداً ومنتك يافعاً	تعل بما أجني عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت	لسقمك إلا ساهراً أتململ
كأنني أنا المطروق دونك بالذي	طرقت به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها	لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي	إليها مدى ما كنت فيك أو مل
جعلت جزائي غلظة وفضاظة	كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي	فعلت كما الجار الملاصق يفعل
فأوليتني حق الجوار ولم تكن	عليّ بمال دون مالك تبخل

قال: فحينئذ أخذ النبي ﷺ بتلايب ابنه، وقال: أنت ومالك لأبيك. ^(١)

(١) ذكره القرطبي في تفسيره ٢٤٦/١٠ في تفسير سورة الإسراء، ثم قال: قال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن ابن المنكر بهذا التمام والشعر إلا بهذا الإسناد، وتفرد به عبيدالله بن خلصة، والله أعلم. وأخرج الحديث كاملاً ابن ماجه رقم (٢٢٩١) ومسنده وأحمد رقم (٦٩٠٢) وابن حبان رقم (٤١٠).

الرحيم لا يعرف القسوة حتى وإن ظلم.

فاتقوا الله عباد الله، وبروا أمهاتكم وآباءكم تبركم أبناؤكم
وبناتكم، ونشئوهم التنشئة الصالحة، وربوهم التربية الإسلامية، فإنه لا
يجني ثمارها إلا أنتم، وأكثروا من الدعاء لهما، فإن دعاء الولد في حق
والديه مستجاب.

وصلوا وسلموا على معلمنا وقدوتنا نبينا محمد ﷺ كما أمركم
الله تعالى بذلك، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

الصراع بين الحق والباطل

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل الحق ناصعاً أبلجاً، وجعل الباطل مظلماً لجلجاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يُخاف ويُرتجى، وأشهد أن نبينا وعظيماً محمداً عبده ورسوله، أقام لدولة الحق سُرجاً، ودفع الباطل فاستبان زائفاً بهرجاً، اللهم اجعل معونتك العظمى لنا سنداً وملتجاً. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهل النور والدجى والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما أسفر صبح وما ليل دجى.

أما بعد عباد الله ! أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، فالزموها في كل أزمانكم وأحوالكم.

أيها المسلمون! تمر الأيام ، ويتعاقب الزمن، فتتكشف أمور، وتتعلم مفاهيم، وتتضح مشكلات، وتزيد معارف.

وفي هذا الزمان الذي تقدمت فيه كثير من وسائل الاتصالات، وتبين كثير مما لدى الأمم من معاني ومفاهيم تبرز لنا سنة عظيمة من سنن الله تعالى في هذا الكون الفسيح، ذكرها ربنا تعالى في كتابه الكريم، وعاشها رسله وأنبيأؤه مع أقوامهم، وتسطرت لنا واضحة جليلة في سيرة إمامنا وقودتنا، وهو يقوم بتبليغ رسالة ربه، ودعوة مولاه.

تلكم عباد الله! هي سنة التدافع بين الحق والباطل التي ما تفتأ برهة من الزمن إلا وتزداد رسوخاً في الأذهان لظهورها واضحة جليلة للعيان، وذلك لتقارب الميادين في الزمان والمكان.

أيها المسلمون! هذه سنة من سنن الله تعالى ذكرها تعالى في القرآن الكريم، وما - خلق إبليس - أعادنا الله منه إلا لحكم عظيمة، هذه من أظهرها قال تعالى: ﴿ قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ١٦ ﴾ ثم ﴿ لَا يَبْقَىٰ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف: ١٧] وما إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام إلا لتقرير الحق، وبيان ودحض الباطل. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] بل وما خلقت الجنة إلا لأهل الحق، وما خلقت النار إلا لأهل الباطل.

وعلى مدار التاريخ - عباد الله - والسنة جارية في هذا الصراع حتى بُعث محمد ﷺ على فترة من الرُّسل، وفي جاهلية جهلاء وضلالة عمياء، والشرك ضارب أطنابه في أكثر بقاع الأرض، واليهود ينتظرون خروج نبي آخر الزمان منهم، والنصارى يظنون أنهم على حق.

بُعث محمد ﷺ، فعادته تلك الطوائف، وأشدّها عداوة المشركون واليهود: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [المائدة: ٨٢].

فاشتد الصراع بين الحق والباطل حتى نصر الله الحق، ففتحت مكة، ودحر اليهود وخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وانتشر الإسلام، واتسعت رقعته، وعم الأرض.. ولكن حكمة الله وسنته ماضية فازداد الصراع. ينتصر أهل الحق إذا نصره، وينتصر أهل الباطل إذا خذل أهل الحق حقهم، وضعفوا واستكانوا.

أيها المسلمون! ونحن اليوم نشهد هذا الصراع في مسارح متعددة، وبقع كثيرة.. نراه في وجه عسكري ظاهر، ونراه في وجه اقتصادي واضح المعالم، وفي وجه فكري مندرس بيننا، وفي وجه أخلاقي يلوح به علينا، وغزيت به مجتمعاتنا.. وفي أوجه أخرى متعددة، وأساليب متباينة صراحة تراه، ونفاقاً ملوثاً أخرى في التباكي على مصالح الأفراد تارة، ومصالح المجتمعات تارة أخرى.

وإن خفي في وجه من الوجوه ظهر في وجه آخر، هذه حقيقة. وحقيقة أخرى قد يشتد الصراع في وجه من الوجوه زماناً ويختفي فيه زماناً.

أيها المسلمون! ومع هذا الصراع المتعاقب الذي لا ينتهي مع نهاية الزمان، فالحق هو الظاهر، وهو المنتصر، وهو القوي، وهو الغالب، لكن لا يظهر هذا الانتصار وتلك القوة الغالبة إلا بنصرة أهله له، وبتمسكهم به، وبإظهاره، وبعزتهم به، فقد جاء ذلك معلناً في كتاب الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنْ تَصُرُوا اللَّهَ يَصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] ،

وقال سبحانه: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٨١) [الإسراء: ٨١] ، ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٨١) [الصافات: ١٧٣] ، ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (١٧٣) [الروم: ٤٧] .

أيها المسلمون! وفي هذا الزمان يشتد الصراع بزعامة يهود في بقعة من أظهر البقاع ، في الأرض المباركة.. صراعاً اقتصادياً، وفكرياً، وأخلاقياً، واجتماعياً.. وصراعاً عسكرياً يبلغ أشده وفي أحدث تقنياته.. ولكن لعظم تلك الحقيقة المقررة أن النصره للحق وأهله.. يصل انهمزاهم إلى قتل المرأة والطفل الصغير، والشيخ الكبير.

هذه عاداتهم وأخلاقهم وسلوكهم في معاملاتهم مع الله، وفي معاملتهم مع خلق الله: ﴿ وَسَمِعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿ وَرَبَّى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثَرِ وَالْعُدُونِ وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ لِيَقْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٦٢) [المائدة: ٦٢] ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْطَعُوا ﴾ [البقرة: ٢١٧] .

أيها المسلمون! يقول أحد المفكرين (لم يسجل التاريخ قضية تجمعت فيها الأحقاد العالمية، وبرزت منها المتناقضات الدولية، وتجلى فيها التلاعب بالمصطلحات اللفظية، والعبث بالعبارات الوثائقية مثلما سجل في قضية فلسطين المسلمة، وقدها، جاءت قضايا المسلمين بعدها على شاكلتها، الإلحاد تآزر مع الصليبية، والشيوعية في حينها تضامنت مع الرأسمالية، والشرق تأمر مع الغرب، تألفت منها جميعاً حلقات البغي المعلن، والكيد المبطن).

أيها المسلمون! والقضية ستستمر وتظهر فظاعة وشناعة يهود، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقْسِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧] . وليس هذا بغريب، ولكن الغريب لمن لم يذكر مع كثرة الأحداث وتعاقب الحوادث، وقد أخبر ﷺ عن الطائفة المنصورة المؤيدة بتأييد الله وأنها ما تزال موجودة إلى آخر الزمان ظاهرة على الحق بقوله: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله).^(١)

وما يحدث في فلسطين مما عمله حجارة الأطفال في اليهود بشائر، وبشائر ترفع الرأس، وتذكي الهمم، فليعلم من لا يعلم أن القضية صراع بين الحق والباطل، وأن النزاع نزاع عقيدة ومصير، وأن الانتصار للحق إن شاء الله ، نسأل الله أن يعلي الحق وأهله على الباطل وأهله.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦٤١) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، ومسلم (٥٠٥٩) ، عن ثوبان رضي الله عنه. واللفظ له.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يبعث كل فرد وحده.

أما بعد عباد الله! ومن حكمة الله تعالى في الصراع بين الحق والباطل: غلبة هذا تارة، وغلبة ذاك تارة أخرى، والضابط في هذا الأمر تمسك أهل الحق به، وقوة إيمانهم به، وعملهم بمقتضاه، ومتى كان الأمر كذلك غلب أهل الحق مهما كانت حال الباطل وأهله: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الأنعام: ٨١].

ومن سنته كذلك: أن أهل الباطل في ألم شديد، وحسرة متناهية وإن تراءى للعيان والنظر أنهم متفوقون فكراً وعدةً وعتاداً، فقد قال تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، وقال سبحانه: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤] والألم حاصل حتى عند أهل الحق، ولكن ينظرون إلى الدار الآخرة، ورجاء ما عند الله تعالى، فيخف الألم، بل ويكون منحة بدلاً من أن يكون محنة، ومن هنا يتلذذ أصحابه بما يعانونه من تعب وألم ونصب، ولسان حالهم يقول:

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ أَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ
فَالْبَاطِلُ لَهُ سَاعَةٌ، إِلَّا أَنْ الْحَقَّ مُسْتَمِرٌّ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

أيها المسلمون! وإن من السنن في الصراع بين الحق والباطل أنه لا عز لهذه الأمة، ولا جامع لكلمتها إلا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، فليست النعرات القبلية، ولا العصبيات العرقية، ولا الالتواءات السياسية إلا خساراً أو خيالاً وهزيمة، وليس بغير دين الله معتصم، به العز والمنعة، وعليه وحده مجتمع الكلمة، وليس هناك مجد وذكر إلا به. ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

أيها المسلمون! ومن السنة في الصراع أن الحوادث الموجهة تزيد أهل الحق صلابة، تربية لهم وصقلاً، فضربة السوط التي لا تقصم الظهر تقويه وتزيده صلابة ومتانة، وهكذا التجارب والمحن، تصقلهم وتخلد ذكركم، وتحفظ حقهم وتكتب أجرهم.

أيها المسلمون: وفي هذا الزمان كثرت الأوجاع والحوادث، ولا صوت جهورياً، وكثير من أهل الحق يزداد يأساً وقنوطاً، ولم يعلم بأنه كلما اشتدت المحن، وأظلم الليل، قرب الفجر، فهل يعي كل مسلم ذلك فيبشر ويؤمل خيراً، فتقوى علاقته بربه وإيمانه به، ويزداد عملاً للصالحات، وكل هذا من عوامل انتصار الحق ابتداءً بالنفس والمجتمع والأمة: (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون). [الزخرف: ٤٤].

ثم صلوا وسلموا على من جاء بالحق وعمل به كما أمركم الله جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

الفرح في الإسلام

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أحل لنا الحلال، وحرم الحرام، وأعد جناته لمن أطاعه واستقام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العلام، ذو الجلال والإكرام. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، خاتم المرسلين، وخير الأنام، صلى الله وسلم، وبارك عليه، وعلى آله، وصحبه ومن تبعهم بإحسان ما تعاقبت الليالي والأيام. أما بعد:

عباد الله!

اتقوا الله واعبدوه، واشكروا على نعمه واذكروه، واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم، فاحذروه، وأعدوا العدة ليوم تسود فيه وجوه، وتبيض وجوه.

أيها المسلمون!

إنَّ الله عز وجل لم يخلق الخلق عبثاً، ولم يتركهم سدى، بل خلقهم لعبادته، وسخر لهم ما تصلح به حياتهم، وشرع لهم ما تستقيم به أمورهم؛ وتطيب به دنياهم وآخرتهم، فقال جل وعلا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) ﴿[النحل: ٩٧]﴾.

خلق الله هذه الحياة الدنيا لتكون دار ابتلاء واختبار، فالمسلم فيها بين فرح وحزن، وشكر وصبر، لكنه في ذلك كله موصول القلب بربه، فأمره كله له خير؛ كما في صحيح مسلم عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر، وكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له".^(١)

والمسلم في هذه الحياة المتقلبة ينبغي أن تكون حياته فرحاً وسروراً، وابتهاجاً وحبوراً، وإن أصابه ما أصابه من الأكدار التي جبلت عليها الدنيا.

أيها المسلمون!

إن الفرح الحقيقي في هذه الحياة الدنيا الذي لا يدانيه فرح فيها هو الفرح بطاعة الله، ومن ثم الاستبشار بفضله ورحمته، جل وعلا؛ فهو فرح القلوب الذي لا يُقارن به فرح زائل بمال أو جاه، أو منصب أو متاع، فإن الله جل وعلا قال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس: ٥٨).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٧٦٩٢) في كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، عن صهيب رضي الله عنه.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "اليوم الذي لا أعصي الله فيه فهو عيد".

فذلكم الفرح الحقيقي، الذي يوهب في الحياة الدنيا للذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ فتشرح به صدورهم، وتطمئن به قلوبهم، فهم في سكونة وطمأنينة يحسدهم عليها من لم يكن مثلهم. أيها المسلمون!

إن من الفرح الاستمتاع في هذه الحياة وفق ما أحله الله تعالى بضوابط شرعية، فلا ينقطع المسلم في هذه الحياة عن ملذاتها ومسراتها مما أحل الله له ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٢).

إنها لنعمة كبيرة أن يستمتع المسلم، ويفرح بما يحصل له من الخير والرزق ودواعي السرور؛ بما يلبي الفطرة السوية التي جبل الإنسان عليها، فالنبي ﷺ كان إذ رأى الشيء يعجبه يفرح، ويضحك، ويتسم لما يعجبه ويسره، بل عد التبسم صدقة يؤجر المرء عليها بقوله ﷺ: "تبسمك في وجه أخيك صدقة" ^(١)، كما كان ﷺ يفرح

(١) أخرجه الترمذي في جامعه برقم (١٩٥٦) في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صنائع المعروف، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وقال أبو عيسى: حديث حسن غريب.

بالمناسبات المفرحة التي تمر عليه، وسنّ هذا الفرح كالفرح بالمولود يولد للمرء، والفرح بالزواج، والفرح بالنجاح في عمل أو دراسة، والفرح بالسلامة والعافية من داء أو بلاء، فكلها وأمثالها من الخير والرزق من أسباب الفرح التي جبل الإنسان على السرور بها.

ومن أسباب الفرح كذلك: الفرح الشرعي الذي ندب الشرع إلى إظهار الفرح به، كفرح المسلمين بأعيادهم في الفطر والأضحى، بتمام عبادتهم، وحلول عيدهم؛ فيكون ذلك سبباً في ذكر الله وشكره جل وعلا.

أيها المسلمون!

ومع أن الفرح غريزة في البشر أجمعين، لكن الناس يتفاوتون في مظاهر هذا الفرح بقدر مراتبهم في القرب من الله تعالى.

فمن الناس من يسرف في الفرح، فيعتريه الكبر والبطر والخيلاء، ولقد ضرب الله تعالى مثلاً لذلك بقارون في قوله سبحانه:

﴿إِنْ قُلُوبُنَا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَعَثْ عَلَيْنَهُمْ وَءَايِنَهُمْ مِنَ الْكُفُورِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: ٧٦].

ومن الناس من لا يفضي به فرحه إلى أشد وبطر، لكنه مغبون في التماس الأجر من الله تعالى، فلا يكاد يذكر الله ويشكره إذا آتاه ما يفرحه ويسره.

أما الفائزون حقاً بالحسينين، فهم الذين يفرحون بفطرتهم كسائر الناس؛ لكن ألسنتهم تلهج بالشكر لله تعالى، وقد آذنهم الله برضوانه وبالمزيد من نعمه، فقال الله جل وعلا: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] .

فهؤلاء يفرحون في الدنيا كسائر الناس، ويفرحون في الآخرة بفضل الله ورحمته ورضوانه جزاء طاعتهم لله وشكرهم إياه؛ كما جاء في الحديث القدسي في فضل الصيام: "للصائم فرحتان، فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه" ^(١) .

عباد الله!

ومما شرع الله تعالى كذلك لمن أتاه أمر يسره: سجود الشكر لله تعالى، فقد كان النبي ﷺ إذا أتاه أمر يسره أو بُشِّرَ به خَرَّ ساجداً شكراً لله تبارك وتعالى ^(٢) ، وكما جاء في سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم، ولما روى البيهقي أن علياً رضي الله عنه لما كتب إلى النبي ﷺ بإسلام همدان خَرَّ ساجداً، ثم رفع رأسه، فقال: "السلام على همدان السلام على همدان" ^(٣) . وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (١٣٩٤) في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر، عن أبي بكره رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى برقم (٤١٠٢) في باب سجود الشكر، عن البراء رضي الله عنه.

ﷺ سجد شكراً لما جاءته البشرى من ربه أنه من صلى عليك صليْتُ عليه، ومن سلم عليك سلمتُ عليه. ^(١)

وتأسى بالنبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم، فجاء في الآثار أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سجد حين جاءه قتلُ مسيلمة ^(٢). وسجد علي رضي الله عنه حين وجد ذا الثُدَيَّة في قتلَى الخوارج ^(٣). وسجد كعب بن مالك رضي الله عنه لما جاءته البشرى بتوبة الله عليه. ^(٤)

وهكذا يكون فرح المسلم عبادة، وسبباً لذكر الله وشكره.

أيها المسلمون!

وإذا تبين لنا أن الفرح سبب لذكر الله تعالى وشكره، فمن باب أولى ألا يكون شيء من الفرح سبباً في معصيته جل وعلا؛ فللفرح ضوابط في الإسلام تحفظه من التعدي، وتجاوز الحدود، وارتكاب المنهيات، فلا يجوز أن يفرح الإنسان بحصول أمر محرم، كأن يفرح

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٦٦٢) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى برقم (٣٧٥٦) في باب سجود الشكر، عن أبي عون عن رجل.

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم (٦٦٨) و (١١٩٠) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(٤) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٥٩٢٢) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، في حديث طويل.

صاحب وظيفة بحصول وظيفة محرّمة، أو بمكسب مالي محرم، أو بعمل محرم، أو بما يؤدي إلى محرم، أو من في قلبه مرض بتمكنه من شهوة محرّمة، أو غيرها من المحرمات، والعياذ بالله.

كما لا يجوز أن تخالف مظاهر الفرح أدلة الشرع، كما يحدث في حفلات الأعراس ونحوها من تجاوزات شرعية بدعوى الفرح والسرور والمؤانسة من المنكرات، كالاختلاط بين الرجال والنساء الأجانب، والتطيب من المرأة عند خروجها لهذه المناسبات، والتعري والملابس الفاضحة، حتى ولو كانت بين النساء.

ومن منكرات الأعراس كذلك: تجاوز اللهو المباح إلى ما حرم الله بإحضار المطربين والمطربات والراقصات، ونحو ذلك، وكذلك التصوير المحرم، وهو من أخطر الأمور، وأسباب البلاء، وهتك الأستار، وهدم البيوت العامرة، والعياذ بالله.

ومن المظاهر الباطلة في الأعراس أيضاً: منصة العروسين التي يجلس فيها الزوجان في حضرة الرجال الأجانب عن المرأة، والنساء الأجانب عن الرجل، وفي هذا من الفساد الكبير ما لا يخفى على أولى الأبصار.

ومن منكراتها كذلك : الإسراف والتبذير الذي لا يرضى الله تعالى عنه في النفقات، إلى حد أن بعض الناس يقترض لا من أجل الضروريات بل للتباهي والبذخ الذي ينتهي بإلقاء كميات كبيرة من

الطعام في النفايات ، فيما يطوي أناس من الفقراء على جوع وفاقة ، وكفى وعيداً على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۝ ﴾ (الإسراء: ٢٧).

ومن هذه المنكرات: السهر إلى وقت متأخر، الذي يفضي إلى إرهاق الأبدان والإضرار بالأطفال وتضييع صلاة الفجر.

وإذا كان من نعم الله هذه الأيام في العطلة الصيفية انتشار الزواج وكثرته؛ فإن تمام النعمة أن يُجعل الفرح والاحتفال بها موافقاً للشرع، ومرضاة المولى سبحانه.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وبسنة سيد المرسلين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد ألا إله إلا الله، الرزاق ذو القوة المتين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام المتقين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد أيها المسلمون!

ومن آداب الفرح في الإسلام: استشعار أنه عبادة لله تعالى؛ فحياة المسلم كلها لله تعالى، والفرح ما هو إلا جزء منها، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

كما أن من تمام الفرح استشعار أن الله تعالى هو المنعم بكل ما يفرح الإنسان ويسره: أن يذكره الإنسان في فرحه، ويشكره جل وعلا على ما منّ به عليه من النعم. وإذا وفق الإنسان إلى ذلك، فبالأحرى ألا يُطغي هذا الفرح واللهو - وإن كان مباحاً - على الجد والسعي فيما ينفع المرء في دينه ودنياه.

ثم ليتذكر إخواناً له في بلدان مختلفة لا يكادون يعرفون ابتسامة لأحوالهم، أو يتذوقون طعم فرح، فأفراحهم انقلبت إلى أحزان.

فليكن فرحك - أخي المسلم - دافعاً لأن تُفرح يتيماً فقد أباه، وأرملة فقدت زوجها، وأسرة هدم بيتها، وعائلة لم تجد ما تطعم به أفرادها؛ فشعورك بهذا يزيد فرحك في الدنيا والآخرة، وهو من الشكر الذي يزيدك في الدنيا والآخرة.

عباد الله !

لقد أكمل الله لنا الدين، وأتم علينا نعمته، ووضع لنا منهاجاً متكاملاً لكل شؤون الحياة؛ فلن تستقيم حياة امرئ وتطيب إلا بطاعة الله، واتباع سنة نبيه ﷺ في شؤونه كافة.

ولقد كان نبينا ﷺ كثير التبسم، ذا مداعبة لأصحابه وأهل بيته رضي الله عنهم، وملاطفة للأطفال، فكان هديه ﷺ في ذلك أكمل هدي وأتمه، فمن اقتفى أثره في ذلك سعد في الدارين بفضل الله ورحمته.

فلنشر سنة نبينا ﷺ وهديه الكريم في جميع شؤون حياتنا، بالتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما بيننا، والدعوة إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وكذلك بتربية أولادنا على هذه السمائل النبوية الكريمة؛ حتى نجتمع الخيرين، ونفوز بالحسينين، ونسعد في الدارين بفضل الله ورحمته.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق والأفعال، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئ الأخلاق والأفعال، لا يصرف سيئها عنا إلا أنت، وصلوا وسلموا على نبينا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، كما أمركم الله جل وعلا في كتابه الكريم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

البيت المسلم

الخطبة الأولى

الحمد لله معز من أطاعه، ومذل من عصاه، أسبغ علينا نعمه المتوالية وآلاء المتتالية، أحمده سبحانه وأشكره، من توكل عليه كفاه وآواه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله غيره، ولا رب سواه، من اعتمد عليه أطعمه وسقاه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أكرمه الله بالرسالة واصطفاه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن والاه، أما بعد :

عباد الله! اتقوا الله وعظموا ربكم، واحفظوا دينكم، وأدوا أماناتكم، وقوموا بمسؤولياتكم، اتقوا الله في أنفسكم وأهلكم وبيوتكم، واشكروا نعمة ربكم تفوزوا برضا مولاكم، وتدخلوا جنة ربكم.

أيها المسلمون! إن الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بنعم كثيرة وآلاء جسيمة، لا يعدها عاد، ولا يحصيها أحد، وإن من أعظم نعم الله وآياته أن جعل للناس بيوتاً فيها يسكنون ويستريحون، ومن البرد يستدفئون، ومن الحر يستظلون، وعن الأنظار يستترون، وعن الأعداء يتحصنون، ولأموالهم يُحرزون، ولأعراضهم يحفظون، ولها يأوون ويسكنون، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا

تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى
حِينَ ﴿٨٠﴾ [النحل: ٨٠].

في ظل البيت تلقي النفوس على المودة والرحمة، والحصانة والطهر، وكريم العيش والستر، في كنفه تنشأ الطفولة، وترعرع الأحداث، وتمتد وشائج القربى، وتقوى أواصر التكافل والتواصل، ترتبط النفوس بالنفوس، وتتعانق القلوب بالقلوب ﴿هَٰؤُلَاءِ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] في هذه الروابط المتماسكة والبيوتات العامرة تنمو الخصال الكريمة، وينشأ الرجال الذين يؤتمنون على أعظم الأمانات، ويربى النساء اللاتي يقمن على أعرق الأصول.

في البيت - أيها المسلمون - تنمو الزهور المتفتحة في جو مليء بالمودة والرحمة، عامرة بالتفاهم والتعاون، تعيش في ظلال الأبوة، وحنان الأمومة، في البيت تنشأ ناشئة صالحة حقة، يكون من ثمراتها صلاح الأبناء، وبرُّ الأمهات والآباء، والبيت مدرسة ينمو فيها الأجيال، ويتخرج الأبطال، منهم العالم والمسؤول والموجه والمرشد، والمهندس والطبيب، وتتخرج منه الأمهات المربيات اللاتي ينشئن هؤلاء الأبطال.

أيها المسلمون! إن البيت نعمة كبرى، ومنحة عظيمة، أليس هو مأوى الإنسان ومحل أكله ونومه ونكاحه وراحته؟ أليس هو مكان اجتماعه بأهله وأولاده؟ أليس هو محل خلوته بزوجته وأهله؟ أليس هو

محل القرار؟ إن هذه النعمة العظيمة لا يدرك قيمتها، ولا يعرف فضلها إلا من يرى من يعيشون في الملاجئ أو الشوارع أو على أرصفة الطرقات، أو المقابر أو المخيمات المؤقتة، يفترشون الأرض، ويلتحفون السماء، عرضة للحر والقر، تلفحهم حرارة الشمس ولهيبها، وتخدشهم شدة البرودة وقساوتها، إن من يرى هؤلاء وأمثالهم يدرك نعمة الله في البيت والمنزل، فيلجأ إليه بالشاء والشكر والحمد قولاً وعملاً باطناً وظاهراً.

أيها المسلمون! هذا البيت الذي يمثل المجتمع المصغر له في الإسلام منزلة عظيمة وأهمية كبرى، اهتم الإسلام به وجعل له أحكاماً تخصه ينبغي للمسلم أن يطبقها ويتعامل في ضوئها، وحث الإسلام على القيام بشؤونه وإصلاحه، فبصلاحه يصلح المجتمع وبفساده يهوي للهلاك، ويتعرض للدمار، فجعله الإسلام مصدر الإصلاح والإصلاح، كيف لا؟! والله جل وعلا جعل الإنسان مسؤولاً عن نفسه وأهله بأن يقيهم من النار، (يا أيها الذين آمنوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [التحريم: ٦]. والرسول ﷺ بين عظم المسؤولية الملقاة على راعي البيت أمام الله يوم الجزاء والحساب. فيما رواه النسائي، وابن حبان بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال:

"إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته".^(١)

وروى الطبراني بسند حسن، عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "طوبى لمن ملك لسانه، ووسع به بيته، وبكى على خطيئته"^(٢). وقال ﷺ - فيما رواه الديلمي عن أبي موسى بسند حسن: - "سلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته".^(٣)

أيها المسلمون! لكل هذه الأمور وغيرها أراد الإسلام أن يكون بيت المسلم متميزاً عن غيره من البيوت شكلاً ومضموناً، ظاهراً وباطناً. وإن من أهم ما ينبغي أن يُلاحظ في البيت المسلم: أن يكون مستوراً، مصوناً عن الأنظار، يأمن مَنْ بداخله من الاطلاع على عوراتهم وأسرارهم، لا يدخله غير أصحابه إلا باستئذان ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٤)

(١) أخرجه أحمد رقم (٤٦٣٧) وابن ماجه رقم (٤٤٩٣)، والطبراني في الكبير رقم (٨٧٦٤).
(٢) رواه الطبراني في الأوسط، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، برقم (٢١٢)، ١٤٠/١. ورواه في الصغير (الروض الداني) وقال في كليهما: لا يروى عن ثوبان إلا بهذا الإسناد، تفرد به عيسى بن سليمان، وهو ثقة.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب برقم (٣٥٠٧) وذكره العجلوني في (كشف الخفا) برقم (١٤٨٦) وقال: أسنده الديلمي معناه مسلسلاً عن أبي موسى رفعه، وقال: كذا رويناه في مسلسلات أبي سعيد وابن الفضل وبينت حكمه في الجواهر المكللة، ومعناه صحيح ثبت في عدة أحاديث ٥٥٢/١.

فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُوْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ [النور: ٢٧، ٢٨].

وكما يكون البيت مستوراً عن المارة ينبغي أن يكون ساتراً ومستوراً عن الجيران، وذلك برفع الحاجز بين الجارين، وكذا رفع النوافذ المطلة على الجيران بحيث لا تحصل الأذية من كل منهما للآخر، فلا يُكشَف، ولا يُكشَف، ومما ينبغي ملاحظته أيضاً أن تُفصل أمكنة النساء عن الرجال لئلا يطلع كل منهما على الآخر، وأن يلحظ عند التصميم أن لا تكون المراحيض باتجاه القبلة لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: "إذا جلس أحدكم لحاجته، فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها".^(١)

ومن المهم - عباد الله - أن يختار الموقع الذي يريد أن يسكن فيه، فيكون قريباً من المسجد، لئلا يتكاسل عن الصلاة فيه، وأن يكون في وسط جيران يحافظون على الصلاة، فالجار قبل الدار، وقد تعود الرسول ﷺ في دعائه من جار السوء، فقال فيما رواه النسائي: "اللهم

(١) رواه البخاري، في باب لا تستقبل القبلة بغائط أو بول إلا في البناء، برقم (١٤٤) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ولفظه: "إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة.. الحديث. ورواه مسلم برقم (٢٦٥) في باب الاستطابة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ له.

إنني أعوذ بك من جار السوء، في دار المقامة، فإن جار البادية يتحول".^(١)

أيها المسلمون: وكما يحسن شكل البيت ومظهره بأن يكون ذا طابع معين، فينبغي لبيت المسلم أن يكون مضمونه مثلاً رائعاً في الصلاح والإصلاح، منطلقاً للخير والسعادة والفلاح، وإن من أعظم ما يؤثر في ذلك وجوب مراعاته والانتباه إليه أن يتحقق فيه بين الزوج وزوجته وبين الأب والأم معنى كونه مسكناً، يتحقق فيه قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١١﴾ [الروم: ٢١]، نعم ليسكن إليها ولم يقل: ليسكن معها، مما يؤكد معنى الاستقرار في السلوك والهدوء في الشعور، ويحقق الراحة والطمأنينة بأسمى معانيها، فكل من الزوجين يجد في سكنه الهدوء عند القلق والبشاشة عند الضيق، والسرور عند الحزن، والفرج عند الهم، فإذا كان كذلك، صار البيت مدرسة للنشء يتربى فيها البنون والبنات على خصال الخير وكريم الفعال التي لا تكون إلا في ظلال أمومة حانية وأبوة كادحة، وأي مجتمع أذكى من هذا الجو الأسري الكريم، فالمنطلق في البيت المسلم تفاهم الزوجين، وقوة العلاقة بين الأب والأم القائمة على المودة والرحمة، ولذلك أمر

(١) أخرجه النسائي (المجتبى) برقم (٥٥٠٢) عن أبي هريرة في كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من جار السوء.

الإسلام بحسن اختيار الزوج لزوجته، وجعل الميزان في ذلك الدين والخلق.

أيها المسلمون! ومما يتميز به البيت المسلم أن يكون بيت إيمان وقرآن، بيت ذكر ودعاء، بيت صلاة وصيام، روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت" ^(١)، وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: "إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله تعالى حين يدخل وحين يطعم قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء هاهنا، وإن دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله، قال: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر اسم الله عند مطعمه قال: أدركتم المبيت والعشاء" ^(٢).

فينبغي أن يكون البيت محلاً لتلاوة كتاب الله عز وجل، روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة" ^(٣)، وكما هو محل للتلاوة، فهو محل للصلاة النافلة والدعاء، روى مسلم

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، برقم (٤٦٠٧) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، برقم (٥٣٨٩) عن جابر بن عبد الله.

(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، برقم (١٨٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أن رسول الله ﷺ قال: " عليكم بالصلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة".^(١)

أيها المسلمون! إذا توفرت هذه الأمور في البيوت: ذكر الله وقراءة كتابه والصلاة فيه أصبح مدرسة للخير يتربى فيها من يسكنها من الأولاد والنساء على الطاعة والفضيلة، وتدخلها الملائكة وتبتعد عنها الشياطين، وإذا خلت هذه البيوت من الطاعات، صارت قبوراً موحشة، سكانها موتى القلوب وإن كانوا أحياء الأجسام، يخالطهم الشيطان، وتبتعد عنهم ملائكة الرحمن، فما ظنك بمن يتربى في هذه البيوت الخاوية الخالية من ذكر الله؟ بل وما ظنك إذا شغلت بوسائل الشر وأسباب المعاصي من مسلسلات هابطة وتمثيلات مختلطة وأفلام خليعة ومجلات فاسدة، تدعو إلى الفحشاء والمنكر وتهدم الأخلاق والمروءة؟ إن مثل هذه البيوت تكون أوكاراً للشيطان، وسموماً تفتك في جسد البيوت المسلمة يجب علاجها واستئصالها حتى لا تؤثر على من حولها، إن من كان بيته كذلك حري بأن يعرض نفسه للعقوبة والهلاك في الدنيا والآخرة.

فاتقوا الله، عباد الله، وأحيوا بيوتكم بالذكر والدعاء وقراءة القرآن وتعليمه، وأخلوها من ألحان الشيطان، ومن الغيبة والنميمة

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب البر والصلة برقم (٧٣١) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه. ومسلم في صلاة المسافرين، برقم (١٦٧٨) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

والبهتان، نفعني الله وإياكم بهدي كتابه العظيم، وبهدي سنة سيد المرسلين، أقولي قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي فتح لعباده طريق الفلاح، وأرشدهم إلى ما فيه الخير والصلاح، فمن سلك هذا الطريق فله الفوز والنجاح، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خالق الحب والنوى وفالق الإصباح، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، الذي بددت رسالته ظلمات الجهل والظلم كما بدد ظلام الليل نور الصباح، صلى الله وسلم وبارك عليه على آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان ما أشرق الفجر ولاح، أما بعد: أيها المسلمون! ومما ينبغي أن يتميز به البيت المسلم أن يكون مدرسة ويتدرب فيها الناشئة وتتعلم الزوجة من زوجها والأبناء والبنات من آبائهم وأمهاتهم، والصغار من الكبار، يتعلمون القرآن والسنة، يتعلمون العلم والعمل، قال الضحاك ومقاتل حول قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا قُلُوبُهُمْ أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. حق على المسلم أن يعلم أهله وقرابته ما فرض الله عليهم وما نهاهم عنه، وقال الطبري: فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الأدب.

ومما يساعد في التعليم توفير مكتبة مناسبة في البيت تحوي الكتب النافعة، التي تناسب الصغير والكبير، وعلى رأس تلك الكتب كتاب الله عز وجل، وبعض تفاسيره كتفسير ابن كثير رحمه الله، وكذلك من سنة

الرسول ﷺ كتاب (رياض الصالحين) للإمام النووي و (الترغيب والترهيب) للمنذري، وبعض كتب السيرة النبوية ككتاب (زاد المعاد) لابن القيم رحمه الله وغيرها، ومن جهل شيئاً يسأل عنه، فالعلم بالتعلم، ومما يساعد في التعليم والتربية إيجاد الأشرطة المناسبة في البيت، التي تحوي قراءة كتاب الله عز وجل والمحاضرات والندوات النافعة. وعلى الفرد أن يحضر ما يناسب بيته وأهله في هذا المجال، ومن المفيد في مجال التعليم أن يخصص رب الأسرة وقتاً ولو يسيراً لتذاكر ما قرئ وما سمع، ووضع الحوافز والجوائز التشجيعية لذلك.

أيها المسلمون! وكما يكون البيت المسلم مصدر تعليم، فهو مصدر تربية وتنشئة، تربية على الإيمان القوي والخلق الكريم والمعاملة الطيبة، وأهم ما يلمح إليه في ذلك أن يكون الوالدان قدوة حسنة لمن في البيت من النساء والذرية، وأن يعين أحدهما الآخر في ذلك، روى الإمام أحمد وأبو داود بسند جيد أن رسول الله ﷺ قال: "رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى فأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء" ^(١)، فعلى الوالدين أن يكونا قدوة في العبادة والأخلاق، وقدوة في الأقوال والأعمال، قدوة في المظهر والمخبر، قدوة في السلوك والتصرفات، فلا

(١) أخرجه وأبو داود في سننه برقم (١٣١٠)، والنسائي في سننه برقم (١٦١١)، وأحمد في مسنده برقم (٧٤٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يسمع منك أبنائك وبناتك إلا قولاً طيباً ، ولا يرون إلا عملاً صالحاً ، ولا ينظرون إلا سلوكاً حسناً، ومما يعين في ذلك ويساعد عليه التفاهم بين الزوجين التفاهم الحسن، والتعاون على أمور البيت وتربية الأبناء، وعدم مناقشة الخلافات العائلية أمام الأولاد؛ لأن ذلك يؤثر تأثيراً سيئاً على شخصياتهم، فلا يثقون بوالديهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يحترمون تصرفاتهم، وإذا كان أحد الأبوين مبتلى بمعصية من المعاصي كشرب الدخان ونحو ذلك عليه أن لا يظهر ذلك أمام الذرية؛ لئلا يكون قدوة سيئة لهم، ويكون وبلاً عليهم في الدنيا والآخرة.

وعلى الوالدين أن يراقبا تصرفات أبنائهما وبناتهما المراقبة المتزنة، وأن يحرصا على تقويم ذلك التقويم الحسن، وأن يكون بينهم من الانفتاح والتفاهم ما لا يجعل الأبناء والبنات يتصرفون تصرفات غير سليمة بمعزل عن الآباء والأمهات، فكم وجدت من المشكلات في البيوت بسبب الغفلة والإهمال، وبسبب البعد عن الأولاد والأهل؟ وليحرص الوالدان على تشجيع الأمور الحسنة والنهي عن التصرفات المشينة، وأن يعفوا عن الهفوة والزلة، وأن يكونا خير قدوة للذرية.

أيها المسلمون! ومما يمتاز به البيت المسلم أن أسرارته محفوظة وخلافاته محدودة وخصوصياته لا يجوز البوح بها وإظهارها، فلذلك عامل على سعادة البيت وصيانتة وطمأنينة أهله، والمحافظة على كيان الأسرة وعدم زعزعتها.

روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: "إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها".^(١)

اتقوا الله- عباد الله- واعلموا أن صلاح الأسرة طريق أمان المجتمع كله، وهيهات أن يصلح مجتمع وهت فيه حبال الأسرة وانقطعت، كيف وقد امتن الله بهذه النعمة، نعمة اجتماع الأسرة وتآلفها وارتباطها، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢]، وإن الشيطان حين يفلح في فك روابط البيت والأسرة، فهو لا يهدم بيتاً واحداً، ولا يحدث شراً محدوداً، وإنما يوقع الأمة جمعاء في أذى مستمر وشر مستطير، فرحم الله رجلاً محمود السيرة طيب السريرة، سهلاً رقيقاً، رحيماً بأهله حازماً في أمره، لا يكلف شططاً، ولا يهمل في مسؤوليته، ورحم الله امرأة لا تطلب غلطاً ولا تكثر لغطاً، صالحة قانتة حافظة للغيب بما حفظ الله.

فاتقوا الله يا أرباب البيوت، واجعلوا من بيوتكم مصادر إضاءة ونور هداية، ولا تجعلوها أوكاراً للشيطان ومأوى لأعداء الرحمن، فإن الله

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٣٦١٥) في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

تعالى سائلكم عما استرعاكم "فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" (١)
واقصدوا بقدوة خير الناس أجمعين.

وصلوا وسلموا عليه كما أمركم الله جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(١) سبق تخريجه.

عوامل بناء المجتمع

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، بشراً وأنذراً، وبلغ البلاغ المبين، صلى الله وسلم وبارك على آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد عباد الله ! اتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، واعلموا أن أجسادكم على النار لا تقوى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

عباد الله! إن من محاسن الإسلام ومزاياه العظام، قيامه بكل إصلاح، إنه ليس عقائد وأخلاقاً فقط! وإنما هو مع ذلك بناء وتنمية وإعداد، فالدين الإسلامي بعقائده وأخلاقه وآدابه وتوجيهاته وحكمه وحمايته للحقوق الخاصة والعامة، من أكبر الأدلة على أنه تنزيل من حكيم حميد، إذ شرع لهم هذا الدين، الذي لم يبق خيراً إلا دل عليه، ولا شراً إلا حذر منه، ولا حقاً إلا أقامه، ولا عدلاً إلا جعل له مسالك

وطرقاً يقوم عليها، فهو جامع بين مصالح الدين والدنيا. ولم يدع شاذة ولا فاذة من أمر الدين والدنيا إلا وضع لنا فيه منهجاً، يقول أبو ذر رضي الله عنه: (لقد قام رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً^(١))، ومن ثم فهو دين عطاء وتنمية، وهو دين حركة ونماء.

وإن الحضارة الإسلامية تمارس كل ألوان النشاط البشري التي تؤدي إلى عمارة الأرض من علم وتجارة وصناعة، وتسعى إلى الإنتاج والتنمية في كل أبواب الإنتاج، ولكنها في سعيها كله تلتزم بالحلال، وبالقيم الأخلاقية وبما يقتضيه الإيمان واليوم الآخر من تشكيل للأعمال والسلوك ﷻ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا** [القصص: ٧٧] فكان المسلمون في أجيالهم الأولى أمة نشطة في كل اتجاه، فكانت تجارة العالم في أيديهم، وكانت الصناعة المتاحة للناس في ذلك الوقت مزدهرة في مركز العالم الإسلامي المختلفة، وكانت دور العلم عامرة في كل فرع من فروع المعرفة، من علوم

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢١٣٩٩) من حديث أبي ذر رضي الله عنه. ولفظه: "لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً"، وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٦٥) قال أبو حاتم: معنى (عندنا منه) أي علم يعني بأوامره ونواهيه وأخباره وأفعاله وإباحاته.

الشريعة وغيرها، وكانت هذه كلها مظاهر حضارية تقوم بها الأمة المسلمة.

عباد الله! هذا هو دين الإسلام، دين القلوب والعقول، دين البناء والإنتاج، دين العمل والتنمية، يسعى لعمارة الأرض والقيام بالاستخلاف فيها، وقد هيأ العوامل لهذا البناء والاستخلاف.

ومن أعظمها وأجلها: الانطلاق من الكتاب والسنة في جميع أحوال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] ويقول ﷺ: (تركتم فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي) رواه الحاكم ^(١)، فالمعيار - ولا شك - في جميع الأمور هو الكتاب والسنة، وقد عملت بذلك الأجيال الأولى من المسلمين، فنقلته إلى عالم الواقع، التزاماً بمقتضيات الإيمان، سواء كان في مجال التصور أو مجال السلوك، فكلما اقتربنا من الكتاب والسنة ومن حياة السلف الصالح رضوان الله

(١) وأخرجه مالك في الموطأ وهو من بلاغاته أن رسول الله ﷺ قال: "تركتم فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه".

ورقمه (١٥٩٢) في كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر. وبلاغات مالك صحيحة كما قال ابن عينية.

وحديث الحاكم أخرجه رقم (٣١٩) من رواية أبي هريرة قال فيه "تركتم فيكم شيئين كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض".

وانظر شرح الزرقاني ٢٤٢/٤.

عليهم، فنحن متقدمون عقدياً وسلوكياً كذلك، وكلما تأخرنا عن الكتاب والسنة فنحن متخلفون في مجال العقيدة، وبالتالي في مجال السلوك، وتلك أولى الحقائق التي ينبغي ألا تغيب عن أذهاننا عندما نريد السعادة والبناء في المجتمع، ونريد طريق الخلاص، والتي ينبغي كذلك أن نستصحبها معنا دائماً؛ لكي لا نضل الطريق!

عباد الله! إن من أعظم الروافد والعوامل التي جاء الإسلام بها، والتي أمر بها لتحقيق السعادة والإصلاح في بناء المجتمع المسلم، والتي تحافظ على تماسكه هو التعاون بين أفراد، والاجتماع وعدم الفرقة، فإن من أعظم الأسباب لنمو المجتمع وألزم الوسائل لسعادة الأمة هو وحدتها التي تجعلها كالجسم الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء، قال تعالى: (إنما المؤمنون إخوة) [الحجرات: ١٠] وقال ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) رواه البخاري. ^(١)

فالاجتماع على الحق من أقوى دواعي البناء، فكم عمّرت به بلاد، وسادت عباد، وانتشر عمران، وتقدمت أوطان، وأسست ممالك، وسهلت مسالك، فهنيئاً لأمة اتحدت، وعلى الخيرات اجتمعت، ففازت

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٧٥٣) في كتاب البر والصلة كما أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٨٤٥٦) عن النعمان بن بشير.

فوزاً عظيماً، وبلغت شأواً جليلاً، وخلدت لها ذكراً جميلاً، على صفحات التاريخ بكرة وأصيلاً، وهذا مبدأ عظيم في هذا الدين، فقد آخى الرسول ﷺ بين أصحابه، حتى كان أحدهم يرث الآخر دون قراباته حتى نسخ هذا الأمر، وبذلك كانت نصرتهم على عدوهم، مع قلة عددهم، فدوخوا الممالك، وسهلوا المسالك، قال تعالى:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

وأما التنازع والتفرق في الكلمة والرأي، فهو سبب الضعف والخذلان والفشل في جميع الأزمان، بل هو مجلبة الفساد ومطية الكساد، ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَنَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] فالويل والشبور لأمة دبّت بينهم عقارب الخلاف، وسرت فيهم ريح الشقاق، حتى قضي عليهم بالتشتت والفراق، وما يحصل في بلادنا وبعض بلاد المسلمين من الزعزعة الأمنية في الداخل؛ فهو سبب لهذا التنازع وفك وحدة المجتمع، نسأل الله أن يقينا الشرور والآثام.

أيها المسلمون !

وإن من الأسس الراسخة في بناء المجتمع وتنميته والحفاظ على تماسكه إثارة روح العلم والعمل والبعد عن البطالة والكسل، فلا ريب أن حياة الأمة برجالها العاملين المخلصين لدينهم ومجتمعهم، فالعمل والجد راية الأمان لسعادة المجتمع والأوطان، وسبب لتقدم البلاد ونفع العباد، وقد قيل: "حرفة المرء كنزه"، وقال عمر بن

الخطاب رضي الله عنه: "إني لأرى الرجل يعجبني فأقول: هل له حرفة؟ فإذا قالوا: لا، سقط من عيني!".^(١)

وإن المتصفح لصفحات التاريخ يجد أن العمل الجاد من أهم دواعي سيادة الأمة الإسلامية على الأمم وترقيتها في معارج المجد، ولقد أشار كتاب الله إلى أن سرّ النجاح في هذه الحياة وفي هذه المسيرة الإنسانية العظمى أنه يكمن في مواصلة العمل لا في الجمود والكسل، وفي التزام الصبر لا في الجزع والملل، وفي التوكل على الله بعد اتخاذ الأسباب، وطرق أبواب رزقه التي ليس عليها حجاب، قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ الْأَعْمَالِ﴾ ٥٨ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ٥٩ ﴿وَكَايُنْ مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٦٠ ﴿ [العنكبوت: ٥٨-٦٠].

أيها المسلمون!

ومن أسس الحفاظ على تماسك المجتمع وبنائه الثابت ودعائمه الراسخة التي لا ينبغي إغفالها هي الاهتمام بتربية الأبناء والبنات؛ فإن تربيتهم بإذن الله طريق النجاح وسبب الخير والفلاح، بها يرتفع الإنسان من حضيض الهمجية إلى ذروة المدنية، وبها تستنير الأفهام، أما إذا انفصمت عرى هذا المبدأ وتداعمت قوائمه، وتناسى القائمون على التربية شأنها، وأهملوا أمرها، أسرع الفساد إلى أفراد الأمة، وتمكنت من

(١) ميزان الاعتدال ١/ ٢٣٠.

نفوسهم الرذيلة ، وتغلبت عليهم الشهوات السافلة، فسعادة الأمم والمجتمع الإنساني إنما تكون بالتربية الفاضلة، وتهذيب النفوس ودعوتها إلى الخير.

ومصادر التربية كثيرة، ومنها الأم والأب والمعلم والمعلمة والمدرسة والمؤسسة، والأعلام والأقلام، فويل لأمة لم تعتن بأفرادها، والله ما امتلأت السجون ويُتِمُّ الأطفال واستحكمت حلقات الجهل وانحرف الكثير غلواً أو تقصيراً إلا بترك التربية الصحيحة، وإن الشخص الذي يُهمل سيكون أشد من الوحوش الضارية وأحط من البهائم، ومن تربي تربية صحيحة خليقٌ بأن يقود الأمة ويرفعها إلى معارج التقدم والنجاح، ويكون من الداعين إلى إعلاء كلمة الحق ورفع منار الإسلام.

فاتقوا الله عباد الله، وحافظوا على هذه العوامل تسعدوا ويسعد مجتمعكم.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولي المتقين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: أمة الإسلام! ومن أهم أسس البناء وعوامل الخير والعطاء، التي تنهض بالأمة إلى معارج العز والبناء وتحافظ على تماسكه ووحدته؛ هي شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن المسلمين جميعهم جسم واحد، صحتهم الهدى، ودواؤهم المنكر، ودواؤهم النصح والإرشاد، فإذا لم يأمر الأمرون بالمعروف، وينهى الناهون عن المنكر، أصبحت الأمة طعمة للأكليين، وفريسة للقانصين، فأسرع إليها الفساد، وحققت عليها كلمة العذاب والشقاء ﴿وَلَتَكُنَّ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ [ال عمران: ١٠٤-١٠٥].

عباد الله! إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أسباب صلاح المجتمع وحفظه وأمنه، فهو الدرع الواقي من الشرور والفتن،

والسياج من المعاصي والمحن، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧] فلم يقل: (صالحون) فقط، بل قال: (مصلحون)، والمصلحون هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩] وقد تلا النبي ﷺ هذه الآية على أصحابه فقال: (كلا والله، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد السفية، ولتأطرنه على الحق أطراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعننكم كما لعنهم) رواه أبو داود. ^(١)

فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لتفريق المجتمع واستثراء الفساد فيه، وتعطل مصالحه، وخلخلة الصف فيه. فواجب على كل مسلم ومسلمة القيام بهذه الشعيرة على حسب استطاعته وموقعه، وبخاصة فيما تحت قدرتهم، من منكرات البيوت وما في حكمها، وعلى كل صاحب علم وقلم وحكمة، أن يقوم بالإرشاد والتوجيه والنصح والسعي في ذلك.

(١) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٣٣٩) عن عبدالله بن مسعود. في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة. وزاد في الحديث رقم (٤٣٣٣) أو ليضربن الله.. الحديث.

أيها المسلمون!

ومع عظم هذه الشعيرة ومكانتها إلا أنه لا بد مع القيام بها التحلي بصفات تتحقق في فاعلها، فلا بد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والداعية عموماً أن يتحلى بالعلم، بأن يكون عالماً بما يدعو إليه وبما ينهى عنه، وإلا كان ضرره أكثر من نفعه، فإنه قد يأمر بما ليس بمشروع وينهى عما كان مشروعاً، كما رفع عن كثير من المخطئين غلواً وتقصيراً.

وعليه أيضاً أن يكون ليناً رقيقاً، وصبوراً على الأذى وما يواجهه في سبيل الدعوة ونشرها، مراعيّاً جانب الحكمة في القول والعمل مبتعداً عن الغلظة والجفاء والعنف، فثمار ذلك وخيمة، ونتائجه سيئة.

أيها المسلمون!

ومن عوامل البناء الحرص على تماسك المجتمع في أمنه وورثائه، فالإصلاح والتنمية والبناء والدعوة والخير لا يكون إلا في مجتمع آمن، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] فبيئة التوحيد بيئة آمنة فلنحرص عليها.

أيها المسلمون!

ومن عوامل تماسك المجتمع والحفاظ على وحدته وبنائه التنبيه إلى من يقوض أركانه ويفسد فيه والتعاون للوقوف ضده صفاً واحداً أيّاً كان

نوع هذا الإفساد حتى لا يفتك السم في هذا الجسم المتماسك، فكما تبحث الأجسام عن الوقاية بالتطعيم فكذلك المجتمعات، وهذا باب من أبواب النهي عن المنكر الذي هو قسيم الأمر بالمعروف.

أيها المؤمنون! ومن أهم عوامل تماسك المجتمع الرجوع إلى الله في كل صغيرة وكبيرة؛ وفي أنفسكم وأهليكم وأحوالكم، والتوبة من الذنوب والمعاصي، فكل واحد في هذا المجتمع مسؤول، ومن مسؤوليته سد الثغرة التي يلج منها الشيطان، فالله الله أن يؤتى المجتمع من ثغره.

اتقوا الله عباد الله وقوموا بمسؤوليتكم..

وصلوا وسلموا على رسول الهدى ونبينا المجتبي كما أمركم الله جل وعلا في محكم البيان فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

المعاقون والمعاقات

الخطبة الأولى

الحمد لله، الذي خلقنا في أحسن تقويم، ف سبحانه من عليم حكيم،
أحمده سبحانه وأشكره على فضله العميم، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى
الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان
إلى يوم الدين.

أما بعد، فاتقوا الله عباد الله، فتقوا عدة كل مسافر، وزاد كل راحل.
أيها المسلمون! لقد خلق الله تعالى الإنسان وكمّل خلقه في أحسن
صورة، وأبهى حلة، وأكمل عقل، ومن هنا فقد كلفه بالأمانة الكبرى
التي عجزت عن حملها السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً جهولاً. ومن حكمته جل
وعلا أن قدر على بعض الخلق آفات في جوارحهم أو أجسامهم أو
عقولهم، وهم من يعرفون اليوم بـ (المعواقين)، ولذا فقد خفف الله
سبحانه وتعالى عن هؤلاء ما تعسر عليهم من التكليف، وأسقط عنهم ما
يعجزون عنه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] وقال سبحانه فيمن عجز عن الصيام: ﴿فَمَنْ
كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].. وهكذا

رحمة الله تعالى بعباده، فمن لم يستطع الوضوء، أو لم يجد ماء يتيمم، ومن عجز عن الصلاة قائماً صلى جالساً، ومن نُهي عن السجود اكتفى بالإيماء، ومن قطعت يده أو رجله سقطت من التكليف، ومن عجز عن الصيام أطعم، ومن لم يستطع الحج ببذنه أو ماله ارتفع عنه التكليف، ومع ذلك، عباد الله، فقد سطر التاريخ الإسلامي الماضي والحاضر همماً عظيمة، وأنفساً شامخة وقلوباً مفعمة بالحياة، وعطاءات وتضحيات للكثير من هؤلاء الذين نسميهم معوقين، فهذا عبدالله ابن أم مكتوم لم يردّه عماء البصري أن يمسك الراية في إحدى المعارك، وعمرو بن الجموح الشيخ الكبير الأعرج المعذور يأبى إلا أن يشارك في غزوة أحد، ويطأ بعرجته الجنة، وجعفر الطيار يعوضه الله تعالى عن يديه اللتين قطعتا، وهو قائد الجيش، بجناحين يطير بهما في الجنة، وأمثال هؤلاء من التابعين وأتباعهم من الأئمة، فهذا عبد الرحمن بن هرمز الملقب بالأعرج، وسليمان بن مهران الأعمش، لم تردّهما إعاقتهما أن يكونا من أكابر رواة الحديث وأئمة الإسلام، وفي تاريخنا المعاصر لم تكن إعاقة الإمام عبد العزيز بن باز، ولا شيخه الإمام محمد بن إبراهيم، رحمهما الله تعالى لم تمنعهما إعاقتهما البصرية أن يكونا من مجددي هذا العصر في العلم والدعوة والإمامة والقضاء والفتيا، -وغيرهما أمثلة لا تحصرها خطبة ولا يحصيها دفتر- نماذج تجعل من المعاق في ما أعطاه الله تعالى من القدرات مثلاً أعلى،

وقدوات تنير الدرب وتضيء الطريق.

أيها المسلمون!

ليست الإعاقة الحقّة أن يصاب أحد في بدنه أو حواسه، فتلك إعاقة كونية قدرية يعوض الله سبحانه وتعالى عنها في الدنيا والآخرة، وإنما المعاق حقاً من أنعم الله تعالى عليه سبحانه بنعمه ومنحه، وعطاياه ومواهبه في جسمه وحواسه وعقله وإمكاناته وقدراته، فلم يستفد منها، ولم يفد بها، أو صرفها في غير موضعها، وفي غير مواقعها.

ومن هنا يأتي عتاب الله سبحانه وتعالى لأولئك الذين أعطوا تلك العطايا فلم يستثمروها، قال تعالى عن أشد المعاقين وهم الكفار: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وفي آية أخرى يقول الله سبحانه: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤].

فجعل الله سبحانه مسيرة هؤلاء بعدم الاستفادة من عقولهم وجوارحهم كالبهائم، وبقدر نقصان الفائدة من هذه العقول والجوارح يكون مقدار تلك الإعاقة.

أيها المسلمون! وثمة معاقون كثر يتقلبون في الناس أعطاهم الله تعالى من نعمه فجحدوا كثيراً منها ومنحهم فمنعوا، وأكمل لهم فقصروا.

إنكم حين تبصرون شاباً يافعاً، مُلئاً قوة ونشاطاً، وتدفق حيوية، حواسه مكملّة، عقله سليم، لكنه عاطل عن العمل، أو كسول في دراسته، ضعيف في أخلاقه قصر في أعمال دنياه وآخرته، لم يفد نفسه، ولم ينفع أمه ولا أباه بل كان عالة عليهما، فأنى لمجتمعه أن يستفيد منه.. أليس هو المعاق الحقيقي؟!!

وصورة أخرى ترى الرجل المهيب في شكله قد اشتعل المشيب في رأسه، واختلط الشيب في لحيته، همته في العبادة ضعيفة، يكتفي من الصلوات بالمفروضة منها، مقصر في أدائها فضلاً عن قراءته كتاب الله أو حفظه، يقضي ليلته في سهر لا فائدة منه، ونهاره في عمل لا مرد له، قد لا يسد رمقه، ولا يشبع جوعه وجوع أسرته، أليس هذا معاقاً يفرح الأعداء به؟

وشاب تجاوز هذا وذاك، همه تسريحة شعره وموديلات جوالاته وحذائه، عالة على أبيه أو أمه، في الصلاة من المتأخرين من المتكاسلين، وعن الأعمال من المزاجيين، تشبه بالنساء، لا غاية له في الحياة إلا السفاسف من الأمور، والدنيء من الأعمال، وربما تجاوز إلى مخدرات ومسكرات، وأغاني وملهيات فأى إعاقة بلغها، على أهله ومجتمعه.. وموقوفون آخرون ملكوا من الأموال القناطير المقنطرة، أرصدتهم مليئة، تنعم بها البنوك وتراعى بها.. حرم نفسه وأسرته.. لا يطعم جائعاً، ولا يرحم يتيماً، ولا يعطف على مسكين، ولا يتصدق

على من يحتاج، ولا يواسي قريباً، ولا يعين ذا الملهوف.. ولا يتبرع بمصحف، ولا يشارك في تشييد مسجد، ولا بناء مدرسة، يرنو للزهو في المجالس، ينفق في المفاخرة والرياء، ويمسك حتى عن العشيرة والأقرباء، هل تأمل هذا المعاق مقدار إعاقته؟ فقد ظلم نفسه وأسرته، فضلاً عن مجتمعه وأمه.. ولم يفرح بنعمة ربه في دنياه وآخرته.

ومعوقون أشد خطراً سخروا أقلامهم وأفكارهم لهدم دينهم، وتشويه معتقداتهم، والتلبيس على الناس، أصبحوا تابعين لأعدائهم، ناعقين بما يريدون، متهمين أمتهم، متكرين لتاريخهم، لا تلين قلوبهم بموعظة، ولا تنتفع عقولهم بعلم، ظلموا أنفسهم، حاربوا مجتمعهم، أبطنوا الذل والتبعية لأعدائهم. فكانوا معاول هدم وتخريب، فإيا لها من إعاقة بلغت مبلغها فأثرت وتأثرت، فخرست العاجلة والآجلة.

والمعوقات عباد الله كثر.. فأرخ أذنك لكثيرات، تسمع عنهن العجب العجائب.. نساء أسوياء جسماً وعقلاً، لا هدف لهن في هذه الحياة، وقضاء الليالي والأيام إلا لمتابعة الموضة، وما استجد فيها، وسهر على شاشة فضائية، تتابع ما استجد عند الكافرات، تتنافس في الدنيايا من الأمور، والتحدث في الهاتف، لا صبر ولا جلد على حفظ آية، أو تأمل حديث. أو عمل طاعة.. أين هذه المعوقة المسكينة من تلك المصلية القائمة القانتة، المحافظة على حشمتها وسترها، والمغتنة لوقتها، الطائعة لربها، والمقتدية بالسالفات من أمهات المؤمنين

والصحابيات والعالمات والداعيات، اللاتي آثرن الباقية على الفانية.

أيها المسلمون! تلك أصناف متعددة من المعاقين والمعاقات لم يستفيدوا من قول الرسول ﷺ : (الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني).^(١)

فاتقوا الله، عباد الله، واستفيدوا مما منحكم الله من العقول والحواس. والمنح والهبات . تبقى لكم ذخراً في الحياة وبعد الممات.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين بكل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٤٥٩) ، وابن ماجه رقم (٤٢٦٠) وأحمد برقم (١٧١٦٤) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، وقال الترمذي : حديث حسن.

الخطبة الثانية

الحمد لله على نعمه التي لا تحصى حمداً يعين على التقوى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحمدده سبحانه وأشكره على آلائه تترى وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله النبي المجتبي، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أولي الألباب والنهي والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما أسفر نهار وليل دجى.

أما بعد: وثمة صنف من أصناف من الشباب لديهم من الطاقات والقدرات، والحيوية والنشاط، فهموا دينهم فهماً غالياً، فصرفوا همتهم للقتل والتدمير، والتفجير، والتكفير فأثاروا الرعب والخوف وأربكوا الأمن والاستقرار، فلا شك أن هذه إعاقة للفهم والعمل، فما الذي يجنيه المجتمع في زعزعة الأمن، وإشاعة القتل؟ وهل هذا سبيل دعوة أو إصلاح؟ أو طريق نماء وتنمية؟

إن الدعوة عباد الله والإصلاح لا يكون إلا عن طريق اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام، ومن ورث ميراثه من ميراث سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وأئمة الهدى وأعلام الملة، فدعوة صادقة لشباب هذه الأمة بطلب العلم الشرعي، واتباع سبيله، والصبر عليه، والنيل منه.

أيها المسلمون!

وكما أن الإعاقة تكون في الأفراد تكون في المجتمعات والدول، فبينما تنتشر الإعاقة في كثير من المجتمعات العربية والإسلامية في الضعف في الإنتاج، والاهتمام بسفاسف الأمور، وترهات الحياة، تجد إعاقة أخرى تقوم بها الدول الكبرى باستعمال القوة على المجتمعات الضعيفة ظلماً وعدواناً وحقدًا، وبعضها تسفك فيها الدماء، وتهلك الحرث والنسل، وتخرب الديار، وتيتم الأطفال، وتنتهك الأعراض، وتسلب الأموال، وتقضي على المقدرات، وما عالم فلسطين والعراق اليوم إلا شاهد عيان واضح على أي إعاقة بلغت تلك الدول.. إنها إعاقة عظمى بقدر ما تسمى تلك الدول نفسها.

أيها المسلمون!

أيها الشباب.. إن الله سبحانه وتعالى أعطاكم القوة والحيوية، والشباب والقدرة، والصحة والنشاط.. إنها نعم عظيمة لتفضوا عوامل الإعاقة بأنواعها إفراطاً أو تفريطاً، فشمروا عن سواعد الجد والاجتهاد؛ لتستثمروا هذه النعم، فتكونوا عوامل صلاح وإصلاح، لا معاول هدم وتخريب، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۖ وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا النُّورُ ۚ وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا الْحُرُورُ ۚ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعُ مَن فِي الْقُبُورِ ۚ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢].

فاتقوا الله عباد الله! في استغلال ما منحكم الله قبل أن يندم
 الإنسان، ولات ساعة مندم.. وصلوا وسلموا على رسول الله كما أمركم
 الله جل وعلا في كتابه الكريم فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
 النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

بصائر للمجتمع الإسلامي المعاصر

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، بشراً وأنذراً، وبلغ البلاغ المبين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله! اتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، واعلموا أن أجسادكم على النار لا تقوى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

عباد الله! إن من محاسن الإسلام ومزاياه العظام، قيامه بكل إصلاح، إنه ليس عقائد وأخلاقاً فقط! وإنما هو مع ذلك موجه وحاكم وتنمية وإعداد، فالدين الإسلامي بعقائده وأخلاقه وآدابه وتوجيهاته وحكمه وحمايته للحقوق الخاصة والعامة، من أكبر الأدلة على أنه تنزيل من حكيم حميد، إذ شرع لهم هذا الدين، الذي لم يُبق خيراً إلا دل عليه، ولا شراً إلا حذر منه، ولا حقاً إلا أقامه، ولا عدلاً إلا جعل له مسالك وطرقاً يقوم عليها، فهو دين وجامع بين مصالح الدين والدنيا،

وبين التسامح والتيسير، وبين العزة والقوة، والمقاومة لكل معاند محادٍ للدين وأهله.

عباد الله! وإن الدين الإسلامي لم يدع شاذة ولا فاذة من أمر الدين والدنيا إلا وضع لنا فيها منهجاً، يقول أبو ذر رضي الله عنه: (لقد قام رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً)^(١)، وبالتالي فهو دين عطاء وتنمية في جميع المجالات، وهو دين حركة ونماء، وليس كلاماً في القراطيس والكتب! هو (إيمان في القلوب) تتحرك به حركة ملموسة في عالم الواقع، وتتخذ موقفاً محدداً من كل شيء حولها، وتصوغ سلوكها العملي على مقتضاه، فهو دين فطرة أعطى الإنسان حقه.

أيها المسلمون!

إن الحضارة الإسلامية تمارس كل ألوان النشاط البشري التي تؤدي إلى عمارة الأرض من علم وتجارة وصناعة، وتسعى إلى الإنتاج والتنمية في كل أبواب الإنتاج، ولكنها في سعيها كله تلتزم بما يقتضيه الإيمان بالله واليوم الآخر من تكوين للسلوك والقيم ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصاص: ٧٧] فكان المسلمون في أجيالهم الأولى أمة نشطة في كل اتجاه، فكانت تجارة

(١) سبق تخريجه.

العالم في أيديهم من الصين إلى أوروبا! وكانت الصناعة المتاحة للناس في ذلك الوقت مزدهرة في مركز العالم الإسلامي المختلفة! وكانت دور العلم عامرة بالأساتذة والطلاب في كل فرع من فروع المعرفة، من علوم الشريعة، إلى الفلك، إلى الكيمياء، إلى الرياضيات! وكانت هذه كلها مظاهر حضارية تقوم بها الأمة المسلمة.

عباد الله ! ولكن هذا كله يمكن أن تقوم به أي أمة ممكنة في الأرض بوسيلة من وسائل التمكين، ولكن الذي تفردت به الحضارة الإسلامية - مع قيامها بالجانب الذي يمكن أن تقوم به كل أمة ممكنة في الأرض، أنها تقوم به بمقتضى "المنهج الرباني" ، ولذا فإن من أعظم عوامل بناء المجتمع ونمائه هو تمسكه بالكتاب والسنة في جميع أحواله، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦] ويقول ﷺ: (تركتم فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي)^(١) رواه الحاكم، فالمعيار، ولا شك، هو الكتاب والسنة، مرجع المسلمين في كل أمر من أمور حياتهم، والمعيار كذلك هو حياة الأجيال الأولى من المسلمين التي طبقت هذا الدين في عالم الواقع، التزاماً بمقتضيات الإيمان، سواء كان في مجال التصور أو مجال السلوك، فكلما اقتربنا من الكتاب والسنة

(١) سبق تخريجه.

ومن حياة السلف الصالح رضوان الله عليهم، فنحن متقدمون عقدياً وسلوكياً كذلك، وكلما تأخرنا عن الكتاب والسنة، فنحن متخلفون في مجال العقيدة، وبالتالي في مجال السلوك، وتلك أولى الحقائق التي ينبغي ألا تغيب عن أذهاننا عندما نريد السعادة والبناء في المجتمع، ونريد طريق الخلاص، والتي ينبغي كذلك أن نستصحبها معنا دائماً لكي لا نضل الطريق!

أيها المسلمون! إنه لا سبيل إلى إصلاح شيء من أمور الخلق الصلاح التام إلا بالإسلام، فإن الدين كله صلاح وإصلاح، ودفع للشرور والأضرار، ودعوة إلى الخير والمعروف.

عباد الله! إن من أعظم الروافد التي جاء الإسلام بها، والتي أمر بها لتحقيق السعادة والإصلاح في بناء المجتمع المسلم هو التعاون بين أفراد، والاجتماع وعدم الفرقة، فإن من أعظم الأسباب وألزم الوسائل لسعادة الأمة هو وحدتها التي تجعلها كالجسم الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء، قال تعالى: (إنما المؤمنون إخوة) [الحجرات: ١٠] وقال ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) رواه البخاري^(١). فالاجتماع على الحق من أهم أسباب السعادة، وأقوى دواعي المحبة، فكم به عمرت من بلاد، وانتشر عمران، وتقدمت أوطان، وأسست ممالك، وسهلت مسالك، إلى غير

(١) سبق تخريجه.

ذلك من فوائد الاتحاد الذي هو أعظم وأمتن الأسباب والوسائل، فهنيئاً لأمة اتحدت، وعلى الخيرات اجتمعت، فتفوز هذه الأمة فوزاً عظيماً وتبلغ شأواً جليلاً، وتخلد لها ذكراً جميلاً، على صفحات التاريخ بكرة وأصيلاً، وقد آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، كان أحدهم يرث الآخر دون قراباته، وبذلك كانت نصرتهم على عدوهم، مع قلة عددهم، ففتحوا البلاد وهدوا العباد، قال تعالى: ﴿وَأَغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وأما التنازع والتفرق في الكلمة والرأي، فهو سبب الضعف والخذلان والفشل في جميع الأزمان، بل هو مجلبة الفساد ومطية الكساد ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُكُمُوتُ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] فالويل والثبور لأمة دبت بينهم عقارب الخلاف وسرت فيهم ريح الشقاق، حتى قضى عليهم بالتشتت والفراق. أيها المسلمون!

وإن من الأسس الراسخة في بناء المجتمع وتنميته : إيثار روح العلم والعمل والبعد عن البطالة والكسل، فلا ريب أن حياة الأمة برجالها العاملين المخلصين لدينهم ومجتمعهم، فالعمل والجد راية الأمان لسعادة المجتمع والأوطان، وسبب لتقدم البلاد ونفع العباد، وقد قيل: "حرفة المرء كنزه"، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنني لأرى الرجل يعجبني فأقول: هل له حرفة؟ فإذا قالوا: لا، سقط من عيني!"^(١).

(١) ذكره صاحب لسان العرب ابن منظور في مادة (حرف).

عباد الله! وإن المتصفح لصفحات التاريخ يجد أن العمل الجاد من أهم دواعي سيادة الأمة الإسلامية على الأمم وترقيتها في معارج المجد، ولقد أشار كتاب الله إلى أن سر النجاح في هذه الحياة وفي هذه المسيرة الإنسانية العظمى أنه يكمن في مواصلة العمل لا في الجمود والكسل، وفي التزام الصبر، لا في الجزع والملل، وفي التوكل على الله بعد اتخاذ الأسباب، وطرق أبواب رزقه التي ليس عليها حجاب، قال تعالى: ﴿يَعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ ٥٨ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩، ٦٠].

أيها المسلمون!

لقد حث الإسلام على التقدم العلمي والعملي في جميع المجالات النافعة للإسلام والمسلمين، ولذا فإن الواجب على المسلمين النهوض بأمتهن عن مستنقع التخلف الذي تعيش فيه، وذلك بالاتجاه إلى الصحو العلمية والعملية من التقدم الصناعي والحضاري، فهي متصلة بالتشريع الإسلامي، ولذا كان لازماً على المسلمين أن يصرفوا جهودهم لتعلم الصناعات والعلوم التقنية بوصفها حاجة ملحة لا فكاك منها، فكما أن الرسالة الإسلامية تعنى بالشؤون الروحية، فإنها تعنى بشؤونه المادية المباشرة، بل تأخذ بيده فتسدد خطواته الأولى في نفس المجال التقني والصناعي، والآخرة التي دعا الرسل والأنبياء إلى الإيمان بها، إنما هي المرحلة الأخيرة في مسيرة جهاد الإنسان

المتواصل، من أجل صلاح الإنسان وازدهار العمران، حيث يجني الإنسان ثمرة عمله، وليصل إلى تحقيق رجائه وأمله إن وفى بما عاهد عليه الله في خلافته، ولم يتنكر لدينه وشريعته ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَن يَأْتِبُوهُمْ أَتَمُّمَ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ ﴾ [الكهف: ٧].

أيها المسلمون!

ومن أسس بناء المجتمع الثابتة ودعائمه الراسخة التي لا ينبغي إغفالها : التربية، فإن التربية هي طريق النجاح وسبب الخير والفلاح، بها يرتفع الإنسان من حضيض الهمجية إلى ذروة المدنية، وبها تستنير الأفهام، ويعلم الحلال والحرام، فكلما وجد في الأمة دعاة نصبوا أنفسهم لنشر الفضائل بين بنيتها، وخصصوا ثمين أوقاتهم لغرس بذور التربية في نسيج أذهانهم، ركزت فيهم الملكات الفاضلة، وانطبعت فيهم الغرائز الكريمة، فما أطيبت ثمار التربية والتعليم! وما أحسن غرس بذور العلم في نفوس الناشئين والناشآت! أما إذا انفصمت عرى هذا المبدأ، وتداعمت قوائمه، وتناسى القائمون بالدعوة شأنها، وأهملوا أمرها، أسرع الفساد إلى أفراد الأمة، وتمكنت من نفوسهم الرذيلة، وتغلبت عليهم الشهوات السافلة، فسعادة الأمم والمجتمع الإنساني إنما تكون بالتربية الفاضلة، وتهذيب النفوس ودعوتها إلى الخير.

وعوامل التربية كثيرة، ومنها الأم والأب والمعلم والمعلمة والمدرسة، ولذا تجد التربية تتفاوت، وبصلاح التربية تصلح الأمم،

وبضياها يفسد الكون، فويل لأمة لم تعتن بها، والله ما امتلأت السجون ويئمت الأطفال واستحكمت حلقات الجهل إلا بترك التربية، وإن الشخص الذي يهمل سيكون أشد من الوحوش الضارية وأحط من البهائم، ومن تربي تربية صحيحة خليق بأن يقود الأمة ويرفعها إلى معارج التقدم والنجاح، ويكون من الداعين إلى إعلاء كلمة الحق ورفع منار الإسلام.

عباد الله! إن الانحراف الضخم الذي وقعت فيه الأمة حتى أصبح الإسلام غريباً، يحتاج إلى جهد ضخم وزمن غير قصير حتى نقود الأمة إلى الصراط السوي، ويكون لها من رسوخ القدم في الإيمان وصدق العزيمة، والشجاعة في الحق والزهد في متاع الدنيا والحرص على ما عند الله في الآخرة، ما يجعلها تحمل العبء صابرة محتسبة، ولن يتم ذلك إلا "بالتربية الجادة"، المحكمة التي تجعل الأمة تنهض من كبوتها وتقوم من غفلتها، حتى تعرف ما يُراد بها من مكر وكيد.

أيها المسلمون!

لا بد إذاً من الجد والاجتهاد وتحمل أعباء الطريق الطويل، الطريق المجهد الشاق، البطيء الثمرة، الأكيد المفعول، طريق التربية؛ لإنشاء الجيل المسلم الواعي، ومن هنا نعلم خطأ الطرق التي يسلكها المتعجلون لجني الثمرة في طريقتهم في التربية، وأن كلها تؤدي إلى

طريق مسدود، وإن بدا في ظاهر الأمر أنها هي الطريق التي تخرج
بالأمة من حالة الجمود!

فاتقوا الله عباد الله وتحملوا مسؤولياتكم ليقوى الوعي لدى
أبنائكم ومجتمعكم، فيفلح الجميع في الدنيا والآخرة. نفعني الله وإياكم
بهدي كتابه، وسنة رسوله ﷺ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين
من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رفع مكانة العلم والعلماء، أحمدوه سبحانه وأشكره،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله من في الأرض ومن في
السماء، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك
عليه وعلى آله وأصحابه النجباء، والتابعين ومن تبعهم بإحسان واقتفى
أثرهم وساروا على المحجة البيضاء، أما بعد:

أمة الإسلام! ومن أهم أسس البناء وعوامل الخير والعطاء، التي
تنهض بالأمة إلى معارج العز والبناء هي: شعيرة الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر، فإن العالم الإسلامي جميعه جسم واحد، أعضاؤه
الأمة، صحته الهدى، دأؤه المنكر، دواؤه النصح والإرشاد، فإذا لم يأمر
الأمرون بالمعروف، وينهى الناهون عن المنكر، لأصبحت الأمة طعمة
للكافرين، وفريسة للقانصين، فأسرع إليها الفساد، وحققت عليها كلمة
العذاب والشقاء ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١١٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابُ عَظِيمٍ﴾ (١١٥) [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

عباد الله! إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أسباب
صلاح المجتمع وحفظه وأمنه، فهو الدرع الواقي من الشرور والفتن،
والسياج من المعاصي والمحن، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ

لِيَهْلِكَ الْفَرَى يُظْلَمَ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ [هود: ١١٧] فلم يقل:
 (صالحون) فقط، بل قالوا: (مصلحون) ، والمصلحون هم الذين يأمرون
 بالمعروف وينهون عن المنكر، وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
 بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ
 ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾
 [المائدة: ٧٨-٧٩] وقد تلا النبي ﷺ هذه الآية على أصحابه فقال:
 (كلا والله، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد
 السفية، ولتأطرنه على الحق أطراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على
 بعض، ثم ليلعننكم كما لعنهم) رواه أبو داود. ^(١)

فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لتفريق المجتمع
 واستئراء الفساد فيه، وتعطل مصالحه، وخلخلة الصف فيه.
 فواجب على كل مسلم ومسلمة القيام بهذه الشعيرة على حسب
 الاستطاعة، وبخاصة فيما يقدرون عليه، من رفع منكرات البيوت وما
 في حكمها، وعلى كل صاحب علم وقلم وحكمة، أن يقوم بالإرشاد
 والتوجيه والنصح والسعي في ذلك.

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٣٣٩) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، كتاب
 الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة.

أيها المسلمون!

ومع عظم هذه الشعيرة ومكانتها إلا أنه لا بد مع القيام بها التحلي بصفات تتحقق في فاعلها، فلا بد للآمر بالمعروف والنهي عن المنكر والداعية عموماً أن يتحلى بالعلم، بأن يكون عالماً بما يدعو إليه وبما ينهى عنه، وإلا كان ضرره أكثر من نفعه، فإنه قد يأمر بما ليس بمشروع، وينهى عما كان مشروعاً، ومن الصفات كذلك أن يكون الداعية رفيقاً، وبأن يكون صبوراً على الأذى فيما يواجهه في سبيل الدعوة ونشرها.

عباد الله! إن المنهج الصحيح في الإصلاح والدعوة لا بد أن يكون منبثقاً من الكتاب والسنة، مراعى فيه جانب الحكمة والموعظة الحسنة، لا أن يكون نابعاً من أهواء شخصية ورغبات ذاتية، أو يكون منطلقاً من صورة مشوشة ضبابية لم يتضح هدفها، ولم يُعرف غرضها، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨] وقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بَالِغٍ هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

أيها المسلمون!

لا بد للدعوة عندما تؤتي أكلها أن تكون صادرة من رسوخ علمي ومعرفة بحال المجتمع وواقعه، ومعرفة ما يترتب على تلك الدعوة من مصالح ومفاسد، فإن دعوة الإسلام - والله الحمد - واضحة

المعالم، مستقيمة الطريق، وقوافلها سائرة لا يضرها من خذلها أو انحرف عن طريقها الصحيح، وعلى دعائها أن يتمسكوا بالثبات على منهج النبوة في الصدق والوضوح، لا على الغش والجنوح، ﴿قَدْ هَدَاهُ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

عباد الله! قد يؤدي التعجل أحياناً في الدعوة إلى عمليات لا طائل من ورائها إلا إعطاء أعداء الله وأعداء الإسلام حجة للتعدي على المسلمين وديارهم، والناس غافلون عن حقيقة المعركة وعن كون هؤلاء الأعداء إنما يعملون ما يعملون عداء للإسلام ذاته لا رداً على عمل معين!

أيها المسلمون!

إن استعمال العنف تأباه الشريعة الحنيفة وتجافيه، ونحن نعلم أن استخدام القوة والسلاح أو التشهير داخل المجتمع الإسلامي يظل مثقلاً بالقيود والشروط التي قد لا تكون موجودة مع استخدامها في جهاد الأعداء، وذلك لتجنب تمزيق المجتمع الإسلامي وتدميره من الداخل! وإن من مساوئ العنف أن يخلق كل المناشط الخيرية والدعوية الأخرى؛ إذ إن استخدام القوة سوف يغرز روح التوجس والخوف، كما أن الفريق المعادي يجد من العار أن يتقبل أفكار الذين يقاتلون، ولذا فإن الإصلاح القائم في جوهره على الحكمة والموعظة الحسنة هو الذي يؤدي إلى الثمار المطلوبة والعواقب الحسنة.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].
 وصلوا وسلموا على خير الداعين محمد بن عبدالله كما أمركم
 الله جل وعلا في محكم كتابه الكريم حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
 يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

وداع عام واستقبال عام آخر

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، أحمده سبحانه جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد :

عباد الله ! ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

واعتبروا بما ترون وتسمعون، ولا تكونوا عما مر بكم من العبر غافلين.

أيها المسلمون ! بالأمس ودعنا عاماً انصرم بما فيه، وحمل في صحائفه ما أودعناه فيه، فالسعيد من سطر في بياض صفحاته أعمالاً صالحة، ونيات خالصة، ولم يسوده بالسيئات والآثام وارتكاب المنكرات والإجرام، والشقي من كانت صحائفه سوداء مظلمة وبالمعاصي مدلهمة لم يعرف معروفاً، ولم ينكر منكراً، فهو ساه غافل، لم يتعظ بموعظة ولم يتذكر بعبرة.

كما نستقبل عاماً جديداً، مطلعته هذا اليوم ، نسأل الله أن يجعلنا فيه من العاملين المخلصين، التائبين النادمين، إنه سميع قريب مجيب.

أيها المسلمون! هكذا سنة الله تعالى لكل شيء بداية ونهاية، ساعة تبدأ وتنقضي، ويوم يبدأ وينتهي، وشهر يمر وسنة تعبر، والعمر محدود والأجل مضروب، وكل آت قريب، وهكذا مولود يولد، وحي يموت، وبيت يشيد، وزرع يخضر وييس، وماء يجف، كم من مولود ولد في العام المنصرم؟ وكم حي فارق الحياة؟ وكم صحيح مرض؟ وكم مريض شفي؟ وكم من فقير اغتنى، وغني افتقر؟ لا تستمر الدنيا على حال ولا تستقر على منوال، ألم تروا إلى هذه الشمس كل يوم تطلع وتغرب، ففي طلوعها ثم غروبها إيدان بأن هذه الدنيا ليست بدار قرار، وإنما هي طلوع ثم غروب، ألم تروا إلى هذه الأعوام تتجدد عاماً بعد عام وأنتم تودعون عاماً شهيداً عليكم، وتستقبلون عاماً جديداً مقبلاً إليكم، فبماذا ودعتم العام الماضي، وبم تستقبلون العام الجديد؟.

أيها المسلمون! لو وقف كل واحد يتفكر ماذا جرى في هذا العام المنصرم، كم فيه من أحداث تهز الفؤاد والمشاعر، وحروب تحير الأذهان والخواطر، أحداث عظام ومواقف جسام، انقلبت فيها الموازين، وتغيرت فيها النظرات، لعل في ذلك عبرة للمعتبرين وذكرى للمتذكرين، أمور عظيمة وفتن متلاحقة تدع الحليم حيراناً، دولة تلتهم أخرى، تقتل أهلها وتشرد نساءها وأطفالها، وتنتهك أعراضها، وتنتهب أموالها، وتخرب ديارها، وتعثو فساداً في أرضها، وتخرج بعد حرب

طاحنة ذليلة صاغرة، احتارت في النظر إليها العقول، وحارت في أحداثها الأبواب، وسبحان مصرف الأحوال ومقلب القلوب.

كم في هذا الحدث من عبرة، وكم لله تعالى فيه على عباده من منة تحتاج إلى وقفات مع النفس بالتأمل في حكمة الله تعالى ولطفه، ومن ثم بالرجوع إليه، وكم أسدى عليهم من نعمة، ظهرت في هذه الأحداث قدرة الباري عز وجل، وأنه المتصرف في الكون، دعوات حارة انطلقت من الشيوخ الركع، ومن الأطفال الرضع ومن القلوب المؤمنة، فهذا الخوف والروع واستمر الأمن والرخاء، ولكن هل نشكر هذه النعم المتوالية، والآلاء العظيمة من خالق هذا الكون؟ هل نشكره بقلوبنا وأعمالنا قبل ألسنتنا؟ إن الله سبحانه وتعالى يمهّل ولا يهمل، ويضفي على عباده النعم قبل النقم لينظر أيشكرونه أم يكفرونه ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ٧﴾ [إبراهيم: ٧].

إن تلك الأحداث بعد ما انطوت صفحاتها، هل يجوز لنا أن ننساها؟ نتقلب بنعم الله تعالى فنتكبر معاصيه، ولا نبالي بأوامره ونواهيه، إن هذا للأسف الشديد حال كثير من المسلمين اليوم، كأنه لم يمر عليه أحداث عظيمة بلغت فيها القلوب الحناجر، إن الله تعالى رؤوف رحيم، غفور ودود، شكور حلیم، يحب من عباده أن يشكروه ولا يكفروه، ولكن إن كفروا نعمته وارتكبوا معصيته وتعدوا حدوده

فشدید العقاب، لا یبالی فی أي وادٍ هلك الهالكون، ألم تروا إلى قوم نوح وعاد وصالح ولوط، فمنهم من هلك بالغرق، ومنهم بالريح، ومنهم من انقلبت علیه دیاره، فالله تعالى یغار علی حرمانه.

أيها المسلمون! ومن الأحداث التي تستدعي الوقوف النظر فیما مرّ فی هذا العام من عبر، انقلاب العالم الاشتراكي علی نفسه وطرده لهذا المبدأ الخبيث الذي اکتوت بنيرانه كثير من الدول سنين طويلة تلقى مآسيتها شعوب عظيمة، والآن ینقلب علی هذا المبدأ أهله، وفي ذلك عبرة لأولي الأبصار، ولكن هل يفقه هذا من انخدع بذلك السراب وجرى وراء تلك الشعارات التي یردها هؤلاء فانتكسوا علیها؟ أليس فی هذا عبرة لنا لتمسك أشد التمسك بديننا ونعض علی النواجذ؟ ونعلم أن أي نظرية غربية أو شرقية ما دامت تخالف هذا الدين فمآلها إلى التخبیط والضیاع وأهلها إلى الخسارة والهلاك.

إن تلك الشيوعية التي سادت دولاً كثيرة ها هي تنكص علی أعقابها خاسرة، لكن المؤسف أننا نجد من أبناء المسلمين من یرر ذلك النكوص بمبررات مادية بحتة، ولم يعلم أنه لا بقاء إلا لهذا الدين العظيم، ولا سعادة للكون كله إلا بالتمسك بهذا الإسلام الحنيف، ولا أمن ولا رخاء إلا بتنفيذ أوامر الله عز وجل واجتناب نواهيه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فهل یرجع أولئك المخدوعون بتلك النظريات الشرقية أو الغربية إلى

دينهم ويعلموا أنه هو الملاذ لهم والمنقذ لحيرتهم والمسعد لحياتهم، وبه يسود الأمن والرخاء والطمأنينة والعيش الرغيد في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون! ومما مرّ في هذا العام المنصرم تلك الحروب المدمرة في كثير من أقطار العالم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، حرب تدمر الأخضر واليابس وتهلك الحرث والنسل، أفلا نجعل منها عبرة وعظة ليسلمنا الله من شرها؟ ومما جرى أيضاً تلك الابتلاءات والعقوبات من الله جل وعلا من فيضانات وحرائق وبرد وحر ورياح وإعصارات وغير ذلك مما يقدره الله سبحانه وتعالى ليتذكر من تذكر.

أيها المسلمون! لنجعل من هذه الأحداث وغيرها عبرة لنا وموعظة لقلوبنا فنعلم أنه لا غنى لنا عن خالقنا، ولا مناص لنا عن التمسك بديننا، ولا عز لنا ولا نصر إلا بالصدق مع ربنا، ولا سعادة ولا فلاح إلا بتنفيذ أوامر مولانا، ولا نجاة من عذاب الله في الدنيا والآخرة إلا باجتنب النواهي والمنكرات، فالله سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل، ويغار على حرّماته ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْفَىٰ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٥٥) أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي نَفْلِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّؤُوفُ رَحِيمٌ ﴿٥٧﴾ [النحل: ٤٥-٤٧].

ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيْبٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ (٦١) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَمَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ

ءَابَاءَنَا الصِّرَآءَ وَالسَّرَآءَ فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا
 لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾
 أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ يَقِيمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا
 ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾
 [الأعراف: ٩٤-٩٩].

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْمُتَعَظِّينَ، وَفِي الْأَحْدَاثِ مِنَ
 الْمُعْتَبَرِينَ، وَلِلصَّالِحَاتِ مِنَ الْعَامِلِينَ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُّجِيبٌ، نَفْعَنِي اللَّهُ
 وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ كِتَابِهِ، وَسُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَأَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
 لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
 الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الحمد لله، حمداً يليق بجلاله وعظمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن اقتفى سنته. أما بعد :

أيها المسلمون!

في دخول العام الجديد طوى الإنسان من عمره عاماً كاملاً، وهكذا تمر الشهور بعد الشهور والأعوام بعد الأعوام، حتى يجيء الأجل، وينتقل الإنسان من هذه الحياة طال عمره أم قصر، فما أقصرها من مدة! وما أقله من عمر! قيل لنوح عليه الصلاة والسلام وقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، كيف رأيت هذه الدنيا؟ فقال: كداخل من باب وخارج من آخر، فاتقوا الله وتبصروا في هذه الأيام والليالي فإنها مراحل تقطعونها إلى الدار الآخرة حتى تنتهوا إلى آخر سفركم، وكل يوم يمر بكم، فإنه يبعدكم عن الدنيا، ويقربكم من الآخرة.

أيها المسلمون!

لنتذكر بانقضاء العام انقضاء العمر، وبسرعة مرور الأيام قرب الموت، وبتغير الأحوال زوال الدنيا وحلول الآخرة، إن السعيد من يقف مع نفسه محاسباً ماذا أسلفت في عامها الماضي، فإن كان خيراً ازداد،

وإن يكن غير ذلك أقلع وأناب؛ فإنما تمحى السيئة بالحسنة، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: "وأَتَبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا".^(١)

أيها المسلمون: إن السعيد من يتذكر بانتهاء العام وبداية العام انتهاء الحياة الدنيا وبداية الآخرة، فكل من على هذه الدنيا فإن ومنتبه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران: ١٨٥) فالموت هو الطريق الوحيد للآخرة.

ولو جعل الله الخلود لأحد من خلقه لكان ذلك لأنبيائه وأصفياه، وكان أولاهم بذلك صفوة أصفياه وخيرته من خلقه سيد ولد آدم محمداً ﷺ، ولقد أخبره الله تعالى بأنه سيموت فقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِلَهُم مِّتُونَ ۝٢٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّمُونَ﴾ [الزمر: ٣١] ولو نجا من الموت أحد لبسطة في جسمه وقوة في بدنه أو وفرة في ماله لنجا من الموت كثير من الناس، إلا أنه لا يخشى أحداً، ولا يبقى على أحد، ينتزع الطفل من حضن أمه، ويهجم على الشاب الفتى وهو في عز شبابه وقوته، ويأخذ الشيخ الكبير والغني والفقير، ترى الشاب الممتلئ صحة وعافية في لحظة يسيرة قد استحال جثة هامدة لا حراك

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٩٨٧) وأحمد في مسنده برقم (٢١٣٩٢) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. كما أخرجه من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه برقم (٢١٤٤١). وأخرجه الترمذي برقم (١٩٩١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

فيه، فذهب ذلك الشباب، وزالت تلك القوة وتعطلت الحواس، وقد يكون هذا عالماً متبحراً أو طبيباً ماهراً أو مخترعاً باهراً أو مسؤولاً كبيراً، ولكن هيهات أن يمنع ذلك قبض الأرواح إذا انقضت الأعمار وحضرت الآجال.

أيها المسلمون! إن السعيد من يتذكر بانقضاء العام يوم الرقاد الطويل في قبور مكانها مغترب، وساكنها مغترب بين أهل موحشين لا يستأنسون بالعمران، ولا يتواصلون تواصل الإخوان، قد اقتربوا في المنازل، وتشاغلوا عن التواصل، حتى طحنهم البلى وأكلهم الثرى. سيأتيك يوم لست فيه بمكرم

بأكثر من حثو التراب عليك

إن السلف رضوان الله عليهم جعلوا مضي السنين والأعوام مذكرة لهم، فأثر عنهم بعض الكلمات عند الوفاة يتذكرها المتذكرون، فهذا أبو بكر رضي الله عنه عندما حضرته الوفاة جاءته عائشة رضي الله عنها، فتمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر^(١)

(١) رواه أبو بكر الدينوري في المجالسة رقم (١٣٧٥)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة رقم

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذلك ولكن قلولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

وروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه لما حضرته الوفاة قال: انظروا هل أصبحنا؟ فأني فقيل له: لم تصبح، حتى أتني في بعض ذلك فقيل له: فقد أصبحنا، فقال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، ثم قال: مرحباً بالموت زائر مغيب وحبيب جاء على فاقة، اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنني لمن أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيه لِكَرْيِ الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لطول ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند خلق الذكر.

ولما حضرت أبا الدرداء الوفاة قال وهو يجود بنفسه: ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل ساعتني هذه، ثم قبض؟! أيها المسلمون!

آن الأوان أن يحاسب كل منا نفسه عن فرائض الإسلام وأدائها، وهل قام بها على الوجه المطلوب الذي يرضي الله جل وعلا، يحاسب نفسه فيها كما يحاسب التاجر تجارته والرئيس دولته، يحاسبها عن حقوق المخلوقين والتخلص منها، يحاسب عن الأموال التي جمعها من أين جاءت، وما مصدرها، وكيف ينفقها؟ يحاسبها عن التقصير في عباداتها ومعاملاتها، فمن وجد خيراً فليحمد الله ويسأله المزيد ومن

وجد غير ذلك فليختم عامه بالتوبة النصوح الصادقة والندم على ما عمل وسطر من سيئات وآثام ، ويبدأ عامه بالأعمال الصالحة والسلوك المستقيم والنية الخالصة والعزم على عدم العود إلى الذنوب والمعاصي.

فاتقوا الله عباد الله! واستدركوا ما فات بالتوبة، واستقبلوا عامكم الجديد بالعمل الصالح، فإن إقامتكم في هذه الدنيا محدودة ، وأيامكم معدودة ، وأعمالكم مشهودة.

وصلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه محمد بن عبدالله، خير الخلق، وحبيب الحق. كما أمركم الله جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.